من أجل سعادة المسلم

أضواء على التربية في الإسلام

تأليف
علي القاضي

الطبعة الأولى
١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى علم بالقلم علم الانسان مـا لم يعلم والصلاة والسلام على رسـوله الكريم الذى قال : طلب العلم فريضـة على كل مسلم ومسـلمة وجعـل العلم من المهد الى اللحد ٠ وبعد ٠ .

فقد لاحظت أن طلبـة كليات التربية ومعاهد اعـداد المعلمين فى أكثر البـلاد العربية حين يدرسون أصـول التربية وعـلم النفس فانما يدرسون ذلك من وجهـة نظر الغرب وفى اطـار ايدلوجيته فقط ٠ أما من وجهـة النظر الاسلامية فلا يكادون ينظرون اليـه ٠ اللهم الا قدرا ضـئيلا ضمن تاريخ التربية ومن هنـا فان القائمين بالتربية فى مدارسنا ـ فى جميع المراحـل التعليمية ـ لا يعرفون شيئا عن التربية الاسلامية أو علم النفس الاسلامى ٠

ومن هـنا فان هذين العلمين لا يكادان يظفران بأية عنـاية من أساتذة التربية وعلم النفس ـ وقـد يكون لدراساتهم فى الجامعات الغربية أثر فى ذلك ولـكن من حق الاسلام عليهم أن يهتموا بهـذا الجانب الهـام فى وضع المناهج وفى القيـام بالتدريس لابنائنـا فى الجامعـات الاسلاميـة وأن عـلى هـذه الأسس السليمة تربيـة متكاملة لان المسلم : فى ظـلال الاسلام ـ عليـه أن يجعل كل علمـه وكل عمله فى الاطـار الاسلامى متبعـا بذلك قوله تعالى (قـل ان صـلاتى ونسكى ومحياى ومماتى للـه رب العالمين لا شريك له) ٠

وهذا الكتاب هو محاولة لالقاء الاضـواء على بعض موضوعات علم أصول التربية الاسلامى وعلم النفس الاسلامى ٠

وسيجد القــارىء أن معظم هــذه الموضوعات قــد نشر فى مجلات على مستوى العالم العربى — وقد رأيت أن أجمعها فى كتــاب تحت عنوان : أضواء على التربية فى الاسلام ٠

وارجو ان اكون بذلك قد اسهمت بقدر محدود فى هـــذا المجال — ولازال الميدان بــكرا يحتاج الى عشرات يكتبون فيــه حتى يسـدوا هــذه الفجوة فى ميدان لعله أهم الميادين فى نهضتنا الحاضرة حتى تقوم على أساس متين وسليم ٠

على القاضى

ايولوجية التربية الاسلامية

تمهيـــد :

تطلق الايدلوجية فى العصر الحديث على مجموعة القيم والافكار والمفاهيم والتقاليد والتطلعات التى تترابط فى اطـــار مذهبى فتكون عقيدة توجــــه صاحبها (سواء أكان فردا أو جمـــاعة) فى قراراته وتصرفاته وأنماط سلوكه ٠

والايدلوجية بذلك تكون جانبا فكريا وآخر سلوكيا — ومن هنـــا فأنها تمثل المحرك الذى يدفع بمسيرته المجتمع الى المواقع التى تحددها اليه أيدلوجيته ٠

وقد أغرم العصر الحديث بالايدلوجيات المختلفـــة نظرا لكثرة مشكلاته وتعـــدد جوانبها وتشابكها فأخـذ العلمـــاء والفلاسفة فى محاولات لحل مشكلات مجتمعهم كل من وجهـــة نظره فنشأت بذلك علاقة بين الفلسفات والأيدلوجيات المتنوعة — والهدف من ذلك كله تحقيق الرفاهية والطمأنينة للمجتمع الـذى يعيشون فيـه أو للمجتمات كلهـــا ٠

وقـد أخفقت الأسس الفكرية التى قامت عليهـــا الايدلوجيات الحديثة لأنها ترتكز فقط على المظهر المـــادى والاجتماعى والسياسى للمشاكل فى رؤية زمنية محددة — ولم تؤمن بالنواحى الدينية لانهـــا ليست كلها مادية — ومن هنـــا جـاء فشلها لانها أهملت جانبــــا هاما من جوانب الانســـان ألا وهو الجانب الروحى فحدث انفصام لانها عنيت بناحية على حســـاب ناحية اخرى فلم تنجح الا بمقـــدار ما تحقق لهـــذه الناحية ثم فشلت فى الجوانب الاخرى ٠

ولا يمكن للايدلوجية ان تكون كاملة ومحققة لآمـال البشرية الا اذا عنيت بالناحية الروحية الى جانب النواحى الاخرى — وقـــد تنبـه الى ذلك كثير من مفكرى الغرب وفلاســـفته ومنهم وليم جيمس الذى

يقول ٠٠ (الايمان بالله هو الذى يجعل للحياة قيمة وهو الذى يمكننا من أن نستخرج من الحياة كل ما فيها من لذة وسعادة ـ وهو الذى يجعلنا نتحمل كل ما فى الحياة من محن ونتقبلها بكثير من الشجاعة والرضا ـ وهو الذى يهيىء لنا كل ما هو ضرورى لحياة وادعة) ٠

ثم ان الايدلوجية الكاملة لابد لها من شرطين حتى تحقق أثرها الكامل وتؤتى ثمارها المرجوة فى المجتمع الذى تطبق فيه ٠

الشرط الاول :

أن تكون الايدلوجية مستوعبة لكل قضايا الحياة على أعلى مستوى ـ وهذا لا يتحقق الا فى الاسلام ـ فالقرآن كتاب الله الموثق المشتمل على كل ما يحتاج اليه الانسان فى نفسه وفى أسرته وفى مجتمعه بصورة لم تصل اليها أية أيدلوجية بشرية يقول ادوارد كيور المفكر الانجليزى (ان دماغا فلسفيا موحدا يستطيع أن يحكم كل قضية فى الاسلام أعلى من تصورنا الفكرى) ٠

الشرط الثانى :

أن تكون الايدلوجية غير متعارضة مع حقائق الكون المادية التى ستنتهى اليها العقول فى مستقبل الايام ـ ولا نجد هذا أيضا الا فى الاسلام يقول : اليكس لوزان (الانسجام تام بين تعاليم الاسلام وبين القوانين الطبيعية فلا يوجد تعارض بين حقيقة علمية وحقيقة قرآنية ـ وهذا الامر أتعبنا جدا فى ديانتنا هذه ـ يقصد المسيحية ـ لانها ليست منسجمة مع حقائق الوجود لان التحريف وصل اليها) ٠

والاسلام منهج حياة كاملة ملحوظ فيه نواميس الفطرة التى تعرف النفس البشرية فى كل أطوارها وأحوالها ـ والجماعات الانسانية فى كل ظروفها وأحوالها تعالج النفس المفردة والنفس المتشابكة بالقوانين الملائمة للفطرة المتعلقة فى وشائجها ٠

أما النظم البشرية فهى متأثرة بقصـور الانسـان وملابسات حياته فهى تقصر عن الاحاطة بجميع الاحتمالات فى الوقت الواحد ـ قـد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بـدواء يؤدى بدوره الى بروز ظاهرة أخرى تحتاج الى علاج جديد .

وتقوم أيدلوجية التربية الاسـلامية على أسس أهمها تحرير الوجدان والنظرة الشاملة والعدالة التامة وسنوضح ذلك على الوجـه الآتى :

تحرير الوجدان :

المجتمع الاسلامى مجتمع متحرر من كل عبودية للعبد فى أى صورة من صور العبودية الموجودة فى كل نظـام بشرى ـ ذلك لان المجتمع الاسلامى تتوحد فيـه الالوهية وتتمخض للـه خالق البشر والكون ـ ومن هـذه الحرية تنطلق الاصلاحات كلهـا لان مردها جميعها الى الله ـ وهدفها ابتغاء رضوان الله ـ وقـد جعل الاسلام النية أسـاسا لتقدير كل عمل (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) رواه البخارى ومن هنـا فان المسلم يسعى لتوثيق صلته باللـه تعالى فيتحرر وجدانه من عبادة غير اللـه ومن الخوف من أحـد سواه لأن الله هـو صاحب السلطان المطلق فى الكون (ما يفتح اللـه للناس من رحمـة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده) فاطر (٢) ثم ان الناس جميعا سواسية فى امكان الاتصال بالله تعـالى دون وسـاطة فهو خالقهم الذى يفتح بابه أمامهم للاتصـال بـه دون وسـاطة (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعـوة الداعى اذا دعـان) البقرة ١٨٦ ـ بـل انـه ينادى الذين أسرفوا على أنفسهم أن يقبلوا عليـه تائبين وهـو سيغفر لهم ذنوبهم كلها (قـل يـا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمـة اللـه ان اللـه يغفر الذنوب جميعا انـه هـو الغفور الرحيم) الزمر ٥٣ ـ وقـد تنبهت الى ذلك الدكتورة لورا فاجليرى فقالت فى كتابها تفسير الاسلام (تحررت الروح من التعصب وتحررت ارادة الانسـان من الروابط

التى طالما ربطتها بارادة الآخرين وسقطت عروش القسس وحراس العقيدة الزائفين وسماسرة الخلاص ـ وكل هؤلاء الذين كانوا يزعمون انهم وسطاء بين الله وبين الانسان وأن لهم بذلك السلطة على الآخرين) ٠

وقيم المال والجاه والحسب قيم جاهلية غير اسلامية وهى لذلك لا تحقق لاصحابها فى ميزان الاسلام ميزة ولا تضفى عليهم فضلا الا اذا صاحبها ايمان بالله واستقامة على العمل بأمره (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات ١٣ ـ وبناء على هذا المبدأ الربانى يسعى المسلم لتوثيق الصلة بينه وبين ربه وبينه وبين نفسه وبينه وبين مجتمعه لتكون حياته الباطنية حياة اشراق لا انحدار باسم الترقى والتقدم الى منزلة الحيوان فى مجتمع الاستهلاك الغربى بحيث يزيغ العقل وتجف العقل وتتمزق النفس ـ والانسان بعد ذلك يعيش فى خسران ـ اذا لم يكن على صلة دائمة بالحق والخير والجمال ـ أما غرور الانسان فيدفع دائما الى العبث والفجور ثم الضياع ٠

ونجد ـ فى الغرب ـ أحيانا من يتنبه الى هذه النواحى فمن ذلك أنه كان مكتوبا على جدران السوربون (اننا نرفض عالما حيث الضمانة ضد الموت بالجوع تشترى بمخاطرة الموت بالهم والغم) ولكن ذلك قليل لا يؤثر فى المجتمع ولا فى الايدلوجية التى تقوم على حياته ٠

والمسلم يعرف أن أيدلوجية الاسلام تتطلب منه بذل المجهود الى أقصى حد ممكن فى العلم والخير والقوة المادية والمعنوية لتحقيق خلافة الله فى الارض ـ وبذلك يستنير العقل بالعقيدة وتزدهر النفس فى ميدان التربية والتفكير هدفا واصالة ـ ويزدهر الجسم كما تزدهر الروح فى مجالات المعرفة النظرية والعملية من العلوم الصناعية والنفسانية والجمالية الى الترقى المشرق فى العقل ٠

واذا بدأ عصر الانحطاط فى أمة فان ذلك سيكون مصاحبا

لانخفاض التفكير ــ وقد لاحظ هــذه الظاهرة الفيلسوف ليوبولد البلجيكى فقال (ان الانسان المنتمى الى عصرنا هــذا لا يؤمن بشىء ولا يفكر ــ أو أنه لم يفكر بعد ــ ولكنــه يعلم كثيرا) ويقول (ان نهاية المسيحية أيضــا نهاية الايدلوجيات الاخرى كالماركسية التى تجتاز من أجــل ذلك أزمــة عنيفة ــ وأن هــذه الازمة ليست أبــدا علاقة حيــاة بل علاقة مــوت) واذا تحرر وجــدان الانسان من عبادة غير الله فأنه سيتحرر أيضــا فى حكمه على الناس فأصول الحــكم ربانية ومصلحة الامــة تقوم على هــذا الاساس ٠

والله جــل شأنه يرعى الانسان رعاية دائمة فهو يطمئنه فى البداية على رزقه (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها) هود ٦ ــ ويذكر اللــه سبحانه وتعالى من العلاقات بينــه وبين عباده ما يجعل الانسان يرتبط بــه ويخجل من عصيانه والخروج من طريقــه يقول الحديث القدسى (يــا ابن آدم ان ذكرتنى ذكرتك وان نسيتنى ذكرتك تعرض عنى وأنــا مقبل عليك من أوصــل اليــك الغــذاء وأنت جنين فى بطن أمــك لم أزل أدبر فيــك تدبيرا حتى أنفذت ارادتى فيك ــ فلما أخرجتك الى الدنيــا أكثرت من المعاصى ما هكذا جزاء من أحسن اليك) البخارى ومسلم ٠

والحب بين اللــه وبين عباده المؤمنين الذين يتبعون رســوله ويعملون بأوامره (قل ان كنتم تحبون اللــه فاتبعونى يحببكم اللــه) آل عمران ٣١ ــ وأولياء اللــه فى حماية الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم ان الله يتولى الدفاع عن أوليائه (من عادى لى وليــا فقد آذنته بالحرب) البخارى ٠ وبذلك الايمان الذى يمتزج فيــه العقل بالعاطفة يقوم الاســاس الاول للايدلوجية الاسلامية الــذى يجعل المسلم يسير وفقــا لتعاليم الاسلام ٠

النظرة الشاملة :

الاسلام ينظر الى الانسان نظرة شاملة من جميع نواحيه الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية وبذلك لا يعيش المســلم جوعان من الناحية الجسمية ولا فى ظــلام من الناحية العقلية ولا فى اضطراب

من الناحية النفسية ولا فى فشل من الناحية الاجتماعية ــ وذلك كلــه يحدث للانسان اذا ما اعتنق أيدلوجية تهتم بناحية وتهمل النواحى الاخرى ٠

ومن الجدير بالذكر أن فطرة الانسان اذا ما تركت بدون مؤثرات خارجية فانها تهتدى الى الطريق السليم يقول الرسول الكريم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) رواه البيهقى والطبرانى ــ ويقول جــان جاك روسو (خلق الانســـــان طيبــا بعد خروجــه من يد الطبيعة ولكن الفســاد يتطرق اليـــه من المجتمع) فالفساد اذن يتطرق الى الانسان من عوامل التربية التى تؤثر فيــه اذا ما كانت أسسها غير ســــليمة ــ وتتركز فى المنزل والمدرسة والمجتمع بكل ما فيــه من أجهزة الدعاية والاعلام ومن النوادى والنقابات وأماكن التجمعات وما الى ذلك ــ لأن الانســـــان موجود فى بيئة يؤثر فيها ويتأثر بها ولابد من الاختلاط لكل فرد اذ أن ضرورة كسب المعـــاش تحتم عليــه ذلك ــ ثم ان الانسان اجتماعى بطبعــه لا يستطيع أن يعيش وحـــده حتى لو أتيحت له ظروف المعـــاش ــ ومن المجتمع يأخذ تجاربه اليومية رهو الميدان النفسى الذى تعلو فيه وتســـــفل بسبب الارادة التى تقـــود الانســـــان ــ وفى ميدان العلم والمعـــرفة هنـــاك ميدان لا يدخل فيــه وهـــو ما يطلق عليـــه فى الاســـلام ــ الغيبيات ــ فالانســـــان عليه أن يريح نفســـه منها مثل ما الروح ؟ وما النفس ؟ وما الآخرة ؟ وما الى ذلك ــ فهـــذا الميدان النفسى لا يمكن أن يصـــل للانسان فيه الى شيء يقول الله تعــالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) الاسراء ٨٢ أما ما عـــدا ذلك فيمكن للانسان أن يبحث فيــه وأن يجرى عليـــه التجارب المختلفة ما دام الانسان بكامل قوته ــ وهـو لذلك مسئول عن كل ما يعمله ــ وعن ــ كل ما يعتنقه فاذا لم يكـن الانســـان بكامل عقله أو كان عقله غير مكتمل كالصبى الذى لم يبلغ سن الرشـــد فان المسئولية تنتفى عنه ٠

وقد وصل المسلم الى ذروة الاستقلال العقـــلى لانه خرج من

الاستبداد الفكرى ومن الحجر والوصاية على عقلـه ومن ذلك أنه بعيد عن سجن الايدلوجيات المـادية كالماركسية ـ ومما يلاحظ فى مجتمعاتنا الحديثة وجود خداع للعناوين وذلك حين يريد الانسـان مخادعة الانسان بهدم عقيدته حتى لا تبقى الا عقيدة المخادع فانه يقول له عليك بحرية الفكر ـ وهـو يقصد بذلك حرية الفكر التى لا تتجاوز الماديات فان فعـل ذلك فهـو متحضر والا فهو رجعى ـ ومن هنـا وجدنا أن الثائرين فى المجتمعات الحديثة ليسوا من المحرومين ـ بـل من أبنـاء الأغنياء الذين انخدعوا بالعناوين التى تبرزها المـادية الحديثة ٠

ونلاحظ أن الآراء والعادات تنتشر فى العالم بسرعة ـ لكن العقيدة الاسلامية تحفظ الانسان فى أرفع مكانة بحماية استقلال العقل ورفع التكليف عن الذين لا يتمتعون بالرشـد أو السلامة العقلية أو الحرية وتحص الامـة العربية على تحمل الامانة ـ كما أن العقيدة الاسلامية تحفظ المسلم من الاستبداد بالرأى والحكم ـ ومن اسـتغلال الناس واستعبادهم فقـد وجدت الحياة الانسـانية لتحمل أمانة الاستخلاف للناس فلا بد وأن ينالوا حريتهم حسب منهج الاحرار لا منهج العبيد الرابض فى زيغ المعرفة ومصـيدة التحريف والحرية بأوسع معانيهـا هى أرفع درجات الرقى التى ينبغى أن يحرص عليها الانسان ٠

والاسلام لا يحجر على الفكر ـ ولذلك أصبح من الطبيعى أن تجـد فى المجتمع الاسلامى عبارة (اختلاف العلماء رحمة) يقصـد بذلك انه رحمة لمصلحة الامة ثم مصـلحة ازدهار الحياة الثقافية التى تضمحل دائما فى حـكم الاستبداد كيفما كان لونه ٠

وفى المـال ـ يرى الاسلام أنه مال الله تعـالى بصفة أصيلة ثم هو مال المجتمع الذى يجب أن يحافظوا عليـه حتى ممن تحت يـده اذا كان غير صـالح للتصرف كالسفيه الذى يقول الله تعالى فيه (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم) النساء ٥ ـ وكاليتيم الصغير الذى طلب القرآن ألا يعطى لـه مالـه الا اذا بلغ سن الرشـد الدينى وسن الرشـد الاجتماعى وفى ذلك

يقول الله تعالى (وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم) النساء ٦ – ثم نظم طريقة التعامل فيه حيث أباح أنواعا من المعاملات وحرم أنواعا – وجعل فيه حقا للفقراء والمساكين وحقا للدولة والمجتمع ·

العدالة التامة :

فى الاسلام عدالة كاملة شاملة وتقوم العدالة الاسلامية على دعائم ثلاث : الدعامة الاجتماعية والدعامة السياسية والدعامة العسكرية – وكلها تتجمع لتحقيق العدالة العامة للناس جميعا فى جميع الظروف وفى كل الاماكن ·

الدعامة الاجتماعية :

تبدأ العدالة الاسلامية من نظرة الاسلام الى الناس فهم متساوون أمام الله تعالى فى الدنيا والآخرة (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) النحل ٩٧ – وكل شىء فى الاسلام واضح ومقرر – ومن هنا فاننا لا نجد فى الاسلام من يدعى أنه من نسل الآلهة أو أن الدم الذى يجرى فى عروقه ليس من نوع دماء العامة او أن الله فضله وقومه بصفة خاصة أو غير ذلك – تقول الدكتورة لورا فاجليرى (وبينما كان الناس يقاسون من الفوارق الاجتماعية أعلن الاسلام المساواة بين البشر ولم يصبح لمسلم امتياز على مسلم بأصله أو بأى عامل آخر لا يتعلق بشخصه – وانما أصبحت الميزة خشية الله تعالى والعمل الصالح والقيم الخلقية وفى ذلك يقول الله تعالى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات ١٣ – ومن معنى حديث النبى صلى الله عليه وسلم (أن الله أنهى بالاسلام التفاخر الذى كان طبيعته الوثنية والتحدث عن الآباء لأن الناس خلقوا لآدم وآدم من تراب فأفضل الناس عند الله هو أخشاهم له ·

وقد جاء الاسلام ليحرر الجنس البشرى فى المنشأ والمصير ـ فى الحقوق والواجبات ـ وكانت هـذه الناحية وثبة بالانسانية لم يعرف لها التاريخ مثيلا (خلقكم من نفس واحدة) النساء ١ ـ والعدالة الاجتماعية بعد ذلك تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدانات ـ والقيم التى تتناولها هـذه العـدالة هى القيم المعنوية والروحية جميعا ٠

وفى الحياة الاسلامية تراحم وتواد وتعاون وتكافل بين المسلمين بوجـه خاص وبين جميع أفراد الانسانية بوجـه عام ـ وقد جعل الاسـلام التكافل أساسا من الاسس التى يقـوم عليها المجتمع ـ والاسلام حين قرر الحرية الفردية قرر مقابلا لهـا التبعية الفرديـة والجماعية ـ ولذلك فأن أفراد المجتمع كلهم مسئولون (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) البخارى ـ والمطلوب فى مجتمع المسـلمين أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء للـه ـ ولا يقبل فى الاسـلام أن تؤثر المشكلات الخاصة أو الاحتكاكات الاجتماعية أو البغض ـ على العدالة ـ لأن العدالة مردها الى الله ـ وهو الذى سيحاسب كل انسـان على شهادته (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء للـه) النساء ١٣ ٠

الدعامة السياسية :

يجب على الحاكم أن يحـكم بين الناس بالعدل على أساس من شريعة الله ـ وبذلك تقوم مصلحة الامـة على أساس من العدالة التامة ـ ولذلك يقول أبو بكر الصديق (القوى فيكم ضعيف حتى آخـذ الحق منـه ـ والضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له) واذا كان هـذا من حقوق المحكومين على الحاكم فأن من حقـه عليهم أن يطيعوه ما دام يقيم فيهم كتاب الله تعالى ـ ولا يهم بعد ذلك أن يكون الحـاكم ذا شرف أو حسب أو مال ـ يقول الرسول الكريم (اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشى كأن رأسـه زبيبة ما أقام كتـاب اللـه) البخارى ٠

ويلزم الاسلام ولى الامر بالشورى فى كل الامور (وشاورهم فى الأمر) آل عمران ١٥٩ ـ وبذلك تقوم مصلحة الامة على هذا الاساس السليم ـ وبذلك لا يقع المجتمع فى اطار قصور العقل عن الاتيان بأصول ومبادىء تصلح لسائر الازمنة والامكنة ـ وحتى لا تقع فى استبداد المخادعين ولا فى تحايل مرضى العقول بجنون العظمة وسيطرتهم على الرعايا والشرائع والشعائر على السواء وحتى لا نقع فى تمويه الديمقراطية أيضا ٠

وغير المسلمين لهم حرية العقيدة (لا اكراه فى الدين) البقرة ٢٥٦ والعلاقة بينهم وبين المسلمين علاقة بر وعدل للمسالمين (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين) الممتحنة ٨ ـ وعلى ضوء هذه التعاليم عاهد النبى عليه السلام يهود المدينة فى بداية عهده بالمدينة ـ كما عاهد مشركى مكة فى صلح الحديبية ـ واليهود والمشركون أشد الناس عداوة للمؤمنين وظل عليه السلام موفيا بالعهد الى أن نقض الطرف الآخر فكان لابد من الدفاع ـ وهو الحق الذى كفله كل قانون فى الارض وفى السماء ٠

واستصحب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذه المبادىء فى موقفه من كنيسة القيامة وقد فتح الشام فلم تتعطل تشريعات الاسلام من أجل غير المسلمين ـ كما لم تفرض عليهم عقيدة الاسلام ـ ويتساوى الكتابيون مع غيرهم فى المعاملة ما عدا الزواج وأكل اللحوم وفى ذلك يقول النبى الكريم (سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم) الطبرانى ـ وغير المسلمين الذين بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق يمنحون فى الدنيا حقوقا مساوية لحقوق المسلمين (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة) النساء ٩٢ ٠

الدعامة العسكرية :

والقتال فى الاسلام هدفه تحقيق العدالة الانسانية ومن هنا

فقد أذن للذين يقاتلون بأن يدافعوا عن أنفسهم (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) الحج ٣٩ – وقد طلب رب العزة من المسلمين أن يقاتلوا فى سبيل انقاذ المستضعفين فى الارض (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) النساء ٧٥ – ولولا مقابلة الظلم بالمدافعة لاتسع نطاقه ولاثر على كل من فى المجتمع حتى ولو لم يكونوا مسلمين (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الحج ٤٠ .

والمسلم بعد انتصاره على الظالمين لا يجد فى نفسه دافعا للانتقام لانه يتعامل مع الله ولذلك فأنه يعفو ويصفح ومن هنا قال النبى عليه السلام لاهل مكة وهو فى قمة انتصاره (اذهبوا فأنتم الطلقاء) ذلك لان القتال ليس غاية فى ذاته بل الغاية هى السلام الذى لا اعتداء فيه ولا بغض ولا عدوان .

خاتمة :

تمتاز أيدلوجية التربية الاسلامية بأن الذى وضع أسسها هو النبى الكريم الذى لا ينطق عن الهوى وهو الذى طبقها تطبيقا رائعا فى اطارها السليم – ولذلك أمكن له أن يحقق معنى استخلاف الله للانسان فى الارض فقام بتحقيق العدل وأشاع الامن والمحبة والاطمئنان والسعادة بين ثنايا قلوب أفرادها .

واستطاع المسلم أن يستخدم عقله المتحرر فى تحقيق رسالته طبقا لتوجيهات الاسلام – وبالعقل استطاع الانسان أن يتبين النافع من الضار – والحرية مسئولية – وهذا ما لم تتنبه له الايدلوجيات الحديثة فأصبح الفرد فيها يضع نفسه فى سجن أفكارها كما حدث بالنسبة للهتلرية والماركسية والصهيونية وفرق كبير بين حرية الفكر واستغلال العقل فحرية الفكر قد تجعل الانسان يرفض

ما وراء الطبيعة فيعيش في حيرة وضـــياع كما حدث في الغرب الآن ـ ولـكن العقل المستقل يتقبل الحقائق التى تتميز بمطابقة الفعل للواقع وقـــد تنبه الى ذلك أحـــد شيوخ الاشتراكية وهو جان جوريس الذى يعمـــل على نشرها في فرنسا حيث يقول (ان الاشتراكية ســيكون مالها الى البوار ما لم تستوف شرطين الاول : محاسبة الضمائر ومراقبة النفوس ـ والثانى : ان الاختيار أظهر أن محاسبة الضمائر ومراقبة النفوس من المستحيل قطعـــا ما لم يدخل فيها العامل الربانى) ٠

والاسلام يرى أن الانسان سيد هـــذه الارض وما فيها من آلة ومال وما الى ذلك فهو ليس عبدا للمال وليس عبدا للآلة كما يرى العلم المادى اليوم ـ وليس تابعا للتطورات التى تحدثها الآلة في علاقات البشر وأوضاعهم ـ فكل قيمة من القيم المـادية لا يجوز أن تطغى عـلى قيمة الانسان ـ وكل هـــدف ينطوى على تصغير قيمة الانسان مهما يحقق من مزايا فهو هدف مخالف لغاية الوجود الانســـانى فكرامة الانسان أولا وذلك أعلى وأكرم من جميع القيم المـــادية ـ وان كان تحقيق الخلافة يحتاج اليها لـكن يجب أولا الا تصبح هى الاصـــل والاسان بما ركب فيه فى فطرته من أستعدادات تجعله فذا بين الخلائق فى هذا الكون ـ ومن التكريم أن يكون قيما على نفســه متحملا تبعة أتجاهــه وعمله ٠

وأيدلوجية التربية الاسلامية هى التى دفعت الفيلسوف هرمان دى كيرلنج الى ما تنبـــأ بـه بعودة الاسلام الى ميدان التاريخ وهـذا ما يؤكده الفيلسوف الالمـانى اسنالد شينجلر بقوله (ان للحضارة دورات فلكية تغرب هنـا لتشرق هناك ـ وان حضارة حديثة أوشكت على الشروق فى أروع صورة هى حضارة الاسلام الذى يملك اليـــوم أقوى روحانية عالمية) وهى التى جعلت المستر ويلـــز أكبر مؤرخى الانجليز وأكثرهم شهرة يقول (ان كل دين لا يسير مع المدنية فى كل طـور من أطوارها فاضرب بـه عرض الحائط لان الدين الذى لا يسير

مع المدنية جنبا الى جنب انما هو شر مستطير يجر أصحابه الى الهلاك ــ وان الديانة الحقة التى وجدتها تسير مع المدنية كيفما سارت واتجهت فى تظرى هى الدين الاسلامى) وهى التى جعلت هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد يقول فى كتابه روح السياسة العالمية (وان مستقبل تقدم الدول الاسلامية ليس فى اتخاذ الاساليب المنقوصة التى تدعى أن الدين ليس له أن يقول شيئا عن حياة الفرد اليومية أو عن القانون والنظم السياسية ــ وانما يجب أن يجد المرء فى الدين مصدرا للنمو والتقدم ــ وأحيانا يتساءل بعض الناس عما اذا كان الاسلام يستطيع توليد أفكار جديدة واصدار أحكام جديدة مستقلة تتفق وما تتطلبه الحياة العصرية والجواب على هذه المسألة هو أنه فى نظام الاسلام كل استعداد داخلى للنمو وأما من حيث قابليته للتطور فهو يفضل كثيرا من الـ[illegible]م والشرائع المماثلة وانى أشعر أنى على حق حين أقرر أن الشريعة الاسلامية تحتوى بوفرة على جميع المبادىء اللازمة للنهوض) ٠

ويأتى سؤال : ما السر الذى جعل الغربيين يقولون ذلك ؟

لعل السر يكمن فى أن الايدلوجية الاسلامية اجتمع فيها ما تفرق فى غيرها ــ وأنها تناولت الانسان من جميع نواحيه فى تعاليم عليا خالدة منذ القدم ــ فاكتمل فيها توحيد العقيدة والشريعة والاخلاق والسلوك ليتحقق توحيد الفكر البشرى والسلوك الانسانى ومصير الانسانية ــ ولم يسم الاسلام دين التوحيد عبثا ٠

وبقى أن يهتم المسلمون أنفسهم بأيدلوجية الاسلام ليعتنقوها اعتناقا كاملا ويطبقوها تطبيقا سليما ــ حينئذ ستكون لهم قيادة هذا العالم الحائر حيث يسيرون به الى الامن والهدوء والعدالة والسعادة المنشودة ٠

ديناميكية التربية الاسلامية

تمهيـــد :

حين جـاء الاسلام ليكون هداية الله سبحانه وتعالى للبشرية كان من أهم أهدافه ازالة القيود التى تقف أمـام انطلاق الانسان لتحقيق رسالته فى هـــذه الحياة ٠٠ فهو خليفة اللـه فى الارض ورسالته ذات ارتباط بهذا الوجود وذات أثر فيـه أيضا ٠

وتتلخص رسالة المسلم فى نشر الايمان بالله وحـــده لا شريك له وفى اثبات أن النبوة جـــاءت لهداية الضمير الانسانى فى اكمـــال وعيـــه وادراكه حتى يستطيع الانسان أن يؤدى رسالته فى هـــذه الحياة باعتباره خليفة الله فى الارض وفى أن الغيب مختص بـه الله تعـالى وفى أن الصـــلة بين الله وبين عبادة تتم دون وسـاطة وفى أن الناس جميعا متساوون لا فضل لواحد على آخر الا بالتقوى فرسالة المسلم تهـــدف الى عمارة الارض طبقا لتعاليم الاســـلام والى اقامة العدل فيها والى تحقيق الامن بين المجتمعات المختلفة والى مداومة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبذلك تكون هـــذه الامـة خير أمـة أخرجت للناس ٠ أمـة وسط تكون شهيدة على الناس ويكون الرسول شهيدا عليها ٠٠ ولذلك تكون حيـــاة المسلم لها أهميتها ولها قيمتها الامر الذى يستلزم أن يقضيها فى الجد والعمل الدائب حتى يحقق رسالته مبتعدا عن اللهو واللعب ومبتعدا عن الهـــدم الذى يعرقـل مسيرته فلا يستطيع تحقيق رسالته ٠

وعقيدة المسلم تفسر له الوجود كله وتحدد له رسالته التاريخية فيـه وهى ما تكاد تستقر فى الضمير حتى تحرك صاحبهـــا لتحقيق واقع محدد المعالم ٠٠ ولقـــد قام الرسول الكريم بجهود ضخمة لتربية النـــاس على تحقيق هـــذه المعانى فى أنفســـهم بحيث تظهر فى

سلوكهم ٠٠ واستقرار هـــذه المعـــانى فى نفوس المسلمين بحيث تتحول الى قوة دافعــة تعمل وفقــا للمنهج الاسلامى يساوى كل هــذه الجهود التى بذلها الرسول الكريم وصحبه الكرام والتى أوصلتهم الى هذه الدرجة الرائعة من النجاح ــ ففى الجزيرة العربية حولت التربية الاسلامية المجتمع القبلى بكل ما فيــه من تناقضات الى أمــة متماسكة متحاربة تطبق قانونا واحــدا تحمل رسالة الاســـلام وتسعى لنشر دين الله والى اقامة العـــــدالة فى الارض ٠٠ وفى المجتمعات ذات الحضارات السابقة حررت مجتمعاتها من عبادة الفرد الى عبـــــادة اللــه وحــده لا شريك له وجعلتهم يحسون بأن حياتهم لهــــا قيمة كبرى فأنفقوها فيما يعـــــود عليهم وعلى المجتمع الانســـــانى كلــــه بالفائدة ٠٠ وقد أحدث الاسلام فى كل المجتمعات التى اعتنقته حركة اقتصادية ضخمة فانتقل بهذا المجتمع الجديد من مرحلة الرق الى مرحلة الزراعة والتجارة والصناعة على مســـتوى دولى ــ مجتمع مفتوح يعمر الارض طبقــــا لأسس سليمة ويؤدى فى الاموال حق اللــه ثم تنقلت الثروات فيــه بالارث ــ وفى الناحية الثقافية أوجـــــد حركة تأليف وترجمة ونشر وحركة طلب للعلـم شملت جميع البقـــاع التى انتشر فيها وكان من آثار هــــذه الحركة أن أنشــــأ المسلمون المذهب التجريبى الذى استفادت منـــه أوربا وسارت على طريقه بقوة حتى كان من أبرز خصائصها ــ وان كان الاوربيون يظنون أنه من ابتكارهم ٠

وعناصر الديناميكية فى التربية الاسلامية تتلخص فى بنـــــاء النفس من الداخل وفى الحركة السلوكية وفى الذوق الجمالى ٠٠٠ وسأتناول هـــــذه العناصر بالحديث حتى يتضح الموضوع بالصـورة التى تبين أهمية كل واحــد من هــذه العناصر وأثره فى ديناميكيـــــة التربية الاسلامية ٠

بناء النفس من الداخل :

التربية الاسلامية بدأت ببناء النفس من الداخل لانه أســـاس العمل الناجح الـذى ينبع عن النفس البشرية فلما اتمت ذلك البنـاء بدأت فى تغيير المجتمع الذى تعيش فيــه على أسس الاخلاق الاسلامية ٠

وهـــذا ضرورى لبنـاء المجتمع فى جميع مجالاته ـ وبذلك كفلت هذه التربية لكل فرد حاجته وســـعادته . كما كفلت للمجتمع كله ترابطه وطمأنينته ـ فالتربية الاسلامية تتقصى أبعـد الجوانب فى قلب المؤمن وتنظم انفعالاته وتجعله يسير فى الطريق الذى رسـمه الله له ـ وفى الوقت نفســـه بـه نحو ماضى الانسانية كما تعلمه واجبات الحياة وعناصر النجاح فيها وكيف هلكت الامم التى تجبرت ورفضت أن تؤمن باللـه وتعمر الارض بالاسلوب الذى ينتج للانسان الانسجام التـــام مع الكون ما فيـه ومن فيـة ـ كما يتجه به نحو مستقبل الانسانية ليبعد عنه نواحى القصور ـ وتعمل على تحويله الى مجتمع متكامـــل تتحقق فيه معانى الانسانية ـ فالاخلاق الاسلامية ـ الفردية والجماعية ـ هى التى تجعل المسلم يحس بكيانه ويؤدى رسالته باعتباره خليفة للـــه فى الارض وهو متلائم مع نفسه ومـع مجتمعه شـــاعر بالرضا والطمأنينة ـ وتجعل المسلم يسير فى طريق البناء الحضـارى وفقـا للاسس الاسلامية ووفقـــا للثقافة الاسلامية التى تطبع أســـلوب الحي فى المجتمع الاسلامى بسلوك معين ـ وفى الوقت نفســه تطبع سـلوك الفرد بطـابع لا يختلف مع أسـلوب هـذا المجتمع ـ وهـذا الاسلوب المتكامل فى ســـلوك الفرد والمجتمع يختلف عن أســـلوب المجتمعات الاخـرى .

والمسلم بذلك يرى نفسه مدفوعا الى السير فى الطريق الذى رسمه الاسلام له والقائم على أساس الايمان بالله وتحقيق المبـادىء الإسلامية ـ وقـد وضـــح القرآن الكريم ذلك فى قوله (انهم كانوا يسـارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبـــا ورهبا وكانوا لنـــا خاشعين) الانبياء ٩٠ .

ومما يساعد على استمرار هـــذا السلوك أن المجتمع الاسلامى يضع مجموعة من العلاقات الثقافية التى تحيـــا فيها الافكار ـ كما يوجد فيها الدفء الانسانى الذى تفتقده جميع المجتمعات ـ وفيـه يجد كل فرد مسلم حاجته النفسية وتجعلـه يشعر بالمودة والاطمئنان ـ كمـــا تجعله يحس بمشكلاته الخاصة ومشكلات المجتمع كله ويتعاون

على حل هذه المشكلات في جو هادىء بعيد عن الانفعالات الضـــارة وفى أسلوب علمى يكفل حل كل مشكلة على أساس سليم .

ومن هنـــا يتضح ان دور الانسان هو الدور الاول فى هـــذه الحياة فهو الذى يبدل ويغير فى أشكالها وفى ارتباطاتها وهـو الذى يقود اتجاهاتها السليمة ولا غرو فهـو ســـيد هـــذه الارض ومن أجله خلق الله كل شىء فهو أعز وأعلى من كل شىء مادى .

وهكذا يظهر الاسلام مكانة الانسان الحقيقية وأهمية دوره فى هـذه الحياة بينما تعجز الفلسفات البشرية عن تفهم الانســـــان من جميع جوانبه فغلبت جانبا أو أكثر وأهملت بقية الجوانب وكان هـذا سببا من أسباب فشلها فى تحقيق سعادة الانسان وطمأنينته وسعادة البشرية وأمنها ... ومن هنـــا كان النجاح المنقطع النظير لكـــل المجموعات التى ربيت على أساس التربية الاسلامية .

يقول الدكتور كانتويل سميث : أستاذ الدراسات الاسلاميـــــة بجامعة مونتريال فى كتابه : الاســـلام فى التاريخ الحديث (المسلم ينظر الى المستقبل ليقيمه على أســـاس من الماضى المجيد ويسعى الى الغـد ولا يفوته أبدا أن يلتفت الى الامس البعيد ــ وانه لم يكن من الجامدين الكارهين للتقدم ومسايرة الزمن على ما تقتضيه الحضـــارة الحديثة) ويحكى المبشر الغربى ارشيبالد فورد الذى عاش فى صحراء العرب أكثر من أربعين عاما عن رحلة له استغرقت عشرة أيام مع بعض العرب فى شهر رمضان مرت بهم فيها مرحلة استغرقت ثلاثة أيام لم يجدوا فيها قطرة مـــاء واحدة الى أن وصلوا الى بئر قبل موعـــــد غروب الشمس بساعتين ــ وكان يتوقع أن ينكب كل واحـــد منهم على البئر ولو لمجرد أن يمضمض فمــــه الجاف فى حرارة القيظ بعد جفـاف ثلاثة أيام ولكنهم امتنعوا جميعا ودعوه هـــو أن يشرب ويتركهم الى أن يحين موعد الغروب والافطار .

ولعل هـــذا يبين لنا أثر التربية الاسلامية التى تأتى من داخل النفس فتجعل المسلم يتعامل مع الله على أســـاس من الاحســـــان

فى العمل فهو يعبد الله كأنه يراه ٠٠ ومن هنـــا فهو لا يحتاج الى رقيب خارجى لان الرقيب موجود فى الداخل ــ فالمسلم لذلك يراقب الله تعالى فى السر كما يراقبه فى العلن ويعمل على ارضـــائه ما استطاع الى ذلك سبيلا ٠

واذا كان المجتمع الاسلامى المعاصر ليس على هـــذا المســـتوى ولا قريبا منه فان السبب يكمن فى انتقاء بنـــاء النفس من الداخل على أسس اسلامية فهو اما أن يكون قـــد ربى على الاخلاق غير الاسلامية أو أنه لم يأخذ من الاخلاق الاسلامية الا اسمها ــ ففقد بذلك الاساس الاول للبناء السلم لها فأصابه التفكك والتمزق وأهـــدر بذلك امكاناتـــه بطعن حضارته من أساسها وحدثت لذلك فجوة بين مثـــل المســـلم وواقعه بين ماضيه وحاضره ــ وعليه أن يتنبه الى ذلك وأن يبدأ فى الطريق السليم ببناء النفس من الداخل على الاسس الاسلامية حتى يستطيع أن يؤدى رسالته فى هـــذه الحياة ٠

الحركة السلوكية :

مجتمع الجاهلية كان مجتمع ركود لانه ســـار على لون من الحياة الهادئة والوادعة ــ والفرد كان يتمتع فيـــه بشعور الاستقرار ولم يجد الاسباب التى تدعوه الى تغيير ما حوله ــ فقنع بما هـــو فيـــه وسارت حياته على النظام الذى كان يعيش فيه ــ فلما جـــاء الاسلام بالعقيدة الجديدة أحدث هزة عنيفة فى كل فرد من أفراد هـــذا المجتمع ــ وكانت النتيجة تغيير الاوضـــاع كلها طبقـــا للاسس التى جاء بهـــا ــ وبالتالى غيرت مجرى التاريخ فى العالم كله مشرقة ومغربة ــ وذلك لان الايمان الصحيح متى اســـتقر فى قلب المؤمن ظهرت آثاره فى السلوك ــ والعقيدة دائما تتحرك لتحقيق مدلولها فى المجتمع وتحوله الى عمل نافع طبـــقاً لمـــا رســـــمه الاســـــلام ٠ ٠ ٠ يقول الدكتور ولفـــريد كانتويل (ما من دين اســـــتطاع أن يوحى الى المتدين به شـــعوراً بالعزة كالشعور الذى يخامر المســـلم فى غير تكلف ولا اصطناع) ويوضح هـــذا المعنى الاستاذ مونتجومرى وات عميد قسم الدراسات العربية بجامعة ادنبره فى كتابه الاسلام

والجماعة المتحدة باظهار زاوية أخرى من أثر الاســـلام فى أبنائه فى قوله (ان عقيدة الاسلام أمدت أبناءه فى كل عصر بالقوة المحركة التى ينظرون اليها ويترسمون خطاها وتسمى الطيف أو المثــال الذى يحفز السائر الى الحركة والتقدم وتهون عليه مشقة الطريق) .

فمنهج الاسلام فى التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها الى حركة ســـلوكية واقعية - وتحويل هـــــذه الحركة الى اعادة للبناء السليم طبقا لاهداف الاســـلام مع استمرار الدافع الشعور الاول فى كل حركة حتى تبقى حية متصلة بينبوعها الاصـــلى - وهو الايمان (كنتم خير أمة أخرجت للنـــاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ .

فالايمان بالله وعبادته المتصلة يحرران الانســـان من العبودية والخضوع لأية قوة مادية وبشرية ومن كل العوائق الداخلية والخارجية فينطلق الى أداء رســـالته - وهو يحس بالحمية والحيوية - والله معين على أدائها - وتتكفل برعايته وتضمن له الثواب - سواء أصاب أم أخطأ ما دامت الوجهة كلها له ... والمسلم بهذا يحدد موقفه من العالم كله كصانع للتاريخ ومحرك له يقول المستشرق الفرنسى مونتييه مدير جامعة جنيف ان الحمية من الصفات المميزة للدين الاســـلامى وان المسلم غالبا ما يحمل فى جسمه أنسجة التبشير) - والدنيا فيها الخير وفيها الشر - والمعركة بينهما مستمرة - والباطل قوى مســـلح بأسلحة مختلفة - والله سبحانه وتعالى لم يشـــأ أن يترك الايمان والخير بدون مكافحة للشر والطغيان اعتمادا على قـــوة الايمان فى النفوس أو تغلغل الحق فى الفطر البشرية - ذلك لان القـــوة المادية التى يملكها الباطل قـــد تفتن بعض النفوس - فلطاقة البشرية حدود - ومن ثم فانه سبحانه لم يشـــأ أن يترك المؤمنين للفتن الا ريثمـــا يستعدون للمقاومة - وعندئذ اذن لهم فى القتال لرد العدوان وقـــد أخبرهم بأنهم فى رعايته وحمايته وأنه يكره أعداءهم لكفرهم وخيانتهم (ان الله لا يحب كل خوان كفور) الحج ٣٨ - وقـــد حكم لهم بأحقية دفاعهم من الناحية الادبية فهم مظلومون غير معتدين ولا متبطرين وأن لهم أن يقاتلوا وأن يطمئنوا الى نتيجة المعركة (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) الحج ٣٩ - وقـــد أخبرنا بأنهم

فى حمايته وأنه سيتولى الدفاع عنهم (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) الحج ٣٨ — ومع ذلك فهم منتدبون لمهمة انسانية كبيرة لا يعود خيرها عليهم وحدهم انما يعود على الجبهة المؤمنة كلها وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الحج ٤٠ — بل يعود على الدنيا كلها حين تحس بالمساواة الكاملة والعدل والامن والاستقرار فى الدولة الاسلامية — ومن هنا فان الاسلام لا يرضى للمسلمين بالتكاسل فى أداء هذه المهمة ولا بالضعف حتى ولو كان ذلك فى أوقات الشدة ولذلك فانه يعالج فيهم الوهن والخواطر الفطرية بوسائلها فيقول (ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) محمد ٣٥ — فالمؤمنون هم الاعلون لارتباطهم بالله ولمنهجهم الالهى وغايتهم السامية والله معهم فليسوا وحدهم وما يكون أعداؤهم هؤلاء ما دام الله معهم — والله سبحانه وتعالى قد تكفل بنصر المؤمنين ما دامت الوجهة له والنصر لدينه (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) الحج ٤٠ — وكل ما يبذله المؤمنون محسوب لهم ولن ينقصهم أعمالهم ٠

ثم ان الاسلام يهون شأن الدنيا التى قد تصيب المسلمين ببعض الابتلاء فيها وسيوفيهم ربهم أجورهم يوم القيامة — والحياة الدنيا ما هى الا لهو ولعب حين لا يكون وراءها غاية أكرم وأبقى حين تقاس لذاتها مقطوعة عن منهج الله فيها ذلك المنهج الذى يجعلها مزرعة للآخرة ويجعل احسان الخلافة فيها هو الذى يستحق وراثة الدار الباقية (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) محمد ٣٦ — ٠

ونحن نلاحظ أن الاسلام جاء بقضايا عامة ربى على أساسها أبناءه تربية قائمة على أساس الايمان بالله ولم يعالج قضايا جزئية لان من طبيعة هذا العمل أن يستنفد الوقت والجهد فى أشياء قليلة الجدوى ٠

وفى مجتمعنا المعاصر نرى أعداء الاسلام يحاولون جر

المسلمين الى قضـــايا جزئية كحرية المرأة وتعـــدد الزوجات والطلاق بحيث تستنفد الجهد والوقت وتصرف المسلمين عن هدفهم الاساسى ـ ولقد نجحوا فى الفترة الماضية الى حـــد كبير ـ ولكن المؤمنين بدءوا فى التنبـــه الى ما يكيده لهم أعداؤهم وفى لم شملهم ـ والحرب مستمرة بين الحق والباطل بين حزب الله وحزب الشيطان ـ والنصر لحزب الله لانه الذى ينفع الناس فى الدنيا وفى الآخرة (فأما الزبد فيذهب جفـــاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) الرعد ١٧٧ .

الذوق الجمالى فى الاسلام :

الذوق الجمالى كان من أهم العناصر الديناميكية فى الامم الاسلامية وذلك لانه يحرك الهمم الى التدبر فى ملكوت اللـــه فيشعر المســـلم بالجمال والفن الذى يؤثر فيـــه داخليا ويجعل ســـلوكه قائما على أساس من رقة الاحساس وقوة العاطفة (افلم ينظروا الى الســـماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومـــا لها من فروج والارض مـــددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل وزج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) ق ٨٦ ـ ويدعوه هـــذا الى أن ينظر لا الى المصلحة الخاصة بـــه وحدها بل ولا العامة للمجتمع الاسلامى أو المجتمع البشرى كله ـ بـــل لقد شمل غير بنى الانسان من مخلوقات اللـــه وقد ذكر النبى صلوات الله عليه فى حديثه ان الله غفر لمسلم عطف على كلب وجـــده يلهث من العطش فملأ خفـــه من بئر وسقاه ـ كما ذكر أن اللـــــه عـــذب امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت جوعا فلا هى أطعمتهـــا وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض .

وبالذوق الجمالى يجد الانسان فى نفســـه نزوعا الى الاحسان فى كل شىء يقول الرسول الكريم (ان الله كتب الاحسان على كل شىء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحـــة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) مسلم ـ فالمطلوب هو الاتقـــان الذى تصحبه مشاعر الانسانية ويصحبه الاحساس باللـــه فى قرارة الضمير والعمل من أجـــل خشيته فهو يدخل الى النفوس من أعماقهـــا ويوجهها الى

الجمال والاحسان فى الافكار والاحسان فى المشاعر والاحسان فى الاعمال ــ وحين تتجه النفس الى الاحسان وتتهذب المشاعر وتنظف السلوك ــ حينئذ يلتقى الانسان والكون والحياة ــ يلتقى معها فى نظرة واحدة شاملة ... ومن هنا كان الحديث الشريف عن الاحسان (أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فهو يراك) رواه مسلم وحين يحس المسلم بان الله يراه فانه سينظف نفسه ويحاسبها على كل صغيرة وكبيرة ويتوجه الى الله نقيا خالصا وحينئذ يستقيم أمر الحياة كلها وذلك لا يتحقق الا بالمران والصبر والدأب .

ولقد شاءت ارادة الله تعالى أن يخلق الانسان على خصائص تجعل استقرار هذه الحقيقة فى ضميره وفى اتمام حياته موكولا لهذا الجهد الانسانى بعون الله حتى يكون لفكر الانسان ومجهوده وسلوكه أثر فى هذه الحياة فيعمل ما استطاع الى ذلك سبيلا فالله سبحانه وتعالى كرمه وجعله خليفة له فى الارض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدالة والامن وهذا كله يتم بتفكيره واخلاقه وسلوكه ــ والله معين له على هذا كله .

وهذه المهمة الضخمة تحتاج الى جهد ضخم وقد طلب القرآن الكريم من المؤمنين ان يستعينوا على ذلك بالصبر ــ الصبر على الطاعات والصبر على المعاصى والصبر على جهاد أعداء الله والصبر على الكيد بكل صوره والصبر على طول الطريق الشائك الى غير ذلك والزاد المستمر والمدد الذى لا ينقطع يكون فى الصلاة وفى القرآن الكريم (يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) البقرة ١٥٢ ــ فالصلاة هى التى تجعل الانسان الضعيف يتصل بالله القوى ــ هى القوة الكبرى التى يستمد منها العون حتى يتجاوز الجهد قواه المحدودة ــ هى الصلة المباشرة بين لانسان وخالقة ــ هى اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود ــ ومن هنا كان النبى صلوات الله عليه اذا وجد نفسه فى ضيق هرع الى الصلاة ومن أقواله (أرحنا بها يا بلال) وكان يكثر من الصلاة اذا حزبه أمر ليكثر من اللقاء بالله .

خـــاتمة :

تكون المجتمع الاسلامى قديما بوجود مفاهيم مقدســـة متفق عليها لانها من أسس الاسلام ـ ووظيفة المجتمع حفظ كيان الفرد وتحقيق أهـــداف المجتمع ـ وذلك بممارسة العبادة بمعناها الاسلامى الـــذى يشمل الزمان كله والمكان كله والعمل كله اذا وجدت النية عنـــد المؤمن فكل أعمال الانسان هى عبادة لله ما دام ذلك الإنســـان قد وضع الله نصب عينيه ٠

ولابد من العمل والجهد والابداع والتلقى الدائم عن الله لضبط العمل وتوجيهه والابداع فى مسالكه المستقيمة التى تجعل الانســـان يقف دائما فى طـــاعة خالقه الذى استخلفه (هـــو أنشـــأكم من الارض واستعمركم فيها) هود ٦١ ـ ويبلغ من تأكيد القرآن على العمل والجهد البشرى على عين الله وتوجيهه ان تـــرد اللفظ بتصرفاتها المختلفة فيما يزيد على الثلاث مائة والخمسين موضعا ـ وهى كلهـــا تشير الى أن المحور الاساسى لوجود الانسان فردا أو جماعة على الارض هـــو العمل ـ ومن المفاهيم الاسلامية قول الله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص ٧٧ ـ ذلك لان الحياة الاجتماعية بالنسبة للمسلم لا تنفصل فيها الحياة الدنيـــا عن الآخرة ٠ ولعل هـــذه ميزته الواضحة بين الديانات الاخرى ٠

فالمجتمع الاسلامى يبنى لاهداف يحققها كل فرد فى حياته ٠٠ كما يبنى لمـــا بعد الحياة بل ان بناءه للحيـــاة هـــو بناء لمـــا بعد الحيـــاة أيضـــا ما دام المسلم يريد بعمله هـــذا وجه الله تعالى ـ وكل ذلك يتطلب من المســـلم جهـــدا أكثر من جهـــد الآخرين ٠٠ والغاية من هـــذا كله تحقيق سعادة الفرد وسعادة المجتمع فى الدنيا والآخرة وفى ذلك يقول بعض الكتاب الاوربيين (لقد حول النبى محمد جماعة المؤمنين الى مجتمع متحد يؤمن بالله وتحمبه أعلى القيم الاخلاقية) ٠

ونحن نلاحظ أن العالم الذى نعيش فيه يشيع فى نفوس أفراده

القلق والحيرة فهو يفتقد السعادة لانه يفتقد الامن الداخلى والامن الخارجى وهو فى حاجة الى نهج جديد يحقق ما يفتقده ويجعله يحس بالاطمئنان وهــذا مجال الاسلام – وهــذه رسالة المسلمين (ولتكن منكم أمــة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) آل عمران ١٠٤ ٠

ومع هذا فان الدعوة الى الخير لا بد وأن يؤمن بها الداعون اليها ايمانا عمليا كما تدعو اليه الآية الكريمة (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) الصف ٢ – والا كانت النتيجة عكسية – كما أن أسلوب الدعوة لابد وأن يكون محببا للناس وليس من قبيل المصادفات أن يثنى الله تعالى على رسوله بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) القلم ٤ – وفى آية أخرى يبين له سبب التفاف الناس حوله (ولو كنت فظــا غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران ١٥ – فلو حدثت الدعوة الى الاسلام بطريقة غير محببة للناس فانها لن تشيع فى نفوس الناس حبهم للخير – بل قد تحدث دوافع سلبية تؤدى الى النفور من هــذه الدعوة وهــذا ما حدث فى كثير من الاوقات وفى كثير من الاماكن ٠

وقد لاحظ المستشرق الفرنسى ادوارد نوفتيه مدير جامعة جنيف الصفات الموجودة فى المسلمين والتى هى من خصائص التربية الاسلامية فقال (الاسلام يتنشر بوساطة المسلمين أنفسهم – فالمسلم على وجــه العموم مؤمن قوى العقيدة وتلك خاصية من خصائص الدين الاسلامى أن يستحوذ على نفس المؤمن بكليته وجزئيته) ٠

وقد جاء الوقت الذى احسسنا فيه بحاجتنا وحاجة العالم الى الاسلام وأسلوب التربية على المبادىء الاسلامية ٠

هــذا هو الاسلوب الامثل لتحقيق رسالتنا نحو أنفسنا ونحو هــذا العالم الحائر فهل نحن فاعلون ؟

منهج التربيــة فى الاسلام

رسم الاسلام للتربية منهجا متكاملا يتناول الانسان من جميــع نواحيــه بحيث لو طبق تطبيقا سليماالخرج للمجتمع الاسلامى المسلم المتكامل السوى الذى يستطيع أن يحقق هدف الاسلام من التربيــة ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الانســان فهــو أعلم باحتياجاته الجسمية ،النفسية والاجتماعية ــ وهو الذى ــ ارســل رسوله الكريم بمنهج التربية المتكامل الذى عنى بجسم المسلم كما عنى بروحــه وعقــله مراعيا فى كل ذلك استعداداته وخصائصــه واحتياجاته .

والانسان خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة له فى الأرض يقوم بتعميرها ونشر الأمن والعدل والســلام فيها (واذ قال ربــك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة) البقرة /٣٠ ولذلك فقــد كان أساس التربية الاسلامية دوام صلة المسلم بالله سبحانه وتعــالى ــ وكان المسلم القــريب الى الله ليس هو صــاحب المــال ولا صــاحب المنصب بل كان هو الذى يسير على المنهج الذى أراده اللــه سبحانه وتعالى (أن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات ١٣ .

والانسان مزيج من المــاديات والمعنويات ــ واستخدام الانســان لطاقاته كلها يحــدث توازنا بين ما دياته ومعنوياته ذلك لأن طغيان ناحية على ناحية يحدث أنواعا من الشذوذ على النحو الذى نــراه فى المجتمعات الحديثة ــ فالتربية المتوازنة من الخصائص الواضــحة فى منهج التربية الاسلامية .

ولقد عنى الاسلام بالطفل المسلم عناية كبيرة من قبل أن يولد ــ وذلك باعداد البيئة المناسبة التى يتكون فيها ويتربى بين احضانها ــ تلك هى البيئة التى تعنى به وتهيئه ليكون فردا سويا قائما بواجبه نحو

نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو البشرية كلها ونحـو ربه الذى خلقه ـ وبذلك يستشعر الرضا والســعادة ـ فاشترط فى اختيار الوالدين الدين فقال النبى عليه السلام فى اختيار الزوج (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) وقال فى اختيار الزوجه (تنكح المرأة لأربع لمـالها ولحسبهـا ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) .. فى هذه البيئـة الصالحة ينشأ الطفل ويتربى على الأساس الذى رسمه الاسلام يتربى جسمه وتتربى روحه ويتربى عقله .

تربية الجسم فى الاسلام :

لكى يؤدى المسلم وظيفته فى هذه الحياة لابد وأن تكون صحتـه سليمة وعضلاته قوية وحواسه تؤدى وظيفتها على أكمل الوجوه بحيث يؤدى كل عضو من أعضاء الجسم وظيفته وبحيث يكون هناك تناسق بين ذلك كله والا فما فائدة الحواس اذا لم ينتفع الانســان بها الانتفاع السليم الذى يميز عن غيره من الكائنات ؟ ما فائدة العـين اذا كانت لا تـرى الحقـائق التى أمامها ؟ وما فائدة الأذن اذا كانت لا تســمع ما يعود عليها بالفائدة فى الدنيا والآخرة ؟ ولذلك نعى القرآن الكريم على هؤلاء الذين لهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بهـا ولهم آذان لا يسمعون بها وقال عنهم (أولئك كالأنعام بل هم أضل) .

والاسلام يريد أجساما قوية يمكن أن تؤدى واجبها فى المجتمع الاسلامى ولذلك كان المؤمن القوى خيرا وأحب الى الله مـن ـ المؤمن الضعيف كما قال النبى عليه السلام ـ ومن هنا فقد أباح الطعـام وبين المنهج الذى يسير عليه المسلم فى هذا بحيث يستفيد الجســم منه الفائدة الكاملة ـ وبحيث لا يزيد عن حاجته فينتج منه الضرر ـ فالغذاء وسيلة لا غاية ـ وسيلة تنبه المسلمين الى العنـاية بالأساليب التى تقوى الجسم وتهيىء المســلم لرسالته كالسباحـة والمصارعـة والفروسية ـ وطلب أن يتعود الانســان الخشونة (اخشوشنوا فـان

النعيم لا يدوم) – كما أن الاسلام يريد أيضـا ذرية صـالحة تؤدى رسالتها فى هذه الحياة فنظم الجنس لتكون ممارسته فى الحدود التى رسمها الاسلام حتى يضمن النظافة والاعتدال ••• ذلك لأن الانسان أفضل مخلوقات الله سبحانه وتعالى وقد كرمه ربه فبين له كيف يرتقى بطاقاته كلها ويوفرها لأداء رسالته فى هذه الحياة وعمل على حفظها من الهبوط والانطلاق فى ملذات الحياة فان ذلك يستنفذ الطـاقة ولا يترك رصيدا للقـوة التى يؤدى بهـا المسلم رسالتـه فى هـذه الحيـاة •

ومن هنا فقد عمل الاسلام على تربية القوة الضابطة فى المسلم وتنميتها منذ الصغر – والصيام مثل واضـح لوسيلـة من وسـائل الضبط التربوية التى شرعها الاسلام – فالمسلم الذى يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة التى تعودها فانه يتعود على الارتفاع عن رغبات نفسه فيحقق بذلك كيانه وقوته وذاته ولا يصبح انسانا بغير قوة أو ارادة أو يفقد كيانه فى ناحية من النواحى التى لا يستطيع أن يتغلب فيها على نفسه وذلك ما لا يرضاه الاسلام للفرد من أفراده •

والاسلام لا يترك قلب المسلم يعيش فى فراغ – بـل يربطـه بالله سبحانه وتعالى وذلك بمراقبته فى كل عمل من أعمال يربطـه بتقواه التى يتسع معناها فتشمل كل شىء يقوم الانسان بعمله • كما يربطه باليوم الآخر الذى فيه الجزاء الأوفى ذلك لأن الانسان اذا احس بأن الحياة الدنيا هى الفرصة الوحيدة له انطلق ينهل من لذائذها قبل فوات الأوان والا فانه قد خسر بذلك كل شىء لكن الاسلام بين للناس أن الحياة الدنيا فانية وأن متاعها قليل (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا) النساء/٧٧ •

تربية الروح :

فعنى بالتربية الروحية طريق التعرف على الله سبحانه وتعالى – والاتصال به لتحقيق هدف الانسان فى الأرض فالله خلق الجن والانس لعبادته – والطريق الذى رسمه الاسلام كله عبادة •• عبادة لا تكـون

مظهرا من مظاهر الحياة بل لا بد وأن تكون عميقة ذات أثر واضح فى حياة الانسان وفى سلوكه فتكون قائمة على أساس ايجاد الصلة القوية بين القلب البشرى وبين الله سبحانه وتعالى قائمة على خطة سلوك وعمل وفكر وشعور بحيث تدفع القلب البشرى الى الرجوع الى الله فى كل لحظة – وهذا هو الضمان للمسلم فى عقد هذه الصلة ٠

وعبادة المسلم معناها أن يسير فى الطريق الذى رسمه الاسلام – فالقلب يحمل شحنة قوية من الايمان والصلة بالله تدفعه الى العمل الايجابى الذى يريده الاسلام – وكل عمل فى حياة المسلم يمكن أن يكون عبادة ما دام قد نوى ذلك (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) البخارى فالجهاد عبادة والسعى على العيال عبادة ومساعدة المحتاج عبادة وأداء الواجب عبادة – وحتى الشهوة التى يضعها الانسان فى حلال عبادة ٠

والروح هى الطاقة التى يتصل الانسان بها بالغيب المحجوب عن الحواس ووظيفتها الاتصال بالله سبحانه وتعالى فهى قبس من الله عز وجل (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين الحجر/٢٩ ٠ وطاقة الروح لذلك كانت أكبر طاقات الانسان التى تؤثر فى سلوك الفرد كما تؤثر فى سلوك المجتمع ولذلك فقد عنى الاسلام بتربيتها بطريقة فريدة وذلك بعقد الصلة الدائمة بين الروح وبين الله سبحانه وتعالى بحيث يجعل هذه الصلة فى كل لحظة وفى كل عمل من الأعمال التى يقوم بها الانسان فى حدود طاقاته وامكاناته (فاتقوا الله ما استطعتم) – وهذه الصلة تقتضى أن يكون العمل خالصا لله سبحانه وتعالى – والله لا يقبله الا اذا كان كذلك – وهو بذلك يرفع من الضعف البشرى للانسان فيحميه من الانحدار الى مصاف الحيوانات – ويبين له أن الله هو السند الحقيقى له وأنه هو الذى بيده كل شىء وأن الناس لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا – وفى ذلك يقول الرسول الكريم (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم

ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله عليك ـ ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) ٠٠ فاذا ما حدث للانسان شيء يكرهه فقد يكون فيه الخير وهو لا يعرف وعليه أن يطمئن الى ذلك (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) النساء/١٩ بل ان الشيء الذى يحبه الانسان قد يكون فيه الشر وعلم ذلك كله عند الله سبحانه وتعالى الذى يتولى أموره بالعناية والرعاية وهو الذى يختار له الخير ما دام ملتجأ اليه وحده (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) البقرة/٢١٦ ٠٠ وكل ما يصيب الانسان بعد ذلك له ثوابه عند الله تعالى حتى الشوكة يشاكها المسلم لها ثوابها وبذلك يستشعر المسلم الرضا الذى يشيع فى حياته الأمن والطمأنينة ـ وهذا ما تفتقده المجتمعات الحديثة ـ وذلك أسمى ما يحتاج اليه الانسان فى هذه الحياة ٠

تربية العقل :

العقل البشرى من الطاقات التى أنعم الله بها على الانسان ويظهر هذا فى قوله تعالى (قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة) الملك/٢٣ ولقد استطاع الانسان فى العصر الحديث أن يستخدم عقله على نطاق واسع فاكتشف أشياء كثيرة استخدمها استخداما واسعا فى المجتمع البشرى ولكن تربيته لم تكن متكاملة ـ ولم يكن له رصيد روحى يوجه هذه الطاقة وتلك الاكتشافات الى الخير ففتن بما وصل اليه وطغى وتجبر ونتيجة ذلك كله ان البشرية اصبحت تعيش فى مشكلات لا نهاية لها فشقى الانسان بدل أن يسعد ـ وأصبح العقل نقمة على البشرية بدل أن يكون نعمة تنتفع به والاسلام يهدف الى سعادة الانسان والى اقامة الحياة فى الأرض على أساس من الحق والعدل فعمل على اصلاح القلب البشرى ووجه الطاقة العقلية الى التامل فى حكمة الله سبحانه وتعالى ٠٠٠ (أفحسبتم ـ انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) المؤمنون/١١٥ ـ كما وجهها الى حكمة التشريع الذى انزله الله ليطبق فى الأرض (ولكم فى القصاص

(م ٣)

حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) البقرة /١٧٩ وطلب من المسلمين أن يكون احقاق الحق بالنسبة للناس جميعا حتى تستقر النفوس وتهدأ القلوب (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء / ٥٨ ولكى يكون لهذا المنهج فاعليته واستمراره فقد جعل الاسلام كل فرد فى هذا المجتمع مسئولا عن المحافظة عليه فى حدود امكاناته (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) وهذه المسئولية ليست مسئولية سلبية بل هى ايجابية فالنصيحة مطلوبة والدين النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) — بل ان هذه الأمة كانت خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر — فان لم تسر على هذا المنهج فانها ستكون كبنى اسرائيل الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ٠٠ والمسلم مطالب بأن يكون مع الطيب ولو كان قليلا وأن يبتعد عن الخبيث ولو كان منتشرا مع أعجاب الناس به لأنه تطور ومن مظاهر التقدم (قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) المائدة/١٠٠ ٠

والاسلام يقدر الطاقة العقلية ويدربها ليستخدمها المسلم فى الخير وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقلى فطلب تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ولذلك فقد نعى على الانسان التقليد المطلق الذى لا يستخدم العقل (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال : أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم) ؟ الزخرف/٢٣ لذلك تميز المسلمون بالدقة العلمية فى ابحاثهم رغم قلة الامكانات التى كانت معهم ٠

والاسلام يوجه العقل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقاتها الواعية فى تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد /١١ — كما يوجهه الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الانسان (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) الملك/١٥ ٠

والمذهب التجريبي هو في أصله مذهب اسلامي يقول جب في كتابه (الاتجاهات الحديثة في الاسلام) (أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبي الى أوروبا في العصور الوسطى) •

كما يقول بريفولت في كتابه (بناء الانسانية على أصول الحضارة الغربية) لقد كان العلم أهم ما جاءت به الحضارة العربية على العالم الحديث ولكن كانت بطيئة •• ومما يميز هذا المنهج أن العلم سار في ظلال العقيدة فلم ينقطع عن الروح ولذلك فلم يوجد بين الدين والعلم فجوة كتلك التي نراها في العالم الغربي •

وقد رفع الاسلام من شأن العلم والعلماء (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات) المجادلة/١١ وقد جعل النبي الكريم العلماء ورثة الأنبياء وحث القرآن الكريم العلماء أن يعلموا غيرهم لينتشر العلم (فلو نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) التوبة/١٢٢ •

وهكذا يكون منهج التربية في الاسلام منهجا متكاملا يعنى بتربية الجسم والروح والعقل حتى لا تطغى ناحية من النواحي ـ وبذلك ينشأ المسلم سويا قوى الصلة بالله محققا لرسالته في هذه الحياة فيسعد المسلم ويسعد المجتمع الاسلامي وتسعد البشرية كلها •

اهـــداف التربية فى الاسلام

تمهيـــد :

تهدف التربية الغربية بكل دولها الى توجيه المواطن الصـــالح ـ ثم تعنى التربية السوفيتية بعد ذلك بالتعليم البولتكنيكى لأنه التعليم الذى يشبع مطالب الحياة ـ وتعنى التربية الأمريكية مع ذلك بتعليـم المهنة التى يكسب منها الانسان عيشة بينما تهتم التربية الانجليزية بالفرد ليكون مهذبا وهو ما يطلقون عليه (جنتلمان) أما التربيـــة الفرنسية فانها تهتم بالثقافة العقلية وكسب المعارف النظرية ٠

وقد جرى بعض علماء التربية المسلمين على هذا المنوال فقـــال بعضهم : ان هدف التربية الاسلامية الغاية الدينية ـ والغزالى يقول فى ذلك (كل علم وبال على صاحبه ما لم يرد به وجه الله وما لم تطلب بـــه الآخرة ـ وبعضهم يرى اتخاذ العلم وسيلة للعز والرفعة والحياة بين الناس قال مصــــــعب ابن عمير لابنه (تعلم العلم فان كان لك مال كان لك جمال ، وان لم يكن لك مال كان لك مال) وقال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بنى (تعلموا العلم فان كنتم سادة فقتم وان كنتـم وسطا سدتم وان كنتم سوقة عشتم) ويرى بعضهم أن العلم ينبغى أن يطلب لذاته فان فيه لذة لا تعد لها لذة قال الزرنوجى فى تعليم المتعلم (كفى بلذة العلم والفقه والفهم داعيا وباعثا للعقل على تحصيل العلم والجاحظ يقول (لست اطلب العلم طمعا فى بلوغ غايته والوقوف على نهـــايته ولكن لالتماس ما لا يسمح جهله ولا يحسن بالعاقل أن يعمله) وبعضهم يهدف الى الغرض النفعى يقول ابن سينا (واذا فرغ لصبى من تعلم القرآن وحفظ أصول اللغة نظر عند ذلك الى ما يراد ان تكون صناعته فوجه لطريقته بعد أن يعلم الصبى ان ليس كل صناعة يرومها الصبى ممكنة له مواتية ولكـــــن ما شابه طبعـــه وناسبه ٠

والاسلام جاء بنظام كامل فى التربية قائم بذاته شمل جســـم

الانسان وعقله وروحه ونظر الى الفـرد والى المجتمع وعنى بالدنيـا والآخرة ٠

وأهداف التربية الاسلامية تنبع من طبيعة الانسان فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان وكرمه وجعله خليفة له فى الأرض فاذا قلنـا أن هدف التربية الاسلامية الدين ـ لم يكن غرضنا مـن ذلك المعنى الخاص بالشعائر كما نقصد حـين نتحدث عن المسـيحية مثلا لأن الاسلام جاء للدنيا والآخرة للفرد والمجتمع جاء الاسلام ليسعد الانسان فى نفسه وفى مجتمعه فى تناسق مع نظام الكون كله ٠ والتناسـق لابد وأن يكون شاملا ـ فى التصور والشعور فى العمل والنشاط مع نظام الكون كله ، وهذا هو الذى يجعله يستطيع أن يؤدى رسالتـه خليفة لله فى الأرض وأن يحقق السعادة والطمأنينة والعـدالة فى المجتمع الانسانى ، ومن هنا كانت تربيته مستمدة من نظامه الذى يقول القرآن فيه (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين) العنكبوت ٧٧ ـ والتاريخ الاسلامى يحدثنا عـن الخليفة المأمون حين مدحه الشاعر بقوله :

أضحى أمام الهدى المأمون مشـتغلا
بالدين والناس بالدنيـا مشاغيـل

لم يرض عنه ولم يعتبره مادحا بل قال له : ويحك ما زدت على أن جعلتنى عجوزا فى محرابها ـ ثم وجهه الى الوجهة المثـلى فى المدح وهى الطريقة التى تتفق مع التربية الاسلامية فقال له هلا قلت كما قال جرير فى عمر بن عبد العزيز :

فلا هـو فى الدنيا مضيع نصـيبه
ولا عرض الدنيا عن الدين شاغلـه

ومن هنا نستطيع أن نقول : أن أهداف التربية الاسلامية تنبع من نظرة الاسلام الى الانسان التى ترى أن الانسان سيد هذا الكون وليس عبدا الا لله الذى خلقه فى أحسن تقويم وسواه ونفخ فيـه من

روحه وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له فى الأرض عليــه أن يعمرها ويقيم العدل فيها ويعيش سعيدا فى مجتمع سعيد ·

وأهم أهداف التربية الاسلامية التحرر الوجدانى المطلق وتربية الانسان الصالح وتربية الجسم والادراك وتهذيب السلوك ·

التحرر الوجدانى المطلق :

وأول هذه الأهداف تحرير الانسان المطلق بتحرير وجدانه مـن عبادة غير الله ، وقد كان الاسلام واضحا فى ذلك أشد الوضوح فلم يترك أى شبهة فى هذا المجـال ولذلك قال لنبيه الكريم (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم) آل عمران/٢٨ وقال له (واذا ســألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعــان) البقرة ١٨٦ ـ كما يهدف الى تحرير الانسان أيضا من عبــادة القيم الاجتماعية كالجاه والحسب والنسب وقالها صريحة قوية (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/١٣ ·

ولذلك فقد طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يتقـوا اللــه ما استطاعوا الى ذلك سبيلا (فاتقوا الله ما استطعتم) التغابن/١٦ ـ واتماما لهذا المنهج جعل الأعمال بالنيات وقد روى الشيخان عـــن النبى الكريم انه قال (انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) ولم يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجهه الكريم ـ وفى الحديث الشريف ان رجلا سأل النبى الكريم عن الرجل يقاتل للذكر والرجـل يقاتل حمية والرجل يقاتل للمغنم أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال عليه السلام (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) رواه الشيخان ·

والنفس الانسانية قد تذل لشيء داخلى قد تذل لشهواتهــا ـ والاسلام يبين للناس ان هذه الأشياء ذائلة وانها متاع الحياة الدنيــا (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطـرة

من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متـــاع الحياة الدنيا) آل عمران/١٤ ثم يقول بعد ذلك (والله عنـده حسن المـآب قل أفأنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجـرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) آل عمران/١٥ ذلك لأن الدنيا عمرها قصير ولا تخرج عن كونها ــ فى نظر الاسلام ــ مزرعة للآخرة يسير المسلم فيهـــا بالأسلوب الذى رســمه الاســلام ــ عمارة الأرض وتحقيق خلافة الانسان لله فى هذه الحياة ــ أما الآخرة فهى الدار الخالدة دار النعيم ودار جنى الثمار وهى الدار التى ينبغى على المسلم أن يحرص عـلى الفوز بها ٠

والاسلام يرشد المسلمين الى التواصى بالحق والتواصى بالصبر فان ذلك يساعد على التحرر الوجدانى (والعصر أن الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر) سورة العصر والتواصى بالحق فى نظر الاسلام ضرورة اجتماعيـــة ولا زال الناس بخير ما تواصوا والا فانهـــم فى خسران ــ ذلك لأن النهوض الى المثل العليا والعمل الصالح عسير والمعوقات كثيرة منهـا هوى النفس ومنها منطق المصلحة العامة ومنها تصورات البيئة ومنهـا طغيان الطغاة ــ والتواصى فيه تذكير وتشجيع واشعار بعزة المسـلم فى الهدف والغاية ــ وأنه ليس وحده فما أثقل على الانسان أن يرى نفسه وحده ومن هنا فقد كان الرجلان من أصحاب الرسول الكريم اذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ثم يسـلم أحدهما على الآخر ــ والله جل شأنه يوصى رسوله بأن يصبر نفســه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه بقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بريدون وجهه ولا تعـد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبـــه عـــن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف/٩ ــ وهو بهـــذا يوصى المسلمين جميعا حتى يحققوا رسالتهم ٠

والنفس البشرية قد تذل للقمة العيش ــ والله سبحانه وتعالى

يبين للمسلم أن رزقه مضمون له (وفى السماء رزقكم وما توعدون) الذاريات/٢٢ ويطلب النبى من المسلمين أن يعملوا لكسب قوتهم فيقول (لأن يحمل أحدكم حملة حطب فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وفى الوقت نفسه فرض الزكاة فى أموال الأغنياء لترد على الفقراء ــ وقد نجح الاسلام فى ذلك نجاحا رائعا حتى أن جوستاف لوبون قال (ان الاسلام هو الذى علم الانسان كيف تستقيم حرية الفكر مع استقامة الدين وقد كان يظن أنهما لا يجتمعان) ٠

ولكن التفكير الغربى الحديث أفسد فى أذهاننا معنى الحرية حين هدم حدودها الروحية والنفسية ثم استبقى حدودها المادية فالانسان فى مفهوم الحضارة الغربية ليس حرا فى أن يعتدى على مال غيره أو على شخص غيره ــ ولكنه فى أمر نفسه حر وان جاوز ذلك حدود العقل أو قواعد الخلق ٠

الانسان الصالح :

واذا كانت التربية الغربية قد عنيت بتربية المواطن الصالح فان التربية الاسلامية عنيت بتربية الانسان الصالح وفرق كبير بينهما هو الفرق بين القومية الضيقة والانسانية العامة ــ ومن الأوضاع الطبيعية فى التربية الغربية وجود الاستعمار والاستغلال والظلم خارج الوطن ــ ولا يخرج المواطن عن كونه صالحا ــ بل لعل هذا السلوك هو الذى يجعله صالحا ــ لكن الاسلام هو الذى ينادى بالمساواة بين الناس جميعا (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات/١٣ ويهتف فى المسلمين (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) النحل/٩٠ ــ وينادى المسلمين أن تكون العدالة بين الناس جميعا حتى ولو كانوا غير محبوبين عندهم (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى) المائدة/٨ ــ وأسلوب التعامل قائم على المودة

والتسامح واحتساب الأجر عند الله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) فصلت/٣٤ ٠

تربية الجسم :

ومن أهداف التربية الاسلامية العناية بالجسم عناية كاملة اذ به يكون قويا فيستطيع أن يؤدى رسالته فى هذه الحياة وفى الحديث الشريف (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) ثم العناية بالطفل فى فترة الحمل ـ وقد اباح الاسلام للأم الافطار فى رمضان اذا كان فى ضرر للطفل ثم العناية بالارضاع خلال عامين وهى أقصى مدة يحتاج فيها الطفل الى لبن الأم ٠

وقد رفض النبى صلوات الله عليه الاسراف فى أداء الشعائر لأنه يضنى الجسم ويصبح الانسان ضعيفا لذلك قال لمن نذر أن يصوم فلا يفطر ولمن نذر أن يقوم فلا يفتر ٠٠ ان أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ومع ذلك فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر ٠٠ الحديث) البخارى وقال لأحد أصحابه فى موقف مشابه (أن لبدنك عليك حقا) ٠٠ وقد جعل النبى الكريم من حقوق الولد على والده أن يعلمه السباحة والرماية لما لذلك من أثر فى تقوية الجسم يقول الرسول الكريم (حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية) ويقول عمر بن الخطاب (علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ٠

واللعب يربى الجسم ولذلك كان حقا من حقوق الطفل ، وكان النبى صلوات الله عليه يلاعب الحسن والحسين رضوان الله عليهما والغزالى يقول (ينبغى أن يؤذن للطفل بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح من تعب العلم) والرسول الكريم يقول (لاعب ابنك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم ألق حبله على غاربه) ٠

تربية الادراك :

اهتمت التربية الاسلامية بتربية العقـل لانه طاقة ضخمة أنعم الله بها على الانسان والاسلام يقدر هذه الطاقة ويدربها ليستخدمهـا المسلم فى الخير وقد وضع لذلك المنهج الصحيح للنظر العقـــلى وطلب تدبير نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط كما طلب التثبت فى كل شىء (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئـــك كان عنــــه مسئولا) الاسراء/٣٦ ·

هذا المنهج جعل المسلمين يتميزون بالدقة العلمية فى اتجاهاتهم رغم قلة الامكانات التى كانت معهم والاسلام يوجـه العقـل البشرى الى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية فى المجتمعات ويستخدم طاقتها الواعية فى تدبرها والبحث عن أساليبها ونتائجها (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعـد/١١ ــ وطلب مـن الناس جميعا أن ينظروا ويتفكروا (قل انظروا ماذا فى الســـموات والأرض) يونس/١٠١ ــ كما يوجه العقول الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الانسان (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليـه النشور) الملك/٥ ·

والمذهب التجريبى مذهب مادى يقول جب فى كتابه (الاتجاهات الحديثة فى الاسلام (اعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصـل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى) ·

والاسلام رفع من شأن العلم والعلماء لأنهم هم الذين يقـومون بمهمة التربية ويحققون رسالة الاسلام (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) المجادلة ١١ وجعلهم المرجع الأخير فى الأمور (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) النحل/٤٣ ــ وجعل النبى الكريم العلماء ورثة الأنبياء وطلب الاسلام من العلماء أن يعلموا

غيرهم لينشروا العلم (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) التوبة / ١٢٢ وبين للناس أن ما يعلمونه قليل (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) الاسراء/٨٥ وأن عليهم أن يطلبوا العلم من أى مكان (اطلبوا العلم ولو بالصين) وعلى امتداد الحياة (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) وأن يتجهوا الى الله فى ذلك (وقل رب زدنى علما (طه/١١٤ – وكرم الله سبحانه وتعالى العلماء فى قوله (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) آل عمران/١٨ فانتظم فى سلك واحد وفى عبارة واحدة ذات الجلالة والملائكة وأولوا العلم – ثم حصر العلماء بالقيام بجوهر العبادة والدين اذ قال (انما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر/٢٨ – وخشية الله هى التقوى وهى خلاصة رسالات السماء

تهذيب السلوك :

ومن أهداف التربية الاسلامية تهذيب السلوك الانسانى وجعله يسير على المنهج الاسلامى ففيما يختص بالانسان مع نفسه عليه أن يحفظ جسمه ونفسه وأن يكون مستقيما فى كل أموره وذلك مع الايمان بالله وأداء الواجبات كاملة (فاتقوا الله ما استطعتم) التغابن/١٦ – وفيما يختص بواجب الانسان مع غيره طلب من المسلم اداءه – ومن ذلك حق الولد على الوالد وحق الوالد على الولد وحق كل فرد على غيره (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) والعدالة يجب أن تكون سائدة بين أفراد المجتمع كله والله يأمر بالعدل والاحسان والشورى وما الى ذلك من فضائل الأخلاق ٠

ثم تهدف التربية الاسلامية الى تربية المسلم على أساس البعد عن الانفعالات الضارة بالجسم والعقل والتى تثير العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) آل عمران/١٣٤ ٠

ولا تكتفى التربية الاسلامية بهذا بل انها تهدف الى ان تحل

محنها الانفعالات الطيبة التى توصل الى اسعاد الفرد واسعاد المجتمع كالعفو عن المسىء والعطف ومعاملة الناس بالحسنى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) فصلت ٣٤/٣٥ ٠

ولا تقتصر التربية الاسلامية فى سلوكها عند بنى البشر بل انها تشمل كل المخلوقات فتأمر بالرفق بالحيوان وتنكر على من يقسو عليه وفى ذلك يقول الرسول الكريم (دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت فلا هى أطعمتها وسقتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض) ٠

والمقياس الصحيح للاعمال الصالحة فى الاسلام : النية ولذلك يقول الرسول الكريم (ان الله لا ينظر الى صوركم وأحسابكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم) والايمان الصحيح متى استقر فى القلب ظهرت آثاره فى السلوك - والاسلام قوة متحركة - لا تطيق السلبية - فهى بمجرد تحققها فى عالم الشعور تتحرك لتحقق مدلولها فى الخارج ولتترجم نفسها الى حركة والى عمل فى عالم الواقع ٠

وهدف الاسلام الواضح فى التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطنى بالعقيدة وآدابها الى حركة سلوكية واقعية وتحويل هذه الحركة الى عادات ثابتة أو قانون - مع استحياء الدافع الشعورى الاول فى كل حركة لتبقى حية متصلة بينبوعها الاصيل ٠

خاتمة :

الانسان جسم وروح وهو ذو قلب وعمل وعواطف وجوارح لا يسعد ولا يصلح ولا يرقى رقيا متزنا حتى تنمو هذه الفوارق كلها نموا متناسبا لائقا بها وفى وسط دينى خلقى عقلى جسمى

يمكن للانسان فيــه بسهولة أن يبلغ كمال الانسانية ـ والتربيــة الاسلامية راعت كل ذلك واهتمت بأن تخرج للمجتمع الاســلامى الشــاب الانسان المتحرر الوجدان السليم العقيدة والتفكير قــوى البنية متين الاخلاق المنسجم مع نفســه ومع مجتمعه الــذى يعرف واجباته ويؤديها ويعرف حقوقه ويتصف بهــا ـ وبذلك يصبح المجتمع الاسلامى ثابت الاركان قائمــا على المحبة والتعاون والتشاور والعــدل وفقا لتعاليم الاسلام السامية ـ وقد حققت التربية الاســلامية أهدافها كاملة فى جميع الاوقات التى ربت الناشئة عليها ـ فاذا أعدنا ذلك العهد عندنا عشنا آمنين مطمئنين ســعداء فى عزة وكرامة ٠

عوامل التربية فى الاسلام

التربية عملية دائمة فى حياة الفرد لتعديل خبرته وبهـــا يكون الانسان قادرا على النمو المتجدد الذى يجعله يحيـــا حياة سعيدة ويكون عضوا ايجابيا نافعا فى المجتمع ٠

وكل مجتمع من المجتمعات الانسانية يرسم صـــورة لما يريد أن يحققـه في مجتمعه ، ويضع الاسس لتربية ابنائه حتى يمكن أن ينشئهم على المنهج الذى يحقق الصورة التى يرسمها ٠

وللتربية عوامل تؤثر فى تربية أبناء المجتمع ٠٠٠ والاسلام دين له مثله وأهدافه التى يريد أن يحققهـــا فى هـــذه الحياة ، وقـــد وضع الاسس السليمة لتحقيق هـــذه الاهـداف وتناولت هـــــذه الاسس جميع نواحى الانسان الجسمية والنفسية والفكرية ٠ ٠ ٠ واهتم بعوامـل التربية التى تحقق المثل التى ينشدها ٠
وعوامل التربية فى الاسلام هى : الاسرة والمسجد والمدرســـة والمجتمع وسنتناول بايجاز كل واحدة منها ٠

الاسرة :

الاسرة هى البيئة الطبيعية لنشـــــوء الاطفال ، وقد أثبتت التجارب التى قام بهـــا الجنس البشرى أنها أفضل نظـــام لتربيتهم وتزويدهم بالعوامل النفسية والثقافية اللازمـــة لنموهم وتقـــدمهم وحمايتهم ، فرعاية الطفل والعنـاية بـه أول مـا يجب على الوالدين : يحسنان تربيته وهمـــا مسئولان عن ذلك مسئولية كاملة لا تقتصر على فترة من الفترات فالطفل قليـــل التجارب ولذلك يســـــــهل التأثير عليه لقلـة خبراته ولسهولة استهوائه ـ ولذلك يجب أن يحاط بكل عنـــاية حتى لا تتأثر نفســه بعادات وأراء غير صـــــالحة وغير

مناسبة للاغراض التربوية التى يهـــدف المجتمع لتحقيقها فالوالدان عليهما أن يهتما بتكوين العادات السليمة وبصـــحة الطفل وحمايته من الامراض وعلاجـــه منها اذا أصيب بنوع منها ــ وعليهما أن يهتمـــا بتكوين العادات الصحية وحمايته من الاخطـــار ، وعليهما أن يعنيـا بالناحية العقلية فى الطفـــل فيهتما بطريقة تفكيره وتذكره للآشـيـاء وبتكوين العادات العقلية لادراك العلـــل ، كما أن عليهما الاهتمـــــام بالناحية الوجدانية فيهذبان انفعالاته ، ويكونان العادات الوجدانيـــة فيهذبان الصالحة ويحاولان استئصال العادات الوجدانية السيئة ان وجدت ٠٠ ويعودانه السيطرة على انفعالاته الضـــارة كالسيطرة على انفعالاته لسبب تافه مما يسبب له المتاعب الدائمة التى كمـــا يسببها لمن يتعامل معه ٠

وقـــد أثبت علماء النفس أن ما يلاقيه الطفل من المعاملات فى السنوات الاولى سيستمر صـــداه فى نفسه طوال حيـــاته ٠٠ ففى حضن الاسرة يجد الطفل حاجته من الحنان والعطف والرعاية ٠

وقد كان الرسول الكريم يوصى باظهـــار العطف والحنـــــان للاطفال ٠٠ وقد كان يعامل الحسن والحسين رضـوان اللـه عليهما بمنتهى الرفق والحنان ٠٠ وقد أطـــال السجود مرة لان الحسن كان متعلقا مرة بكتفه فلم يحب أن يفزعه ٠

وقـــد أوصى بالمساواة بين الابنـــاء فى العطف والحنـــان حتى لا تتأثر نفســـية الطفل ويتأثر سلوكه ٠٠ وقـــد نظر الرسول الكريم صـــلى الله عليه وسلم الى رجـــل له ابنان قبل أحدهما وترك الآخر فقال له : فهـــلا سويت بينهما ؟

ودخل عامل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده يداعب أبناءه ويضاحكهم فتعجب العامل وعتب عليـــه ٠٠ فقال لـــه عمر : كيف أنت مع أهلك ؟ قال : اذا دخلت سكت الناطق فقال عمر : اعتزل عملنا فانك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمـــة محمد صلى الله عليه وســـــلم ٠

وفى ظلال العطف والحنان تكون الرعاية والتربية ٠٠ يقول الرسول الكريم (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) ٠

وكما اهتم الاسلام بتربية الطفل اهتم بتربية الطفلة بل لعل اهتمامه بها كان أكثر لما لها من أهمية فى الاسرة ومن أثر فى تربية أبنائها فى سنواتهم الاولى فهى ملازمة لهم قائمة على امورهم معنية بشئونهم فهم يقتدون بها ويتشربون روحها ويأخذون منها عاداتهم وأخلاقهم ٠

بل أكثر من هذا فالاسلام لم يبدأ بالتربية فى الصغر بل تعداها الى ما قبل ذلك ٠٠ فقد تدخل لمصلحة الطفل قبل أن يولد ٠٠ فللوراثة تأثيرها العميق تأثيرها فى الصفات الجسمية وفى كثير من الصفات الخلقية فقد يرث الطفل أشياء لا يستطيع التخلص منها ٠٠ وقد أثبت علم النفس الحديث أن الذكاء والقدرات الخاصة والغرائز كلها تورث – كما أثبت أن المزاج وهو الذى يتوقف على حالة الجهازين العصبى والنفسى – يتأثر بالوراثة ٠

والاسلام قد نبه الى هذه الحقائق منذ أربعة عشر قرنا تقريبا فأوصى بملاحظتها وألح بالتوصية وشدد فى التنبيه على اختيار الابوين اللذين لهما صفات خاصة تحقق ايجاد الجو الصالح الذى يصلح لتربية الطفل ٠٠ فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول فى اختيار الزوجة : (اياكم وخضراء الدمن فيسأل سائل : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ فيقول عليه السلام : المرأة الحسناء فى منبت السوء) فالمرأة اذا لم تنشأ فى بيئة طيبة ولم تربى تربية طيبة لا يمكن أن تخرج أبناءها الا مثلها ٠ ومن هنا كان لابد من التحذير – والتحذير الشديد ٠٠ ففضلا عن ان ابنها سيرث بعض صفاتها فهو يراها المثل الاعلى فيقتدى بها ، ويبالغ الرسول الكريم فى التنبيه حين يبين الاثر الذى تنتجه الوراثة فيقول (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) وحين يقول (تنكح المراة لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها) ويقول لمن يريد أن يتزوج (فاظفر بذات

الدين تربت يداك) ـ وفى اختيار الزوج يطلب من أهـــل الزوجة أن يختاروه على أســاس الدين والا فان الفساد سينتشر يقول الرسول الكريم (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينـــه فزوجوه الا تفعلوه تـكن فتنة فى الارض وفساد كبير) ٠

المسجد :

يمثل المسجد فى الاسلام عاملا هاما من عوامل التربية فهو مكان للعبادة وهــو مكان للتربية أيضـــا ، ومـا العبادة الا جزء من رســالة المسجد ولذلك فقد كان أول شيء فعله رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم بعد أن حط رحاله فى المدينة أن ســـأل عن المربد الذى بركت فيــه ناقته قائلا : لمن المربد ؟ فأجابه معـــاذ بن عفراء : انه لســـهل وسهيل ابنى عمــه وانهما يتيمان وسيرضيهما ـ ورجـــا النبى أن يتخذه مسجدا وقبل النبى صـــلى الله عليه وسلم وأمر أن يبنى فى هـــذا المكان مسجده ٠٠ فى هـــذا المسجد وضع النبى الكريم أساس دعوته الاسلامية وكان يبين لاصحابه خطوطها الرئيســـية وتفصيلاتها ويفهمها لهم ويربيهم عليها ٠٠ ففى خطبته الثانية بالمسجد قال : اعبدوا الله ولا تشركوا بــه شيئا واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله ما تقولون وتحابوا بروح الله بينكم ٠٠ ان الله يغضب أن ينكث عهده) ٠

فالصلة لروحية بين العبد وربه هى أول شيء يجب على المسلم ـ فالله تعالى يعبد وحـــده باخلاص ولا يشرك بــه فى عبادته ـ وهو الذى يتقى حق تقاته ، ويراعى فى كل عمل يعمله الانسان ســواء أكان خاصا به أم عاما لمجتمعه ووطنـــه وهـــذه خير طريقة لتربية الضمير ٠

وكان المربى الاول صلوات الله عليـــه يلاحظ حـــال تلاميذه ويخالطهم بنفســـه ويتخذ خير الطرق لتربيتهم وتثبيت المعلـــومات فى اذهانهم ـ وطريقته فى ذلك هى احـــدث طرق التربية اذ أنه كان يطلب من المخطىء اصـــلاح خطئه بنفســه فان لم يصل الى ذلك تركـه

(م ـ ٤)

الى أن يفقد تـوازنه ويزداد انتباهـه فيكون عنده استعداد عظيـــم لتلقى الصحيح منه ٠

صلى رجـل بمسجد الرسول صلاة سريعة ثم جـــاء فسلم على النبى وصحابته وهم جالسون فرد النبى عليـه السلام ثم قال له : أرجع فصـــل فانك لم تصـــل فعاد وصلى كما صلى من قبــــل وحين رد عليه مثل رده الاول قال له : والـذى بعثك بالحق مـــا أحسن غيره فأخذ النبى الكريم صلوات الله عليه يعلمه كيفية الصـــلاة الكاملة ــ فالرسول الكريم لم يعلمه فى مبدأ الامر ــ بل طلب منـــه أن يصلح خطـــأه بنفسه أولا ــ وحين لم يفعل ذلك فى المرة الاولى تركه حتى فقـــد توازنه وأصبح عنـده الاستعداد الكافى لتلقى تعليم النبى لـه فى يقظـــة تامة وانتباه كبير فلا ينسى بعد ذلك أبدا ــ بـل ويهتم بأن يعلم غيره ما تعلمه ٠

وكان من أهم الاشياء التى لاحظها النبى عليـه السلام ألا يثقل على أصحابه حتى لا يسأموا فلا يستفيدوا شيئا ــ ومن ذلك ما روى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ــ كان رســـول الله صلى اللـه عليه وسـلم يتخولنا بالموعظـــة مخافة السآمة علينا ــ بـــل كان كثيرا ما يدخـل فى دروســه عنصر التشويق حين يقص عليهم أخبار الامم السابقة وما آلوا اليـــه ــ وكان النبى عليـه السلام يتعهـــد أصحابه بالرعاية والعناية ٠٠ يخطب فيهم ويدرس لهم ويبين لهـــم الجديد من التشريع ويوضح لهم ما غمض عليهم ــ يسألهم أحيـــانا ليختبر ذكاءهم وانتباههم ــ وكان يجيب على أسئلتهم التى يوجهونهـــا اليه ــ واستطاع المسجد الاول بهـذه الطريقة أن يخرج للاسلام علماء فى الفقـه الاســـلامى وفى فهم القرآن الكريم ــ رجالا فى كل ناحية من النواحى ــ وقـد كان لهم أثر بين فى نشر الثقافة الاسلامية فى أنحاء العالم الاسلامى بعد امتداد رقعته واتساع سلطانه ٠

ولم تقتصر رسالة المسجد على التعليم وحـــده بـل تعدته الى تقوية الروابط الاجتماعية وتوثيق الروابط الاخوية واشـــعار أعضاء

المجتمع الاسلامى بأنهم أخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا لا فرق بين فرد وآخر ـ فالمسلمون يصلون كل يوم خمس صلوات فى المسجد يقفون متجاورين بدون تفريق ـ فى صفوف منتظمة ـ فاذا قضيت الصلاة لا حظوا من تخلف منهم فيسألون عنه ويبحثون عن السبب الذى تخلف من أجله ٠

وروح المسجد روح تكافل واتحاد ـ ولاهمية المساجد فى التربية الاسلامية لم يتهاون النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد الذى أنشأه جماعة من المنافقين ـ وكانوا يأوون اليه ليحرفوا كلام الله عن مواضعه ويفرقوا بين المؤمنين ضرارا وهو المسجد الذى سماه القرآن الكريم : مسجد الضرار ـ فلم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم تلبية دعوتهم فيرفض الصلاة فيه ـ بل أمر باحراقه بدون هوادة لما له من أثر سىء على المسلمين ٠

واستمر المسجد يؤدى دوره التربوى والتعليمى فى جميع العصور الاسلامية ـ وحتى عصرنا الحاضر فى بعض أقسام الازهر ٠٠ واقتصر ـ حين انتشرت المدارس ـ على بعض نواحى التربية ٠

وهكذا استطاع المسجد أن يقوم بدور كبير فى تربية الامة الاسلامية ـ وأن يكون ذا أثر قوى لا نزال نحسه ونرجو أن يعود الى سابق عهده فى التأثير والتربية حتى نصل الى ما وصل اليه أجدادنا من رقى وتفوق ، وحتى نحس بالهدوء النفسى والاطمئنان القلبى والسعادة الحقة ٠

المدرسة :

نشأت المدرسة فى الاسلام نشوءا طبيعيا تدريجيا فكانت قليلة العدد فى بداية الامر ـ وما زالت تنمو حتى أصبحت فى صدر الدولة العباسية كثيرة ومنتشرة فى البلدان الاسلامية نتشارا كبيرا ـ وقد كانت على درجات منها الكتاتيب ومنها بيت الحكمة الذى

انشىء أيام الرشيد والمدرسة النظامية ببغداد ودار العلم بالقاهرة ـ والبيئة الاجتماعية فى المدرسة أوسع من بيئة المنزل وأكثر تنويعــــا وكان ذلك ضروريا لتربية الطفل ـ وبذلك لا ينشــأ الطفل مدللا ٠

والمدرسة توجد توازنا فى حيـــاة الطفل من الناحية الفردية والاجتماعية ـ فالمدرسة حلقة وسـط بين البيئـــة المنزلية والمجتمع الحقيقى ـ المدرسة القديمة كان المدرسون فيها يعدون للتدريس وكانوا يقومون بأداء هـــذه المهنة عن رغبة ويتقربون بهــا الى الله تعالى ـ والمدرسة الحديثة تعـــد المدرس اعدادا خاصا لمهنة التربية ٠

والمدرسة عامل من عوامل التربية لانها تؤثر فى مفاهيم التلاميذ وفى تكوين معتقداتهم ـ كما تؤثر فى ســـلوكهم عن طريق التقليـد والاستهواء والايحاء ٠

وقد أخذت المدرسة بذلك جزءا كبيرا من رســـالة المسجد فى التربية ـ وهى لذلك تعتبر مكملة لــه بما لها من امكانات لا توجـــد فى المسجد ـ وبخاصة فى عصـــور العلم والتكنولوجيا أو هى امتداد للمسجدولرسالته اذا كانت التربية فيها تسير على أســـــاس العقيدة الاسلامية والتعليم يسير على أساس تحقيق أهداف الاسلام ٠

المجتمع :

المجتمع عامل هـــام من عوامل التربية لـما له من تنوع وأثر ، فهو يشمل كل ما فى المجتمع من أصدقاء ومن صحافة واذاعـــة وتلفاز وخيالة وهيئات دينية واجتماعية وغير ذلك ٠

والاسلام يعطى صـــورة لكرامة المجتمع وتأثير بعضـــــه فى بعض فى الحديث الشريف الـــذى يقول (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصـــار بعضهم أعــــلاها وبعضهم أسفلها ـ فكان الذين فى أسفل اذا ما استقوا من المـــــاء

مروا على من فوقهم فقالوا لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) البخارى .

ومن هنا فان الاسلام يضع قاعدة للمجتمع تجعل كل فرد يحس الاحساس الكامل بالمسئولية (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ويفرض على كل مسلم أن يغير المنكر الذى يراه فى حدود استطاعته (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لن يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان) البخارى . وهو بذلك يجعل المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .

ويبين الرسول الكريم أثر الجليس الصالح وجليس السوء حتى يكون كل فرد على بينة من أمره فلا يصاحب الا الصديق المخلص الصالح (مثل الجليس الصالح وجليس السوء كصاحب المسك ونافخ الكير فصاحب المسك أما أن يحذيك وأما أن تشترى منه وأما أن تشم منه رائحة طيبة ونافخ الكير يحرق بدنك وثوبك أو تجد منه رائحة خبيثة) البخارى . ويحذر القرآن الكريم من الاطمئنان الى الظالمين فيقول (ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) هود ١٣ .

وقد كان الجلوس فى الطرقات - وما زال مصدرا للمشكلات الكثيرة فى المجتمع ومحكا لمستوى الاخلاق فى الامة .. ولقد نهى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أصحابه عن الجلوس فى الطرقات فلما قالوا له : ان ذلك غير ممكن لانها مجالسهم التى يتحدثون فيها طلب منهم أن يؤدوا حق الطريق بحيث لا يترتب على الجلوس فيها مشكلة اجتماعية بل بحيث تظهر منها فوائد اجتماعية فقال (اياكم والجلوس فى الطرقات قالوا يا رسول الله ما لنا بد من الجلوس فيها انما هى مجالسنا نتحدث فيها قال فان أبيتم الا الجلوس فيها فأعطوا الطريق حقه قالوا :: وما حق الطريق قال : غض البصر وكف الاذى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر) .

والحوادث التى يراها الاطفال فى الخيالة وفى التلفاز تظـــل فى ذاكرتهم مـــدة أطول من تلك التى يرونها عن طريق آخر ... وان أكثر الحقائق تذكرا تلك التى تقترن بصفة وجدانية - ولقـــد كان للخيالة أثر كبير فى رفع نســبة جرائم الاطفال حــين اتجهت الافلام الى الاكثار من المناظر التى تتحدث عن الجرائم - ومثـــل ذلك الاذاعة والصحافة فان ذلك له أثر كبير فى تربية الصــغار والكبار أيضـــا .

هذه الاشياء التى تحدث اثارها فى المجتمع تعتبر من عوامـــل التربية - وعلى المجتمع أن يحيطها بالضمانات التى تكفل التأثير الحسن فى نفوس الاطفال والشباب وتكون عاملا طيبا من عوامل التربية فى المجتمع الاسلامى .

وبعد فهذه هى عوامل التربية فى الاسلام - وينبغى أن تسير كلها فى الطريق الذى رسمه الاسلام تحقق مثله وتنشر أفكاره وتطبقها على نفسها وتكون قدوة للناس جميعا ... فبذلك يسعد الفرد ويســـعد المجتمع الاسلامى ويسير على هذا المنهج من يريد أن يسعد من المجتمعات الاخرى .

خصائص التربية الاسلامية

تمهيـــد :

لقد أقام الاسلام نظاما فريدا لتربية أبنائه على أساس تكوينهـــم يحفظ عليهم كيانهم ، ويحقق التوازن الكامل بين طاقاتهم بحيث لا تدمر فيه طاقة من الطاقات ـ بل تعمل كلها فى انسجام تام بــلا طغيـــان ولا ضعف كالفرقة الموسيقية المتكاملة المتلائمة التى تؤدى رسالتها على أكمل وجه ٠

وهذا النظام جعل الغربيين ينظرون اليه بعين الاعجاب حتى أن رجلا كالدكتور سيزل عميد كلية الحقوق بجامعة فينا قال فى مؤتمر عالمى عام ١٩٢٧ : (ان البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد اليهـــا فانه على أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتى بتشريع ســنكون نحن الأوربيين أسعد ما نكون لو وصلنا اليه بعد ألفى عام) ٠

ونحن لا نجد غرابة فى هذا فان الله الذى خلق الانسان هـــو الذى أتى بهذا التشريع الذى شمل حياة الانسان كما شمل التربيـــة بجميع خصائصها فهو بمن خلق أعلم وبحاجاتهم أدرى (ألا يعلم مــن خلق وهو اللطيف الخبير) الملك ١٤ ـ ومن هنا جاء هذا المنهج شاملا لكل الخصائص التى تتفق مع حاجات الانســـان فى أطوار حياته ٠

وحدانية المعبود :

وأول خصائص التربية الاسلامية الايمان بالله وحده لا شريك له وعن طريق هذا الايمان ينشأ ادراك حقيقة هذا الوجود وأنه من صنع الله ـ وبذلك يستطيع الانسان أن يعرف طبيعة الكــون الذى يعيش فيه ويتعامل معه على هذا الأساس ويمضى مع الوجــود كله الى خالق الوجود فى طاعة وحب وسلام ٠

والايمان بالله وحده لا شريك له هو حجر الزاوية فى التربية الاسلامية لأنه يبعث فى النفس الطمأنينة والثقة بالطريق السليم وعدم الحيرة أو الخوف أو اليأس ـ وفى الوقت نفسه يجعل المسلم متجردا من الهوى والغرض الشخصى وتحقيق المغانم الخاصة ذلك لأن القلب البشرى يصبح متعلقا بهدف أبعد من ذاته وهو الدعوة الى دين الله لتحقيق خلافة الله فى الأرض ٠

والعبادة بمعناها الحقيقى كل ما يعمله الانسان فهى تشمل الشعائر والمعاملات والحرب وما الى ذلك ما دام يقصد بذلك كله وجه الله تعالى ـ وحين يدرك المؤمن أن العبادة بهذا المعنى هى غاية وجوده الانسانى فانه سيرتفع ويرتفع شعوره وضميره فلا يغدر ولا يطغى ولا يتجبر ولا يتخذ وسيلة غير مشروعة لبلوغ هذه الغاية لأنه يحس بأنه بالغ هدفه من العبادة بالنية الخالصة لله بالعمل فى حدود الطاقة البشرية ـ وبذلك تتسرب العبادة حتى تصل الى قلب المسلم وعقله ـ وهذه هى الدرجة العليا التى ينبغى أن يصل اليها المسلم ـ ومن هنا فان المسلم لا تثور فى نفسه المخاوف والمطامع ولا يستبد به القلق فى آية مرحلة من مراحل حياته فكل أعماله يجزى عليها من الله تعالى ـ ولذلك فقد طلب الاسلام من المسلم أن يكون محسنا فى عمله ـ وشرح الرسول الكريم الاحسان بقوله (أن تعبدوا الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) البخارى ٠

الانسان مزيج من الروحانية والمادية :

ومن خصائص التربية الاسلامية اعتراف الاسلام بأن الانسان مزيج من الروحانية والمادية ـ والطاقة الروحية هى أكبر طاقات الانسان ـ ولذلك يحرص الاسلام على المحافظة عليها وذلك بعقد الصلة الدائمة بينها وبين الله تعالى فى كل لحظة حتى يرتفع المسلم دائما الى المستوى اللائق به وفى الوقت نفسه يعترف الاسلام بمواطن الضعف والقصور فى الانسان بما فيه من مادية ـ ويحاول أن يرتفع به عن ضعفه وأن يجعله قادرا على أن يخفف من ضغوط البيئة التى يعيش فيها (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) النساء ٨ ـ ومن

هنا فقد كان تعامل الاسلام مع الانسان من خلال توجيهاته وشرائعه مراعيا ألا يعلو على مستوى طبيعته وألا يهبط عنها (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) آخر البقرة .

ولقد قامت تكاليف الاسلام كلها على الاعتدال فى الطلب من ناحية والتيسير على الناس من ناحية أخرى — وأوساط الناس يقومون على التكاليف الاسلامية فاذا ما قصر مسلم عن شيء منها — ثم رجع الى نفسه فهذا شيء طبيعى — والله يقبل توبته (كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) بل ان الاسلام يطلب من المسلم أن يكون معتدلا فى كل شيء فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ... ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة فما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فانه كان أبعد الناس عنه كما تقول السيدة عائشة .

التوازن :

والتوازن من خصائص التربية الاسلامية وهو القاعدة الكبرى فى المنهج الاسلامى — والاسلام يرى أن الغلو كالتفريط يخل بالتوازن — وهو يعترف بقيمة الفرد ويحمله مسئولية فردية (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) مريم ٩٥ — والمجتمع يتكون من أفراد ذوى اهتمامات وذوى شعور اجتماعى وهم مسئولون عن المجتمع الذى يعيشون فيه وعن عمارة الكون واحقاق الحق واهمال بعض أفراد المجتمع قد يؤدى الى هلاك الجميع كما بين الحديث الذى رواه البخارى (مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو اننا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) . البخارى .

فالاسلام لا يسحق الفرد ولا يهمل وجوده كما أنه لا يتطرف فى الفردية على حساب الجماعة — فالفرد شخصية مستقلة ، ولكنه عضو فى جماعة متحدة فى الهدف وفى العمل وترتبط فى النهاية بالله تعالى

(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) المائدة ٢ ٠

ويتمثل التوازن أيضا فى السلبية بالنسبة لله تعالى والايجابية بالنسبة للبشر - والسلبية بالنسبة لله تعالى ميزة بالنسبة للانسان ذلك لأن الله هو الخالق وهو الرحيم - والتسليم له والطاعة هو تسليم الحب والاجلال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران ٣١ - بل ان الاسلام يستمد ايجابيته الكاملة تجاه الاشخاص والاحداث من تسليمه لله تعالى ٠٠٠ وفى الايجابية بالنسبة للبشر طبقا لتعاليم الله ورسالة المسلم وهى تظهر فى سلوك المؤمن فى العبادات بمعناها الاسلامى الذى يتمثل فى ان الدنيا كلها معبدا للمؤمنين - ويظهر هذا فى قوله عليه السلام (ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ويكفرها السعى على العيال) - كما يظهر فى قوله عليه السلام (لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه خير من أن يعبد الله شهرا فى مسجدى هذا) ومن مظاهر الايجابية فى المجتمع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة والجهاد فى سبيل الله - فالايجابية فى حقيقتها التقاء النظام الواعى الذى يستهدف السيطرة على الحياة ويوجهها طبقا لحاجات الفرد وحاجات المجتمع البشرى ٠

ومن التوازن أن يكون الانسان وسطا فى كل أعماله - فالاسلام مثلا ينهى عن الاسراف كما ينهى عن التقتير (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا) الاسراء ٢٩ وهكذا فى كل ناحية من النواحى ٠

والتربية الاسلامية تأخذ الانسان كما هو فتعنى به من الناحية الجسمية ومن الناحية الروحية ومن الناحية العقلية حتى يكون صالحا لاداء رسالته فى الارض لانه خليفة الله وبذلك يكون صالحا للاتصال بالله تعالى وصالحا للتعرف على أسرار الكون وصالحا لعمارة الارض - واستخدام هذه الطاقات كلها يحدث توازنا فى الانسان ومقوماته (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) البقرة ١٤٣ ٠

شمول المنهج وتكامله :

يقصد بالشمول : أن تعاليم المنهج تشمل الفرد فى حياته الخاصة وفى حياته العامة وهى التى تتصل بغيره من أفراد المجتمع - كما تشمل المجتمع فى صلة أفراده بعضهم ببعض وفى صلتهم بالعالم الخارجى .

ويقصد بالتكامل أن توجيهات المنهج فى مجال العقيدة أو السلوك الفردى أو التشريع الاجتماعى ترتد كلها فى وحدة محكمة وفى صورة شاملة للحياة كلها - ويرجع ذلك الى وحدة المصدر وهو الله خالق الكون بما فيه ومن فيه (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) النساء ٨٢ - كما يرجع الى وحدة الموضوع وهو الانسان - وقد تولى الاسلام تربيته من جميع نواحيه - وعقيدة التوحيد تمتاز بأنها منهج كامل فى التفكير ومذهب فى الاصلاح وأساس فى التشريع تستجمع مشاعر الولاء والخضوع فى عقل الانسان ونفسه ويردها الى الله الواحد وتستنقذ فى نفس الوقت هذه المشاعر من أى مخلوق من الناس أو قوة من قوى الطبيعة - ثم أن عقيدة التوحيد تستنقذ الانسان من تبعات الولاء المشتت الذى نشاهده فى الحضارة الغربية ... وموقف الانسان من الناس أساسه الحرية وقوامه المساواة واعلان الايمان بالله اعلان للاخوة الانسانية عن طريق اقرار الله سبحانه وتعالى بالربوبية .

المنهج العلمى :

ومن خصائص التربية الاسلامية الاهتمام بالمنهج العلمى والاعتماد على العقل ولذلك فلا يوجد فى الاسلام صراع بين العقل والدين كما وجد فى الغرب .

والمنهج العلمى فى الاسلام يقوم على أساسين : يقوم أولا على أساس اطلاق العقل ليعمل فى الكون كله ويقوم ثانيا على فهم أن الكون محكوم بقوانين وقدرة الله ومشيئته لا تسقط عمل القوانين -

والاسلام لذلك يحارب التقليد وينعى على المقلدين (أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شـــيئا ولا يهتدون) البقرة ١٧٠ ـ ويدعو الى الفهم والتدبر (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) يونس ١٧٠ ـ ويلفت نظر الانســـان الى الكون ليدرك ان له نظـــاما ونواميس مقررة وانه لم يخلق عبثا (خلق السموات بغير عمد ترونهـا وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السـماء مــاء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) لقمان ـ ١٠ ٠

والانسان بتفكيره السليم يمكنه أن يدرك الصلة بينه وبين ســائر المخلوقات وأن الله مكن له فى الارض وسخر له الكثير من المخلوقات ومن القوى الطبيعية لمنافعه المشروعة (وهو الذى جعـــل لكم النجوم لتهتدوا بهـــا فى ظلمات البر والبحر قـــد فصـــلنا الآيات لقـــوم يعلمون) الانعـــام ٩٧ ـ ثم يمكنـه من أن يتوصل عن طريق العقـــل ودراســـة الطبيعة الى الايمان بالله تعالى خالق الطبيعة (فاطر السموات والارض جعـل لـكم من آنفسكم أزواجـــا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيـــه ـ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى ١١ ـ ذلك لأن الاســلام يوجـــه المسلم للكشف عن الحقائق ودلالتها على صنعـــة الله وابداعه (وآية لهم الارض الميته احييناها وأخرجنا منهـا حبـــا فمنــه يأكلون) يس ٣٢ ـ فالارض كانت جرداء من الحياة فأصبحت حيـــة تخرج الزرع والنبات ـ وبهـذا تـدل على الخالق ـ وهـــذه النظرة بهذه الصورة تفتقدها كل أساليب التربية الحديثة الغربية ٠

ومن هـذا المنطلق يطلب الاســـلام من المسلم أن يستخدم عقلـه فى التثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبـــل الحـكم عليهـا يقول الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك بـه علم أن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنـــه مسئولا) الاسراء ٣٦ ـ فالى جانب المنهج العلمى الـذى عرفته البشرية حديثا يقيم الاسلام مراقبة الله تعالى ـ وهـــذه ميزة من ميزات التربية الاســـلامية ـ ومتى اســـتقام القلب والعقل على منهج الله لم يبق مجال للوهم والخرافة فى عـــالم العقيـدة ولم يبق مجـال للظن والشـبهة فى الحـكم والتعامل بين الناس ـ بـل

لم يبق مجال للاحكام السطحية والفروض الوهمية فى عـــالم البحوث والتجارب والعلوم ٠

والامانة العلمية التى يشيد بها الغرب فى العصر الحديث ليست ســـوى طرف من الامانة العقلية والقلبيـــة التى يقيمها القرآن فى نفوس المؤمنين ، ويجعل الانســـان مسئولا عن سمعـــه وبصره وفؤاده أمـــام الله فهى أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب ، وفى الحديث الشريف (اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث) رواه أحمد وغيره ويقول الرسول الكريم (ان أفرى الفرى أن يرى الرجـل عينيه ما لم تريا) ٠

ثم ان الاســـلام يوجـه العقل البشرى الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة لانسان (كلو من طيبـــات مارزقناكم) البقرة ١٧٢ ـ وقـــد وجـه روحـه من قبل الى الارتباط بالله وخشيته والمـــذهب التجريبى مذهب اسلامى يقول جب فى كتـابه الاتجاهات الحديثة فى الاسلام (اعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قـــد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هـــذه الملاحظة وصـل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى) كما يقول بريفولت فى كتابه بنـــاء الانسانية (لقد كان العلم أهم ما جـاءت بـه الحضارة الاسلامية وليس ثمة ناحية واحـــدة من نواحى الارزدهار الاوربى الا يمكن ارجـــاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة وكانت أظهر ما تكون فى الطبيعة وروح البحث العلمى) ٠

المســاواة :

ومن خصائص التربية الاسلامية أنها ترد البشرية كلها الى أصـــل واحد ـ فلا عصبية للغة ولا لجنس ولا للون ـ وهى بذلك تزيل الحواجز الجغرافية والنفسية ـ ثم ان رسالة الاسلام للبشرية كلها والله وسبحانه وتعالى ليس بينـه وبين عبـــاده صلة الا التقوى ـ ولقد أعجب بهـــذا المؤرخ الانجليزى توماس كارليل الاســـتاذ بجامعة كامبردج الذى قال

(وفى الاسلام صفة أراها أشرف الصفات وأعظمها وهى المساواة بين الناس وهذا يدل على صدق النظرة وصواب الرأى) ٠

والعلاقة بين المؤمنين بعضهم بعضا علاقة مودة ومحبة فهم كالجسهد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى وكالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا - والعلاقة بين المؤمنين وغيرهم علاقة مودة ومحبة ما داموا راغبين فى ذلك حتى ولو لم يكونوا أهل كتاب - فقد طلب النبى عليه السلام أن يعاملوا معاملة أهل الكتاب (سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم) والعدل يكون بين الناس جميعا لان الذى سيحاسب هو الله تعالى (يآيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله) النساء ١٣٥ ٠

التميز :

والتميز من خصائص التربية الاسلامية وقد أقام الاسلام شعائره التعبدية كلها بصورة تميز المسلمين عن غيرهم فهى تتخذ شكلا ظاهرا سواء فى العمل أو التوجه الى الكعبة وبذلك ينشأ فى المسلم شعور بالتميز ٠

وقد نهى الاسلام عن التشبه بمن دون المسلمين فى خصائصه التى هى تعبير عن مشاعر باطنة كالنهى عن طريقهم فى أى شىء - ومن ذلك الحديث الذى رواه أبو هريرة عن رسول الله عليه السلام (ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) متفق عليه ومن ذلك قوله عليه السلام (لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا) رواه أحمد أبو داوود واذا كان الاعاجم يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم أو يوفرونهما معا أمر النبى عليه السلام بمخالفتهم بقوله (خالفوا المشركين وفروا الحى وأحفوا الشوارب) البخارى ٠ ذلك لان المشابهة فى الظاهر تورث محبة وموالاة فى الباطن - كما أن المحبة فى الباطن تورث المشابهة فى الظاهر وفوق ذلك فالمشابهة فى الظاهر سبب

للمشابهة فى الاخلاق وقد تصل الى المشابهة فى المعتقدات كما ترى فى المجتمعات الحديثة ٠

وقد جعل الاسلام أعياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الاسلامية وحين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ووجد الأنصار يلعبون فى يومين قال : ما هذان اليومان ؟ قالوا يومان كنا نلعب فيهما فى الجاهلية قال : قد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الأضحى ويوم الفطر) النسائى وابن حبان ٠

وحتى فى الهزيمة يتميز المسلمون عن أعدائهم فلا وهن ولا ضعف وهم الأعلون وهم فى مكان القيادة (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين أن يمسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) آل عمران ١٤٠ ويقول لهم القرآن الكريم (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) النساء/١٠٤ ٠

والأمة الاسلامية اليوم فى حاجة الى التميز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصية الغرب - والتميز بأهداف واهتمامات مع تلك الشخصية وهذا التصور طبقا للمفاهيم الاسلامية فيكون المسلم انسانا خيرا يستخدم حياته وعلمه فى الخير ويتعلم العلم من أجل استخدامه فى الخير (ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) آل عمران ٧٩ فيكون التعليم والدراسة لله رب العالمين أولا لا لنيل الأغراض الدنيوية ٠

ولا بد من الالتزام بالعلم يقول الرسول عليه السلام (تعلموا العلم فاذا علمتم فاعملوا) ويقول (لن تزال قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه) الترمذى ٠

عدم اختزان الطاقة :

والاسلام لا يختزن الطاقة الكامنة فى الانسان بل انه يملأ النفس

والجسم بشحنات مختلفة ويفرزها افرازا فطريا طبيعيا ـ ثم تنطلق هذه الشحنات فى عمل ايجابى انشائى لتعمل فى سير البناء والتعمير والخير والمهم الا يختزنها الانسان أكثر مما ينبغى ـ فالاختزان الطويل بلا غاية مضر بكيان الانسان وهو لذلك يفرغ الطاقة فى طاقة الحب فى حب الله ورسوله والمؤمنين والجهاد وعمل الخير ـ كما يفرغ طاقة الكره فى كراهية الشيطان الذى يعمل دوما على ابعاد الانسان عن الله وعن طرق الخير ويفرغها أيضا فى كراهية الشر والمنكرات ٠

كما انه لا يترك الانسان يستهلك جهده فى تحقيق مطالب الجسد الحيوانية حتى لا تستبعده بل يضبطها ويهذبها وينظفها ولكنه لايكبتها ولا يلغيها ـ والاسلام صريح فى معالجة الامور الجسدية ومن ذلك الحديث الشريف (وفى بضع أحدكم صدقة) مسلم والآية الكريمة (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض) البقرة ٢٢٢ ـ كما يقول (أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم) البقرة ١٨٧ ٠

والاسلام يبرز الطاقة الحيوية واللازمة لتحقيق أهداف الحياة ويعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة الأظافر وذلك يأتى من ربط القلب البشرى بالله وخشيته ومراقبته ومن ربط المرء باليوم الآخر (قل متاع الدنيا قليل) النساء ٧٧ ٠

والاسلام يوجه طاقة الانسان الى العمل المنتج المفيد الذى هو ثمرة الايمان بالله ٠٠ والقرآن الكريم يؤكد تأكيدا شديدا على العمل الصالح الذى يذكره فى عشرات الآيات (ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم) يونس ٩ (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) آخر الكهف ٠

والعمل الصالح يشمل كل ما يقوم به الانسان نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه الاسلامى بل والمجتمع الانسانى كله ٠

خاتمـة :

وهكذا تتميز التربية الاسلامية بهـذه الخصائص التى تجعـــل طريقها واضحا ثابتا يعطى للطفل الاسس السليمة التى تكفل تربيتـه من جميع نواحيه فى كل فترة من فترات حياته ـ كما تعده لأداء دوره فى هذه الحياة باعتباره خليفة لله فى الأرض اختاره وكـرمه ورسـم له اسلوب التربية والعمل وزوده بكل القوى الداخلية والخارجية التى تكفل له الحياة المطمئنة بحيث يعيش سعيدا فى مجتمع ســعيد عاملا للدنيا والآخرة قادرا على أداء رسالته فى هــذه الحياة وما أصدق الدكتور هوكنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية حين يقول فى كتابه روح السياسة العلمية (انى أشعر بأنى على حق حين أقرر بأن فى الاسلام كل المبادىء اللازمة للنهوض بالحياة) وهذا عكس الفلسفات البشرية فهى متأثرة بقصور الانسان وملابسات حياته فهى لذلك تقصر عـــن الاحاطة بجميع الاحتمالات فى الوقت الواحد وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدوًا يؤدى الى بروز ظاهرة أخرى تحتاج الى عـــلاج جـديد لأن الفلسفـــات الحديثة تقصر عن الاحاطـة بالنفس البشرية فى كل اطوارها وأحوالها ·

اسلوب التربية فى الاسلام

خلق الله سبحانه وتعالى الانسان فى أحسن تقويم وفضله على سائر مخلوقاته وجعـــل الملائكة يسجدون له وكرمــه وفضــله على كثير من مخلوقاته ، وجعل له عقلا يميز به النافع من الضار ثم ارسل له رسلا يهدونه الى الطريق القويم ، وكان آخر الرسل محمد صلوات الله عليه الذى أرسله ليخرج الناس من الظلمات الى النور ولينشر الأمن والعدل ولطمأنينة بين الناس جميعا وليجعل كل فرد يحس بكيانه وبأنه عضــو نافع فى المحتمع ، وليسير الجميع للبناء المتكامل الذى يجعلهم يشعرون بالسعادة ٠

والمسلم الذى يحمل هذه الرسالة الهائلة لا بد وأن يعــد لذلك اعدادا كاملا وأن يربى التربية القوية حتى يكون قادرا على حملها وأدائها بما يمكنه من تحقيق أهداف الاسلام كاملة ٠

وللاسلام أسلوبه الخاص فى التربية ، وقد اتخذ طرقا مختلفـة اذا أحسن استخدامها فانها تؤدى الى تربية المسلم التربيـــة المطلوبة التى تجعله قادرا على تحقيق رسالة الاسلام فى الأرض ٠

ذلك لأن الله الذى خلق الانسان هو أدرى بما يحتـــاج اليه من جميع نواحيه الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية والعقلية ٠٠ وهذه الأساليب تتكامل فيما بينها حتى تؤدى الغرض منها ٠

ويتلخص أسلوب التربية الاسلامية فى الطرق الآتية :

التربية عن طريق القدوة :

القدوة لها أهمية كبرى فى تربية الفرد وتنشئته وبخاصـة فى مرحلة الطفولة ـ ذلك لأن الطفـل يكتسب ألون السـلوك من خـــلال تقليده للآخرين ومحاكاتهم عن طريق القدوة يتشرب الطفل المثل والسلوك ولقد كان محمد صلوات الله عليه هو القدوة الكاملة للمسلمين ـ كان خلقه القرآن ـ ولذلك فان الله سبحانه وتعالى يقول : (لقد كان لكم

في رسول الله أسوة حسنة) الاحزاب/٢١ وكان عليه السلام جوادا وكان أجود ما يكون من الريح المرسلة ـ وكان يصوم ويفطر ويقوم وينام ويتزوج وقد أنكر على الثلاثة الذين اتفقوا فيما بينهم على أنواع من العبادة التى ظنوا أنها توصلهم الى رضوان الله تعالى فقال أحدهم : سأصوم ولا أفطر وقال الثانى : سأقوم ولا أفتر وقال الثالث : وأنا لن أتزوج النساء فلما سمع النبى ذلك قال لهم : ان اتقاكم وأعلمكم بالله أنا ومع ذلك فانى أصوم وأفطر واقوم وأنام وأتزوج النساء ثم قال : النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) البخارى ٠

وكان الرسول عليه السلام مضرب المثل فى الشجاعة فاذا سمع بالمدينة صوت غريب وخرج الصحابة ليروا السبب وجدوا الرسول عليه السلام قد سبقهم الى ذلك ـ واذا حمى وطيس المعركة الى الدرجة التى تجعل الشجاع يفر منها وقف صامدا يقول :

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

وقد أصبح معروفا عند المسلمين أن النبى عليه السلام كان لا يأمر بشىء الا ويسبق الناس الى عمله ولا ينهى عن شىء الا ويسبق الناس الى اجتنابه ـ وعلى هذا النهج يجب أن يسير الآباء والأمهات والمعلمون والمعلمات حتى تتأصل القدوة فى نفوس الناشئة ـ والنبى عليه السلام قدوة للمسلمين جميعا ـ وقد اقتدى الصحابة بالرسول فى كل أعماله بقدر استطاعتهم فانطلقوا يصنعون الأعاجيب سواء أكان ذلك فى حياته أم بعد مماته ـ ذلك لأن رسول الله حى فى نفوس المسلمين بالقرآن الذى انزل عليه وبسنته التى يتدارسونها ٠

والاسلام يقيم التربية على أساس القدوة فالطفل له قدرة فى أسرته ـ وسيرة النبى عليه السلام جزء من التربية ـ وقد عاب القرآن الذين يقولون ما لا يفعلون وبين لهم أن هذا يغضب الله تعالى (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون) الصف ٢ ٠

وقد طلب المربون المسلمون أن يكون المعلم قدوة لتلاميذه يقول

عيينة ابن أبى سفيان لمؤدب ولده (ليكن اصلاحك لبنى اصلاحك لنفسك فان عيوبه معقودة بعيبك فالحسن عنـــده ما اســـتحسنت والقبيح ما استقبحت) ٠

التربية عن طريق العادة :

العادة تؤدى دورا خطيرا فى حياة الانسان ذلك لانها توفر قسطا كبيرا من الجهد البشرى بتحويله الى عمل سهل يؤديه الانسان فى صبر - وطريقة تكوين العادة تكون بتكرار عمل معين مرات كافية لجعله جزءا من حياة الانسان كالصلاة والصيام ٠

والاسلام يحول الخير كله الى عادات يقوم بها الانسان دون جهد أو مقاومة ويحول دون الألفة الجامدة بالتذكير الدائم بالهدف والربط الحى بين القلب البشرى وبين الله تعالى - ومن هنا فقد طلب الاسـلام أن ترتبط هذ هالأعمال بالنية حتى تحتسب فى ميزان حسناته وفى الحديث الذى رواه البخارى (انما الأعمال بالنيات وانما لكل أمرىء ما نوى) ٠

وموقف الاسلام من عادات الجاهلية ينقسم الى قســمين : ففى العقيدة وما يتصل بها اتخذ وسيلة التحريم البات لأن هــذا الأمـر لا يحتمل التأخير لأنه أساس بناء المجتمع الاسلامى كله ٠ أما فى العادات الاجتماعية فقد لجأ الى التدرج كما حدث فى الخمر مثلا حين طلب من المسلمين أولا : ألا يقربوا الصلاة وهم سكارى (يأيها الذين آمنـــوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) النساء ٤٣ - وثانيا يبين لهم ان الخمر فيها اثم كبير وفيها منافع للناس ولكن الاثم أكبر من النفع (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس - واثمهما أكبر من نفعهما) البقرة ٢١٩ - ثم حرمها بعد ذلك تحريما قاطعا بقوله تعالى (يأيها الذين آمنـــوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحـون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) المائدة ٩٠/٩١ ٠

وسبب ذلك أن هذه عادات عامة ليس من السهل أن يحســـم

الانسان موقفه منها فى لحظة لذلك تدرج بهم وقد أعطوا الفرصة النفسية لتغييرها ـ ثم انها جوانب من حياة المسلم يمكن أن يتخلص منها اليوم أو غدا ٠

التربية بالمشكلات :

المشكلات التى تأتى للفرد أو للمجتمع تعمل دائما على صهره اذا وطن نفسه على تذليلها وحلها ـ وحل المشكلة يجعل الانسان قويا بعد تغلبه على صعوباتها ويجعل الانسان أقدر على تحمل صعوبات الحياة وحل مشكلاتها وفى المثل : السم الذى لا يقتلنى يزيدنى قوة ـ ومن هنا فقد طلب القرآن الكريم من المسلم الصبر فقال تعالى (واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) لقمان ١٧ وقال (واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا) المزمل ١٠ ٠

والقرآن الكريم يطرق الحديد وهو ساخن حتى تؤدى التربية ثمارها ـ ففى غزوة أحد التى هزم المسلمون فيها بعد النصر يقول للمسلمين (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرحمثله وتلك الايام نداولها بينالناس وليعلمالله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) آل عمران ١٣٩/١٤١ ٠

وفى غزوة حنين التى هزم المسلمون [illegible] لأن بعضهم أعجب بالكثرة بين لهم القرآن الكريم سبب هزيمتهم حتى يستفيدوا من أخطائهم ويعلموا أن النصر من عند الله فقال (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ـ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ـ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) التوبة ٢٥/٢٧ ٠

هذا حين كان المسلمون منهزمين فاراد القرآن الكريم ان يسرى عنهم ويجعلهم يستفيدون من هذا الدرس ـ أما فى حالة انتصارهم فانه يحاسبهم على كل صغيرة حتى لا تأخذهم نشوة النصر فيصيبهم

الغرور ويسلكوا سلوكا لا يرضاه لهم ـ ففي غزوة بدر انتصر المسلمون على المشركين انتصارا حاسما واختار المسلمون فداء الأسرى بالمال ـ فعاتبهم الله تعالى فى شىء من القسوة بقوله (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) الأنفال ٦٧/٦٨ ـ وبذلك يضمن الا يصيبهم الغرور الذى يؤدى الى نتائج سيئة كما حدث لاسرائيل بعد انتصارها فى سنة ١٩٦٧ ٠

وعلى هذا النهج ينبغى أن يسير الأب مع أبنائه ـ والمعلم مع تلاميذه والقائد مع جنوده وكل من بيده ألوان من التعليم حتى تؤدى هذه الطريقة ثمارها المرجوة ٠

التربية عن طريق الاقناع :

فى النفس البشرية ميل الى الاستجابة اذا اقتنعت ـ والقرآن الكريم يعمل على اقناع بنيه بما ينبغى ان يتخذوه سلوكا لهم ومن ذلك ما قاله لقمان لابنه (يا بنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) لقمان ١٣ ـ والقرآن الكريم يقول للنبى الكريم (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن) النحل ١٢٥ ٠

وقد لحظ الاسلام أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعد على ممارسة التنظيم الاسلامى يتجمعون عندما تتحرج الأمور ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيدا عن أماكن التشاور ـ الأمر الذى لا تقره طبيعة الجماعة الاسلامية وروح التنظيم الاسلامى التى تقتضى عرض كل فكرة وكل رأى وكل اقتراح على القيادة ـ وترك التجمعات الجانبية فى الجماعة لأنها قد تؤدى ولو بدون قصد الى عدم الطاعة ـ ولذلك فقد حاول أن يقنعهم بترك هذه العادة فان فعلوا فليكن ذلك بالخير (يأيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون) المجادلة ٩ ٠

ولقد كان الرسول الكريم يخاطب الناس على قدر عقولهم ويأمر

بهذا ولم يكن يكثر من توجيه أصحابه فى جلسة واحدة خشية ان يسأموا عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة فى الأيام مخافة السآمة علينا ٠

والتربية الاسلامية يهمها أن يدرك الاطفال الاساس العقلانى لآية قضية مطروحة حتى يكون اقتناعهم عن فهم ـ ولذلك فينبغى ان تتاح لهم الفرصة للمناقشة الجادة البناءة حتى تلقى الضوء على جوانب الموضوع المختلفة ومن خلال ذلك يمكن أن يقتنع التلاميذ ـ وفى الأمور الغيبية ينبغى أن يعرف التلميذ الأساس الذى تقوم عليه معرفة الغيبيات ـ وأن هذه الأشياء يقصر عقل الانسان عن فهمها وتصورها ـ ويضرب الامثلة بالاشياء التى حولنا لانراها ولانسمعها ولانحسها ومع ذلك نعرفها بآثارها كالموجات الصوتية والضوئية والأشياء التى لا نسمعها بالاذن العادية والأشياء التى نراها بالعين المجردة مثل الميكروبات وهكذا ٠٠

وحتى الآن لا نعرف ماذا يحدث فى عقل الانسان ولا كيف يحدث التعلم مثلا ٠

والتربية الاسلامية تهتم بتربية المسلم التربية السليمة التى تمكنه من التحكم فى عواطفه والسيطرة عليها والبعد عن التعصب الأعمى ٠

التربية بالثواب والعقاب :

الله سبحانه وتعالى خلق الجنة وخلق النار ـ وعد بالجنة وأوعد بالنار ـ فالنفس البشرية تحتاج الى هذين النوعين ٠

والقرآن الكريم يستخدم كل وسائل الترغيب (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) الكهف ١٠٩/١١٠ وقوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتهم الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون) البقرة ٢٠ وقوله تعالى (مثل الذين

ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) البقرة ٢٦١ ـ وهذا الأسلوب ايجابى يعتمد على الرغبة الداخلية فى الانسان ــ ولذلك فان الله يضاعف الحسنات ٠

فاذا لم يفلح هذا الأسلوب فان الترهيب هو الوسيلة لمن يحتاج اليها ٠ ومن ذلك قوله تعالى (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم) آل عمران ٢١ وقوله تعالى (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم) الحج/٥١ وقوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم) المائدة/٣٨ ٠

ومعنى ذلك أن الاسلام لا يرضى بأن يجارى النفوس فى انحرافاتها أو فى تقصيرها ولا أن يتلمس لها الاعذار ــ فان نتيجة ذلك كله أن يزداد عدد المنحرفين فى المجتمع حتى يصبحوا أكثرية ويصبح الانحراف هو الأساس ــ والرفق الزائد كالقسوة الزائدة كلاهما يفسد النفس البشرية ٠

وفى تعليم الصلاة مثلا يتعلم الطفل بالقدوة وبالعادة وبالاقتناع وبالترغيب فاذا لم يفد هذا كله حتى سن العاشرة ضرب عليها ضربا يلائم سنه وطاقته حتى يؤديها ٠

وهكذا يصبح الجزاء من جنس العمل ــ ولذلك يلاحظ أن الأثر سلبى ولذلك فان الله تعالى يعفو عن كثير ويجعل الباب مفتوحا للتوبة والعودة الى الطريق السليم ٠

ولقد مضت فترة طويلة كان الغرب فيها يحمل لواء الدعوة الى الثواب وحده ــ فالعقاب ضار بالطفل ويصيبه بالعقد النفسية المختلفة ــ والثواب هو العنصر المفيد فى التربية ــ ومرت فترات ونشأت أجيال ربيت على هذا الأساس ــ وقد ظهر الخلل فى تربيتها ق فبدأ علماء التربية فى الغرب يغيرون هذه النظرة ويقولون بالعقاب كما يقولون بالثواب ٠٠

ولقـــد سار المربون المسلمون على هذا النهج فكانـوا يثيبون ويعاقبون ، وكانوا يستخدمون العقاب بعد أن تفشل الوسائل الاخرى من نصح وهداية واثابة ٠٠

كان الطلبة النابهون فى المدارس الابتدائية يكافئون فى الغالب بأن يستعرضوا فى شوارع بغداد على ظهور الابل حيث يقذف النـاس اليهم باللوز فى بعض الأحيان ـ وكان التلاميذ يمنحون اجازات كاملة أو اجازات جزئية اذا أتقن أحدهم حفظ جزء من القـرآن ٠٠ يقـــول الغزالى فى ثواب الطفل (واذا ظهر من الصبى خلق جميل وعمل محبوب فينبغى ان يكرم عليه ويجازى بما يفرح به ويمدح بين الناس) ويرى فى عقاب الطفل) أن يتغافل عن التقصير أول مرة ـ وفى المرة الثانية يعاقب سرا ـ ثم يعاقب سرا مع تعظيم الأمر له) ٠

والعبدرى فى المدخل يرى العلاج بالضرب اذا لزم الأمر عـلى أن يكون الأمر للتأديب وغير ميرح يقول (رب صبى يكفيك عبوسة وجهك عليه ـ وآخر لا يرتدع الا بالقول الغليظ ـ وآخر لا يزجر الا بالضرب ـ كل على قدر حاله) ٠

ويلاحظ أن التربية الاسلامية تفتح الباب أمام العودة الى الطريق السليم وفى هذا صلاح للمخطئ (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هـــو الغفور الرحيم) الزمر ٥٣ ٠

التربية بالمعرفة النظرية :

للمعرفة قيمة حقيقية فى الاسلام ـ والاسلام اعتبر العلم طريقـا لطاعة الله وخشيته فقال (انما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر/٢٨ ـ كما فرق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال انهم لا يتساوون (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكـر أولوا الألباب) الزمر/٩ وقال عليه السلام (ان الملائكة لتضع أسلحتهـــا لطالب العلم رضا بما يصنع) ٠

والعلم ينمى العقل والفكر ويساعد على تكوين خلفية ثقافية تجعله قادرا على أن يؤدى دوره فى الحياة

والمعرفة النظرية تستلزم السلوك حتى يكون لها فائدة وبذلك يكون هناك ربط بين الفكر والعمل والنظرية والتطبيق ٠

التربية بالنصح والارشاد :

أسلوب معروف فى التربية الاسلامية يتطـــرق الى النفس من مداخلها الحقيقية ويجعل الناصح شخصيا حريصا على المصلحة فيكون كلامه مقبولا ــ ويكون هذا الاسلوب مفيدا اذا كان المنصوح يثـق فى الناصح واذا كانت النصيحة صادرة من القلب ــ لأن ما يصدر عن القلب لا بد وأن يصل الى القلب ٠

وفى أسلوب النصح والارشاد مجال كبير للتوجيه الى ما فيـــه الخير والارشاد ــ ويمكن للمعلم ان يختار الوقت المناسب والموقف المناسب حتى تكون الفائدة كاملة ٠

والاسلوب غير المباشر فيه فائدة كبيرة لأنه لا يخرج الانسان ــ وفى الوقت نفسه يؤدى الى الغاية ــ وقد كان النبى عليه السلام يقول : ما بال أقوام يقولون كذا أو يفعلون كذا ؟ ٠٠٠ وقد جاء القرآن الكريم بالقصص فى القرآن ليكون موعظة وعبرة لأصحاب العقول (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه) يوسف ١١١ ٠

وقد بلغ عمر بن الخطاب أن رجلا من المسلمين أسرف على نفســه فى المعاصى وظن أن الله لن يغفر له فأغلق عليه بابه وسار فى طريقــه فارسل اليه عمر بن الخطاب يقول له : من عمر بن الخطاب الى فلان سلام عليك يقول الله تعالى (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير) سورة غافر ــ وأخذ الرجل يكرر الآيات حتى تاب واقلع عما كان فيه ٠

ولقد شرح الله تعالى خطبا الجمعة وخطبة العيدين وما الى ذلك من الخطب التى تقال فى المناسبات المختلفة التى تذكر الناس وتنصحهم وترشدهم الى ما يصلحهم فى الدنيا والآخرة ٠

خاتمـة :

هذا هو أسلوب التربية فى الاسلام والذى استخدمه الاسلام فى تربية أبنائه من المسلمين حتى يؤدى الى تحقيق الرسالة ـ وقد أدى الى نتائج رائعة حين طبق تطبيقا سليما ـ ونرجو أن نعود الى تطبيقه حتى نرى النتائج الرائعة التى نحن فى حاجة اليها فى حياتنا الحاضرة ـ وفى مستقبل أمتنا الاسلامية ـ وبخاصة وأننا على أبواب نهضة تحتاج الى كل فرد من أفراد الأمة ـ وقد ربى التربية الكاملة التى تجعله يستطيع ان يؤدى رسالته على الوجه الأكمل فيحقق بذلك خلافته فى الأرض ٠

ولله عاقبة الأمور ٠

تمهيـد :

تعنى الفلسفات المعاصرة والمذاهب المختلفة بتربية الشباب عـلى أفكارها وعقائدها ـ وقديما عنيت الأديان السماوية بمثل ذلك ٠

ولم يأت هذا الاتجاه عفويا ـ بل لما لحظه المفكرون والمصلحون على اختلاف عصورهم وبلادهم من أن فترة الشباب هى فترة امتصـــاص الأفكار واعتناق المبادىء والحماسة لها والدفاع عنها ومحاولة نشرهـا والبذل فى سبيلها بكل شىء ٠٠ بالصحة والمال والوقت بـل والنفس فى كثير من الأحيان ٠

وحول هذا الموضوع أجريت بحوث كثيرا لعل من أهمها البحوث الميدانية التى قام بها الاساتذة استاربك وكورجس وهول وقد جاء فى أحدث تقاريرهم (ان الدين تظهر بذوره فى النفس فى زمن الحداثة ولكن التفتح الدينى القوى المنبثق فى أغوار النفس البشرية انما يحدث فى العادة فى زمن البلوغ حتى قال بعض علماء النفس (ان هناك غـريزة اسمها غريزة التدين وتظهر فى زمن الحداثة بخاصة) ٠

ومن هنا رأينا الصراعات المختلفة حو لالشباب ومحاولة اجتذابهم حول الفكرة التى يعمل فيها كل منهم ٠٠ وقد وجدنا عناية الاســـلام بالشباب ـ تلك العناية الرائعة التى جعلته يعطيه الامكانات التى تكفل انطلاقه وتسلحه بكافة الأسلحة التى تعينه على أداء رسالته فى هـذه الحياة ٠

عناية سابقة على وجوده :

وعناية الاسلام بالشباب تبدأ من قبل أن يولد ٠٠ تبـدأ بتكوين الأسرة التى تحقق البيئة الصالحة له فهو يرى أن تكوين الأسرة له أسس تحقق الاطمئنان والسكن (خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليهـا وجعل بينكم مودة ورحمة) الروم/٢١ ولذلك فقد طلب من الرجـل أن يختار المرأة الصالحة التى تحقق التربية المثالية وتعطى للطفـــل كل

حاجاته ـ ويعبر الرسول الكريم عن ذلك بقوله (فاظفر بذات الدين تربت يداك) ومثل ذلك فى اختيار الرجل (اذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) ولان صفات الوراثة تظهر فى الأبناء فان الاسلام يعطى لأبنائه مؤشرات تساعده فى اختيار العناصر الصالحة فى تكوين الأسرة فهو يقول (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) ويقول اياكم وخضراء الدمن) ويفسر الرسول الكريم خضراء الدمن بأنها (المرأة الحسناء فى المنبت السيء) ٠

وبهذا التخطيط يضمن الأساس السليم للبيئة المتكاملة التى ينشأ فيها الطفل المسلم ثم هو يحاول أن يضمن له الاستقرار الدائم فى كنف الأسرة فيجعل الطلاق أبغض الحلال الى الله كما يقول الرسول الكريم ـ ويجعل أساس البيوت الوفاء كما يقول عمر بن الخطاب ـ ثم يجعل الأسرة مسئولة مسئولية كاملة عن تربية الأبناء يقول الرسول الكريم (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) ٠٠٠ البخارى والاسلام عنى بصحة الطفل من النواحى الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية ٠

الصحة الجسمية :

اذا حملت الأم فان الاسلام يعنى بهذا الحمل حتى انه يبيح للحامل الافطار فى رمضان اذا خافت على جنينها وبعد الولادة يعطيها حق الرضاعة والحضانة فاذا ما شب عن الطوق فان من حق الولد على الوالد أن يعلمه السباحة والرماية وركوب الخيل يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه (علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا) واللعب حق من حقوق الطفل يقول الغزالى ٠٠٠ (ينبغى أن يؤذن للطفل بعد الانصراف من المكتب أن يلعب لعبا جميلا يستريح معه من تعب العلم فان منع الصبى من اللعب وارهاقه فى التعلم يميت قلبه ويبطل ذكاءه) والرسول الكريم يقول (لاعب ابنك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم ألق حبله على غاربه) ٠

الصحة العقلية :

ويعنى الاسلام بالصحة العقلية فينميها بالثقافة والعلم يقول

الله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) الزمر/٩ بل انه يقصر خشية الله تعالى على العلماء (انما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر/٢٨ والرسول الكريم يقول (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) والقرآن الكريم يطلب من الجميع أن ينظروا الى مظاهر قدرة الله فى الخلق وفى نظام الكون بدراسة الماء والهواء والكائنات الحية وسير الكواكب وما الى ذلك (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) يونس ١٠١ ٠

الصحة النفسية :

تنال الصحة النفسية عناية كبيرة فى الاسلام فهو يعطى الطفل كل حاجاته من العطف والحب والحنان والاطمئنان والانتماء ــ ولقد أطال النبى الكريم السجود مرة لان الحسين رضى الله عنه ركب على ظهره وقال فى ذلك (ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله) ودخل عامل على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده يداعب أبناءه فأنكر عليه ذلك فقال له : كيف أنت مع أهلك ؟ قال : اذا دخلت سكت الناطق فقال عمر : (اعتزل عملنا فانك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم) ٠

والاسلام يطلب من المسئولين فى الاسرة أن يسووا بين الابناء فى المعاملة يقول النبى عليه السلام (اتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم) وقد رفض النبى عليه السلام أن يشهد على اعطاء رجل لابنه حديقة وسأله : أكل ولدك نحلته هكذا ؟ قال الرجل لا قال له النبى الكريم فى حزم (أغرب عن وجهى فانى لا أشهد على جور) وبهذا ينشأ الأخوة على المودة والمحبة بدون حقد أو حسد وتكون صحة الاخوة النفسية سليمة ٠٠ وهو يربى الضمير ويجعله قادرا على أن يسير المسلم وفق أوامر الله (من خشى الرحمن بالغيب) ق ٣٣ والرسول الكريم يقول (ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب) ٠

وهو حين يقوى روح الشباب يربطه بالله تعالى دائما حتى يكون احساسه بالامن واضحا ــ وما دام الله معه يعينه فى كل خطواته

فهـو فى اطمئنان دائـم (ألا ان أولياء الله لا خـوف عليهم ولا هـم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحيـاة الدنيا وفى الآخرة) يونس ٦٢ ـ ٦٤ ٠

وذكر الله الدائم يطمئن القلب ويريح النفس (ألا بذكر اللـه تطمئن القلوب) الرعـد ٢٨ ويطلب منـه أن يستعين باللـه فى كل خطواته وأن يبعد عنـه الشعور بالعجز والندم على ما فات فانه معطـل للعمل يقول الرسول الكريم (استعن بالله ولا تعجز) ٠

الصحة الاجتماعية :

ينمى الاسلام فى الطفل الآداب الاجتماعية وذلك حين يوصى المسلمين بأن يعلموا أبناءهم آداب السـلوك الاجتماعى حتى وان كانوا صـغارا ومن ذلك الاستئذان عنـد الدخول حتى ولو كان أقرب الناس اليـه وذلك فى الاوقات التى يتحلل فيها من القيود (يأيهـا الذين آمنـوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صـلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعـد صلاة العشـاء ثلاث عورات لكم) النور ٥٨ ٠

ويطلب من الشباب أن يكون قويا فى كل نواحيـه لان المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف كمـا يقول الرسـول الكريم ولقد قالت ابنة شعيب لابيها عن موسى (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) القصص ٢٦ ٠

والاسلام يطلب من الشاب أن يكون ذا شخصية قوية مستقلة لها هـدف واضح فى الحياة غير مهتم بالاكثرية اذا كانت على خطـأ يقول الرسول الكريم (لا يكن أحدكم امعة يقول : انا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وان أسـاءوا اسـأت ـ ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس ان تحسنوا وان أساءوا أن تتجنبوا اساءتهم) ٠

ثم ان الاسـلام يحترم رأى الشابة فيما يخصها ـ جـاءت فتاة الى النبى عليه السلام وقالت له : ان أبى زوجنى ابن أخيـه ليرفع بى

خسيسته ولم يستأذني فهل لى فى نفسى أمرا ؟ قال لها الرسول الكريم نعم فقالت ما كنت لأرد على أبى شيئا صنعه ـ ولكنى أحببت أن يعلم النساء ان كان لهن فى أنفسهن أمر أم لا ؟ وبهذا تظهر شخصية الشابة التى اجازت ما صنع أبوها بعد أن عرفت حقها ٠

والاسلام ويطلب من الشباب ن يكون معتدلا فى كل شىء حتى فى العبادة لان هذا الدين متين كما يقول النبى الكريم ويطلب من كل شاب أن يتوغل فيه برفق ويعلل ذلك بأن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى كما يوضح هذا النبى الكريم أيضا بقوله (ولن يشاد الدين أحد الا غلبه) ومن هنا فقد رفض النبى صلوات الله عليه أفكار الثلاثة الذين تعاهدوا على أنواع من العبادة ظنوا أنها توصلهم الى التقرب من الله تعالى فنذر أحدهم أن يصوم ولا يفطر ونذر الثانى أن يقوم ولا يفتر ونذر الثالث ألا يتزوج أبدا فقالها النبى صلوات الله عليه صريحة لهم (ان أتقاكم وأعلمكم بالله أنا ومع ذلك فأنى أصوم وافطر وأقوم وأنام وأتزوج النساء ثم قال : النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) البخارى ٠

ثم هو يوصى أفراد المجتمع بأن يكون سلوكهم فى الحياة التبشير والتفاؤل والتيسير يقول النبى الكريم (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) ٠٠٠ والمسلمون بعد هذا كله أخوة متحابون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تدعى له سائر لاعضاء بالحمى ولسهر ٠

الاسلام يزيل العقبات امام الشباب :

من طبيعة الشباب الحركة والحيوية والنشاط وقد يستتبع هذا الخطأ فى جانب من الجوانب ـ والله سبحانه وتعالى يفتح بابه للتائبين دون وساطة ويقول (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا) الزمر ٥٣ ويقول (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) البقرة ١٨٦ وجعل من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله (شاب نشأ فى عبادة الله) ويبين للشباب أن

الخطأ طبعي والمهم أن يتوب الشـاب ـ والنبى يقول (عجب ربك من شـاب ليس له صبوة) والمهم الا يتمادى الشـاب فى أخطائه ولا يجاهر بهـا يقول الرسول عليه السلام (كل أمتى معـافى الا المجاهرين وان من المجانة أن يعمل الرجـل عملا بالليل فيصبح وقـد ستره الله يكشف ستر الله عليه) البخاري ٠

والاسلام يزيل العقبات الداخلية حين يربى المسـلم على صـفاء القلوب يقول النبى عليه السلام لانس (يا بنى ان قدرت أن تصبح وتمسى وليس فى قلبك بغض لاحـد فافعل ثم قال : يا بنى وذلك من سنتى ومن احيـا سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى دخـل الجنة) كمـا يدعو الشـباب الى صـفاء القلب ـ ولقـد قال النبى الكريم عن رجـل من الانصار : انه من أهـل الجنة ٠٠ وحين لحظ عبد الله بن عمر أن الرجل لا يمتاز بشيء غير عـادى وصارح الرجـل بذلك فقال الرجل : يا بنى لا أعلم شيئا عندى الا أنى لا أبيت وفى نفسى حقد لانسان) ٠

وهو يبعد عن المسلم الحقد والحسـد لانه يقطع الروابط ويزيد المشكلات الاجتماعية ـ ويجعل الاوقات تضيع فيما يعود على النـاس بالضرر كمـا أنـه يعلم الشباب الصبر عند الغضب حين يطلب من الغاضب ان يقول (أعوذ باللـه من الشيطان الرجيـم) فاذا بالغضب يذهب عنـه ٠٠ كما يطلب من الغاضب أن يغير وضـعه فيكسر هـذا من حـدة الغضب ويصبح الانسـان أكثر هدوءا يقول الرسـول عليه السلام (اذا غضب أحدكم وهـو قائم فليقعد فاذا ذهب عنـه والا فليضطجع) ثـم هـو من الناحية الايجابية يبين للشـباب قـوة المجتمع المتكامل فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشـد بعضـه بعضـا ٠٠ والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حـاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيـا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسـلما ستره الله فى الدنيـا والآخرة والله فى عون العبد مـا دام العبد فى عوة أخيه ٠٠ بل ان الرسو لالكريم يقول (من كان له فضل زاد فليعد بـه على من لا زاد له ، ومن كان له فضـل ظهر فليعد بـه على من لا ظهر له) وبهـذا يتكون المجتمع المتكامل المتماسك الذى يريده الاسلام ٠

والاسلام عرف للشباب أقدارهم ووضعهم فى المكان اللائق بهـم بغض النظر عن أى اعتبار آخر ــ ومن ذلك أسـامة بن زيد الذى عينه الرسول عليه السلام قائدا على جيش كان من جنـده كبـار الصحابة وسـار أبو بكر الصديق فى ركابه رافضـا أن ينزل أسامه أو يركب هو وكان تعليله لذلك قوله (وما على أن غبرت قدمى فى سبيل اللـه سـاعة) .

وهكذا يرسم الاسلام طريق تربية الشباب التى تكفل له التوازن الكامل فى حياته ــ والتى تمكنه من أداء رسالته الاسلامية فى هـذه الحيـاة .

تمهيـــد :

يقول ادورد جوتنبرج الامريكى (يقصـــد بالتربية الجنسية جميع المســـائل التربوية التى يترتب عليها اعـــداد الناشئين لمقابلة جميع مشاكل الحياة التى يكون مركزها الغريزة الجنسية والتى تظهر بصورة من الصور فى كل انسان عادى ٠

والغريزة الجنسية من غرائز الانســـان الهامة لكن فرويد اشتط فى أهميتها حين فسر السلوك البشرى كله على أساسها فنزل بـــه من مستوى الانسان الى مستوى الحيوان ـ وجعـل الدوافع كلها مصـدرها الجنس حتى العبادة وقال مؤكدا (ان تاريخ البشرية هـو تاريخ دوافعها الجنسية) ٠

وقد رتب على هـــذا دمار الانسان اذا لم يشبع هـــذه الغريزة مع أن سلوك الانسان الجنسى يختلف عن سلوك الحيوان ذلك لان الانسان فيـه عقل وروح ونفس ثم هـــو يقوم بضروراته الجنسية على طريقـــة الانسان لا على طريقة الحيوان ٠

وفرويد كان يهوديا واقعـــا تحت تأثير البيئة التى كانت تسـود فيها بعض المفاهيم الدينية المنحرفة التى كانت تعيشها أوربا والتى كانت تدعو الى كراهية العلاقة بين الرجـل والمرأة ـ وتحرض على الرهبنة ٠

على أن أكثر أساتذة الطب النفسى لا يرون هـــذا الرأى ومن هؤلاء الـــدكتور (لويس بيش) الطبيب النفسى الـــذى يقول (ان الدوافع للغريزة الجنسية دوافع غريزة تحـــاول أن تعبر عن نفسها ـ ولـكن هـــذا لا يعنى أبدا ان عـــدم الاشباع يؤدى الى الدمار ان التعبير عن الجنس ليس ضرورة مطلقة وليس هنـــاك ضرر جسمى أو عقلى ينتج

عن الامتناع عن الجنس) وهــو بهذا يعيد للجنس البشرى كرامته التى أفقدها له تفسير فرويد ٠

ومن الناحية المقابلة نجد فكرا مسيحيا معاديا للزواج يرى أن هذه الغريزة ينبغى أن تكبت فاتجه الى الرهبانية يدعو له ويشجع عليهــا ويفتح الاديرة ويضع لها أنظمتها ٠٠ ولقد فشلت الاديرة فى أداء رسالتها لانها معادية للطبيعة البشرية ٠

الغريزة الجنسية فى الاسلام :

أمـا الاسلام فانه يقف وســطا بين هؤلاء وهؤلاء ـ فهـو يعترف بالغريزة الجنسية وأهميتها وخطورتها ولكنـه يضعها فى اطـــارها الصحيح فهو لا يرى رأى فرويد فى سيطرتها التى لا تدفع ـ ولا يرى رأى من يكبتها عن طريق الرهبنة ـ لكنه ينظمها ويضبطها ـ ويرى أنهـا من مميزات الجنس البشرى فهى سبب بقـــائه وسبب انجاب الـذرية الصالحة التى تحقق رسالة الانسان فى هذه الحياة ٠

ولقد أزال الاسلام بذلك الفكر المعادى للزواج الذى ســاد العالم المسيحى ـ وحرم الرهبانية وقالها نبى الاسلام صريحة (النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى) البخارى ٠

ووصل المتعة بالدين يهدف الى بقـــاء الجنس البشرى ـ وبذلك لا يقوم تناقض فى ضمير المؤمن بين قوانين الحياة التى يمارسها ـ وبين تعاليم الدين التى يجب احترامها ـ والجنس طـــاقة بشرية طبيعيـــة تحتاج الى اشباع ـ ولكن الاستغراق الذى يجاوز حدود المعقول هـو الامر المستنكر لانه يضخم أحـــد جوانب الانسان على حســـاب بقيـة الجوانب الاخرى ٠

والاعضاء التناسيلية ليست مقززة فى التربية الاسلامية ـ فالطفل يعود الطهارة من صغره لاتصالها بالصلاة ـ وفى كتب الفقـــه تفصيلات

كثيرة يدرسها الاطفال والشباب ليتطهروا ويستعدوا للصلاة التى هى أهم ركن من أركان الاسلام .

والاسلام يفرض العفـــة ويهيىء لها أسبابها ويجعلها ميســـورة فلا يلجأ الانســـان الى الفاحشة حينئـذ الا الذى يعـــدل عن الطريق الميسور عامدا أو مضطرا ـ ولقد رسم الاســـلام طريق اشباع الغريزة بحيث يتم ذلك فى سهولة وبصورة طبيعية .

الزواج :

والزواج هـو الطريق الطبيعى للاستجابة للغريزة ـ وذلك يتم فى ظـل من الرعاية لالهية ـ وقـد جعله الله تعالى للبشرية ليكون سكينة وألفـة ومودة (خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعـل بينكم مودة ورحمة) الروم ٢١ ـ وبالزواج تتوحـــد القلوب تحت ظـــل العقيدة ـ وهى أعمق ما يؤثر فى النفوس ـ ومن هنـــا فقد حرم الزواج بن المسلم والمشركة لانهما لا يجتمعان على عقيدة واحدة ـ والله سبحانه وتعالى يريد ألا تكون هـــذه الصلة ميلا حيوانيا ـ بـــل يرفعها حتى يصلها بالله تعالى ويربط بينها وبين مشيئته فى نمو الحياة ورضى بزواج المسلم بالكتابية لانها تؤمن بأصل العقيدة ـ وقـــد تهتدى الى الحق .

والزواج يعصـم الانسـان الى حـــد كبير كما جاء فى الحديث الشريف فانه أغض للبصر وأحصن للفرج بـــل ان فى اشباع الغريزة عن طريق الزواج أجرا كمـا يقول الرسول عليه السلام (وفى بضع أحدكم صدقة قالوا : أيأتى أحدنا شـــهوته ويكون لـه أجـر ؟ فيقول الرسول عليه السلام (أرأيتم لو ضـــعها فى حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها فى حلال كان له أجر) .

والاسلام لا يعتبر الحديث عن الغريزة عـــارا لانه يصله بأهداف علوية ـ وهـــو لذلك يتحدث عنه فى القرآن مبينا كثيرا من الجوانب التى يحتاج اليها الانســـان فى بيان الاحكام ـ فهـو يتحدث عن حـل المعاشرة الزوجية ليلة الصيام (أحـــل لكم ليلة الصــــيام الرفث الى

نسائكم) وحرمتها لمن نوى الاعتكاف (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد) البقرة ١٨٨ – وحرم اتصال المسلم بزوجـه أثناء الحيض (ويسألونك عن المحيض قـل هـو أذى فاعتزلوا النسـاء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) ثم يقول (فاذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله) البقرة ٢٢٢ – ومعنى ذلك الاتيان فى منبت الاخصاب دون سـواه فليس الهدف هـو حصول اللذة انما هـو امتداد الحياة وابتغاء رضوان الله (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) يتحدث عن ذلك فى أثناء الحديث عن أحكام الزواج والطلاق والعدة – ويرفع هـذه العلاقة عن أن تكون مجرد متعة جسد ٠

الصيام :

فاذا لم يستطيع الشاب الزواج لسبب من الأسباب فعليه أن يعتصم بالصوم فانه وقاية له – والرسول يقول فى ذلك (يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فأنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجـاء) والباءة : تكاليف الزواج ومعنى وجـاء : وقاية – فالصيام وسيلة ضبط قوية فعـالة ذلك لان الانسان يمتنع مختارا عن كثير من لذائذ الحياة المباحة ويمتنع عن الرغبة ويحقق كيانه بذلك الارتفاع ٠

منع المثيرات :

والاسلام يمنع المثيرات ويبعد الفتنة ويأخذ الطريق على أسـباب الاثارة (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم) النور ٣٠ (وقـل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبـدين زينتهن الا مـا ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن) النور ٣١ وذلك حتى لا تثـار الشهوات – وجعـل للبيوت حرمات فلا يدخل الانسان بيتا الا بعد الاستئذان والاذن بالدخول له – وذلك حتى لا تطلع الاعين على عورات من بالداخـل وهم فى غفلة مـع غض البصر من الرجال والنسـاء (يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتـا

غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) النور ٢٧ ثم نهى المؤمنات عن الوســـائل التى تعلن عن الزينة المستترة وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر الهادئة) (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مــا يخفين من زينتهن) النور ٣١ وقـــد جعل من الجماعات التى أعـــد الله لهـا مغفرة وأجرا عظيما (الحافظين فروجهـــم والحافظات) الاحزاب ٣٥ وفيه يظهر ضبط الغريزة وسيطرة الانســـان عليها وتنظيم العلاقات واستهداف مـــا هو أرفع من ثورة الغريزة فى التقاء الرجـل والمرأة واخضاع هـذا الالتقاء لشريعة الله ٠

ولقد رفع الاسلام ذوق المجتمع الاسلامى وظهر احساسه بالجمـال فلم يعد الطابع الحيوانى للجمال هــو المستحب بل الطابع الانسانى المهذب ـ وجعل جمال الحشمة هـــو الجمال النظيف الذى يرفع الذوق الجمالى ويجعله لائقـا بالانسان الذى يقوم بذوقه كخليفة للـــــه فى الارض ٠

ضبط الغريزة :

الاسلام يضبط الغريزة ويوجهها ـ والضبط يأتى أولا من ربط القلب البشرى بالله وخشيته وتقواه ومراقبته فى كل عمـــل ومن ربط المسلم باليوم الآخر ـ فالانسان يتلهف على لذائذ هـــذه الحياة حين يحس بأن فرصته فى الدنيـــا هى الفرصة الوحيدة فهو ينتهزها قبل أن تفوت لـكن المسلم يؤمن بأن (متـاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) ٠

والإســـلام يعرض الى جوار هذه اللذائذ ألوانا من لذائذ الحس والنفس ينالها من يحاولون ضبط أنفسهم فى هذه الحياة عن الاستغراق فى لذائذها المحببة لتبقى لهم انسانيتهم الرفيعة ـ ومن هنا فانه يجمع فى آية واحدة أحب شهوات الأرض الى نفس الانسان (زين للنـاس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) آل عمران ١٤ ثم يبين للناس أن هذا كله متاع الحياة الدنيا ـ ولكن هناك لذائذ أخرى أعظم وهى ما ذكر

في الآية الكريمة .. (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله) آل عمران ١٥ .

كما أن لهفة الانسان على المتعة الجنسية تضبط حين يعرف المرء في هذه المتعة وسائل لها غايات وسائل لانتشار النوع ويربط بين نزوة الجسد العارضة وغايات الانسانية الدائمة ورفرفة الوجدان الديني ويمزج بينهما في لحظة واحدة واتجاه واحد ذلك المزج القائم في كيان الانسان وأنه خليفة الله في أرضه المستحق لهذه الخلافة بما ركب طبيعته من قوى وبما أودع في كيانه من طاقات .

والاسلام – مع هذا – يستنند طاقات طاقات الانسان النفسية في اتجاهات عليا لا تلجأ الى المتاع الحسى وحده – كما يستنفد الطاقة الجسمية في اتجاهات عليا بقصد تحويل الفائض منها عن أن يستغرق في متاع الحس فهو لذلك – عن طريق الاعلاء – حث على الفروسية لأنها رياضة ترفع النفس عن محيط الحس وتوجه الطاقة الى منصرف نبيل .

وهو يقيم نظام المجتمع كله بصورة لا تحصر الدوافع الفطرية ولكنها تمنع الاسراف في كل شيء ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) الانعام/ ١٤١ .

ومن هنا فالشاب المسلم لا تظهر عنده العقد النفسية لأنه لا يوضع بين ضغطين متعارضين – ضغط من ضميره الذى كونه من الدين أو العرف بأن الغزيرة لا يجوز وجودها وان وجدت أخمدت – وضغط غريزته عندئذ تتكون العقد النفسية – أما الاسلام فقد ضمن سلامة الانسان من هذا الصراع بين شطرى النفس البشرية من نوازع الشهوة واللذة وحب الارتفاع والتسامى ولهذه وتلك نشاطها المستمر في حدود التوسط والاعتدال .

متى يبدأ تعليم حقائق الغريزة ؟

تأخذ هذه المسألة مناقشات كثيرة في التربية الغربية ـ ولعل أهم الآراء عندهم ما قاله بمياجيه فى بحثه عن أسئلة الأطفال (انهم يسألون من تلقاء أنفسهم قبل سن التاسعة أسئلة تبين الاهتمام بأجزاء الجسم ونظافتها والأعضاء التناسلية) ٠٠ لكنها فى الاسلام ليست كذلك ـ لأن الاسلام يعلم الطفل ابتداء من سن السادسة الطهارة عند اعداده للصلاة ومن خلال الطهارة يتعلم كل شيء بدون خوف وفى ظروف طبيعية ـ الطفل يسأل والأب أو المعلم يجيب ـ وليس هناك حياء فى الدين ـ والقاعدة الفقهية (لا حياء فى الدين) والسيدة عائشة رضى الله عنها تقول (رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين) ومن أن امرأة سألت النبى الكريم على على المرأة من غسل اذا هى احتملت ؟ قال عليه السلام : نعم اذا رأت الماء) ٠

جاء الاسلام ورفع العلاقة بين الجنسين فهى وظيفة انسانية ذات أهداف سامية تتعلق بحياة المجتمع واستمرار البشرية ـ كما تتعلق بارادة الله وعبادته ومراقبته فى كل طور من أطوار هذه العلاقة وبذلك رفع النظرة الى المرأة مؤكدا أهميتها ومؤكدا الجانب الانسانى فى علاقة الرجل بالمرأة ٠

ثم ان الاسلام يقول على تدبير أسباب الحياة النظيفة وعلى الوقاية من الأسباب الدافعة الى الجريمة ـ وعلى تهذيب النفوس وعلى الحساسية التى تثيرها فى القلوب فتتخرج من الاقدام على جريمة تقطع ما بين فاعلها والجماعة المسلمة من وشيجة ٠

هكذا رأينا الاسلام ينظر الى الانسان على أنه قمة الحياة على هذه الأرض خلقه الله وكرمه وجعله خليفة له فى الأرض واعترف بكل ما فيه من طاقات وغرائز وانفعالات وحاجات ونظم له كل هذا حتى يستطيع أن يحقق رسالته فى هذه الحياة ٠

الاسلام والتربية الجمالية

تمهيـــد :

التربية الجمالية تعبير يقصد به الجانب التربوى الـذى يرفق وجدان الفرد وشعوره ويجعله مرهف الحس مدركا للذوق والجمال فيبعث ذلك فى نفسه السرور والارتياح ويرتقى وجدانه وتتهذب انفعـــالاته وكل هذا يساعد على قوة الارادة وصدق العزيمة عنده ٠

ومنذ عهود طويلة أحس الناس أهمية الجانب الوجدانى حتى ان حكمة صينية قديمة قالت : اذا كان معك رغيفان من الخبز فبع أحدهما واشتر به باقة من الزهر ٠٠ ومعنى ذلك أن الاستمتاع بجمال الطبيعة يسد حاجة نفسية عند الانسان لا تقل أهمية عن الرغيف الذى يسـد حاجة جسمه عنده ٠

ومن هنا قال أحد الحكماء : ليس المهم أن نعيش ولكـن المهم أن ننعم بحياتنـــا ـ ويشرح الفنـــان نورمان فنتشت ميل فى كتـــابه « الفن الجديد » للحياة ـ طريقة استمتاع الناس بالحياة فيقول (اذا أردنا أن نعرف كيف يمكن أن ننعم بالحياة فلا بد وأن ندرك أن سر الحياة السعيدة الناجحة يكمن فى حرصنا عـلى أن نرى ما فيهـــا من جمال ٠٠ وجمال السماء فى جوهرها الأصيل ـ فى العمل الذى نؤديه ونرتزق منه ـ فى شعورنا ونحن نستقبل يومنا الجديد كل صـــباح ـ فى الحماس الذى يملأ نفوسنا ونحن نؤدى أعمالنا ـ فى اللحظات القصيرة التى نخلد فيها الى أنفسنا ونتأمل الحياة من حولنا ٠٠ فالحياة فن يجب أن نتعلمه ـ ولكى نتقن هذا الفن فلا بد أن نفرق بين الحقيقة والصورة فكثيرون يشدهم الزخرف دون الجوهر وأكثر منهـم الذين لا يعرفون كيف يفرقون بين الحقيقة والزخرف) ٠

التربية الجمالية فى النظرة الحديثة :

ترى التربية الحديثة أن الانفعالات الطبيعية لها أهمية كبرى فى حياة الطفل لأنها تريح نفسه وتدخل عليها البهجة والنشوة .. وهذا يعبر عن منابع الجمال والفن .. وتذوق الجمال يؤدى الى نتيجة طيبة فى سلوك الطفل ويعينة على ضبط نفسه ـ فاذا تأمل صورة أو باقـة زهر واستمتع بسماع الموسيقى فان هذا سيكون سـببا فى طـرافة حياته وشعوره باللذة .

والتربية الجمالية تؤدىالى اعلاء الغرائز فهىبذلك تؤدىعملا أخلاقيا ـ ومن هنا فان التربية الحديثة تقول : علينا أن نوجه الطفل الى جمال الطبيعة ونجعله صديقا لها .

والشىء الجميل هو الذى يريح نفس الانسان ويجعل النظر اليه محببا ويبعث على التخيل ـ والتخيل يكون عن طريق النظر والتأمل ، وادراك الجمال لموضوع ما معناه التأمل بعمق فيه وادراك ما فيه مـن اتساق وانسجام اثناء التخيل ، ويبصر الانسان فيه معنى من المعانى التى التبطت بينه وبين نفسه وفى هذا ادراك لحقيقة الجمال .

ونحن ندرك القيمة الجمالية لموضوع معين بما تثير ه أجزاؤه المتناسقة المنسجمة من التخيل فالانسان يشعر بجمال المنظر المعين لأنه يبعث على اثارة مكنونات نفسه ويجد المرء فيه تزويدا لما تتجاوب بـه جوانح قلبه وصدى ملحا من أصدائه النفسية .

والاستمتاع الجمالى يغذى الوجدان والرغبات المكبوتة داخـل النفس ـ ولذلك فانه يعمل على تجديد طاقات المرء وتنويع مظاهرهـا واتزان نواحيها ـ وفى الطبيعة والتأمل فى بدائعها استمتاعات جمالية لا حضر لها لانها تجعل الانسان يرى نفسه عنصرا من عناصر الطبيعـة مندمجا بين أعضائها .

وأول درجة فى الجمال النفسى صفاء النفس واستمتاعها بالتأمل

الهادىء اذ كثيرا ما تغطى كماديات الحياة على معنوياتها وكثيرا ما تغطى على نداء القلب ونداء الضمير فاذا صفت النفس صارت قابلة للاستمتاع بالجمال لأن الصفاء والجمال يمثلان الحركة الحية فى الحياة ـ وفى التأمل فى الطبيعة وبدائعها استمتاعات جمالية لا حصر لها ـ لأنهـا تجعل الانسان يرى فى نفسه عنصرا من عناصر تلك الطبيعـة عنصرا مدمجا بين أعضائها ـ فالتأمل الهـائم والشاعر المتـأمل كل منهمـا عاشق من عشاق المعرفة يتعشقها لمتعة جمالية ولغذائه الروحى ـ وهذه المعرفة لها أثرها وقيمتها لأنها تؤثر فى اعماق الوجدان ـ وفى ارتفاع قيمة النفس ـ وفى تنظيم نواحى الحياة وغاياتها الروحية ٠

مواطن الجمال :

ترى الفلسفة الحديثة أن الجمال يكمن فى الحركة ـ حـركة القلب فى عاطفة الحب ـ حركة العاطفة فى البذل ـ حركة الضمير فى يقظته ـ حركة الذهن فى افكاره وأدائه لرسالته ـ كما يكون فى السكون بعد الثورة ـ فى الصمت بعد الضجيج ـ فى التأمل بعد الدرس ـ فى الوفاء بعد الوعد ـ كما يكون فى النمو وفى العمق وفى التجديد وفى التنوع وفى الخلق والابداع والابتكار ٠

الجمال فى الاسـلام

من الأقوال المأثورة لدى المسلمين الحديث الشريف الذى رواه مسلم (ان لله جميل يحب الجمال) والقـرآن الكريم عنى بالجمال عناية واضحة فالله سبحانه وتعالى خلق كل ما هو جميل ـ خلق الانسان فى أكمل صورة واحسن خلقه (وصوركم فأحسن صوركم) التغابن/٣ ـ ثم خلق كل ما يحيط بالانسان فى الكون فى صورة جميلة نراهـا ويراها الانسان ويمعن النظر فيها ويتمتع بما فيها من جمال ـ ذلك لأن تصميم هذا الكون قائم على كمال الوظيفة كما هو قائم على الجمال ٠

فالسماء جميلة وقد زينها الله تعالى للرائى وجعلهـا متناسقة

(انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) الصافات/٦ — والانسان اذا نظر فى الكون فى السماء وما فيها من كواكب متنـاثرة — رأى أجمل منظر تقع عليه العين — ويمكن للانسان أن ينظر وأن يطيل النظر والتأمل بدون أن يمل ذلك — يرى النجمة تلمع فى السماء بنورها وتغير منازلها ليلة بعد ليلة — ويحس الانسان بالمتعة النفسية التى لا تمل أبدا — ومثال ذلك ما نراه فى آية أخرى (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين الحجر/٦ ٠٠ ذلك هو الخط الأول فى لوحة الكون العريضة التى تنطق بآثار اليد المبدعة وقول الله تعالى (وزيناها للناظرين) لفتة الى جمال الكون وبخاصة تلك السماء التى نراها فوقنا ونلمس عظمتها وروعتها — ونحن نحس بالكون وبأن الجمال مقصود فى خلقه ٠

فالمتأمل فى الآية الكريمة يحس الى جانب الضخامة والدقة الجمال الذى ينشأ من تناسقها جميعا وينتظم المظاهر جميعا — ونظرة واحدة الى السماء فى الليلة الحالكة الظلام أو الليلـــة المقمرة تجعلنا نحس بعمق الجمال الموجود فى الكون الذى تبرزه الآية الكريمة (وزيناها للناظرين)٠

والمتأمل فى الأرض يجد الكمال فى كل ما تقع عليه عينه يجـده فى الزرع النامى والثمر اليانع والجنان الوارفة — فى النبتة لتى تخرج من ظلام الأرض الى نور الحرية — كما تجده فى امتـلاء الغصن بالورق الأخضر والثمار الناضجة التى من الله بها على عباده فى قوله تعـــالى (ليأكلوا من ثمره) يس/٣٥ ٠

وفى هذه المناظر الخـلابة تأتى الآية الكريمة (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا) يس/٣٣ فتعطى للانسان احساسا بالحياة فى الزرع والجمال فى هذه الحركة ٠

وفى سورة النحل تأتى الآية الكريمة (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) النحل/٨ لتنبه الى نعمة الله فى تلبيـة الضرورات البشرية وهى مادية ونفسية — وتؤكد الآية الكريمة أهمية الناحيـــة الجمالية لأنها أطنبت فيها فى الحديث عنها قال تعالى (ولكم فيهـــا

جمال حين تريحون وحين تسرحون) النحل/٦ - ولكم فيها جمال عند الاراحة فى المساء وعند السرح فى الصباح - وقد بدأ بالأراحة مع كونها متأخرة زمنا لما فيها من جمال الاستمتاع بمناظرها وهى راجعة ممتلئة سمينة وهو منظـــر قد لا يعيه تماما الا أهل الريف - فالجمال عنصر أصيل فى نظرة الاسلام للحياة والدعوة اليه مطلوبة تلبية لحاسة الجمال عند الانسان - وهى دعوة انسانية رائعة تبين الشعور الانسانى المرتفع على حاجة الحيوان ٠

فالكون بما فيـــه من هندسة يجتمع فيها الجمال الى الكمال - والتصميم فى ذاته جميل وكامل الصنعة ووافٍ لكل الوظائف والخصائص التى يتفوق بها الانسان فى الأرض على سائر الأحياء ٠

أثر التربية الجمالية فى الاسلام :

المسلم له هدف سام فى هذه الحياة - وهو تحقيق خـلافة اللـه فى الأرض ونشر العدالة والأمن بين الناس جميعا - الأمن الداخـلى فى النفس - والامن الخارجى - وكل أساليب - التربية الاسلامية تسير نحو تحقيق هذا الهدف - والجمال يحرك الهمم الى التدبر فى ملكوت الله فيشعر الفرد بالجمال - وحين يؤثر الجمال فى المسلم داخليا يجعل سلوكه قائما على أســـاس من رقة الأحساس والذوق الجمالى (أفلـم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها والقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) ق/٦ - ٧ ٠ ويدعوه هذا الى أنن يكون هدفه فى الحياة متجها لا الى المصلحة الخاصة به وحدها - بل ولا العامة للمجتمع الاسلامى أو المجتمع البشرى بل أنه يتجه به الى كل ما فى الكون من مخلوقات الله ٠

فالتربية الجمالية تجعل المسلم يحس بالعلاقة الوثيقة بين الانسان وبين الكون كله - صلة قائمة على التعاطف والحب - فالانسان جزء من هذا الكون - والكون كله مخلوق لله تعالى - فهناك صلة روحية بينـه وبين الكون ٠

هذا التعاطف بين الانسان والكون يعرضه القرآن بوسائل شتى ـ منها احياء مشاهد الكون وجعلها تتحرك كالأحياء (فقال لها وللأرض أئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) فصلت / ١١ ـ ومنها جمع الخلائق كلها فى حكم واحد (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض) الصف/١ ـ ومنها رد الانسان الى منشئه من تراب الأرض (والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) نوح/١٧ ، ١٨ ومنها حب الحياة فى جميع الأحياء لأنها تشاركها الاحساس والحياة على السواء ٠٠ فاذا تعود على الصداقة مع هذا الكون الواسع فان هذه الصداقة تعمل عملها فى تهذيب نفسه ـ وتزيل التوتر الذى يصيبها وتجعله يحس بالحب لكل شيء ـ والحب لكل موجود ـ ثم ان هذه التربية الجمالية ستجعل المسلم يشعر بالاستعلاء على كل قوة فى الأرض لانه لا وزن له بجانب قوى الله تعالى ٠

ومن هنا فقد نبهنا القرآن الكريم فى قوة الى تقصى ما فى السموات والأرض من جمال ٠٠ وطالبنا بالالتفات الى ابداعها وحسن تنسيقها ـ والابداع صفة من صفات الله تعالى ـ والقرآن يهدف الى تذوق الفن الجميل فان الجمال فى كل شيء من تمام النعمة وكأنه بذلك يستنهضنا الى أن نقتبس من سنة الله تعالى فيما نصنع ٠

والأسلام دائما يشعر الفرد بكرامته على الله ٠٠ ومن ذلك أنه جعله دائما يحس بالجمال ـ فالقرآن الكريم حين يقول (وصوركم فأحسن صوركم) التغابن/٣٣ انما يشعر الانسان بفضل الله عليه فى تحسين صورته الخلقية وصورته الشعورية ـ فالانسان اكمل خلق الله واكمل الاحياء فى الأرض من ناحية تكوينه الجسمانى كما أنه أرقاها من ناحية تكوينه الشعورى واستعداداته الروحية ذات الأسراع العجيبة، ولذلك فقد جعله الله سبحانه وتعالى خليفة له فى الأرض وطلب منه عمارتها واقامة العدالة فيها ـ كما طلب منه أن يعنى بالجمال حتى فى نفسه وأن يستمتع بالجمال الذى خلقه الله ـ فالقرآن الكريم حين يقول (خذوا زينتكم عند كل مسجد) الأعراف/٣١ فانما يريد غرس الجمال فى نفس كل مسلم ويجعله يحس بأن الزينة مطلوبة وليس هذا

فقط ـ بل انه يستنكر من يعترض على هذا فى أسلوب قوى أخاذ (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعـراف /٣٣ ـ فهذه الزينة أخرجها الله تعالى وكشفها للناس ليستمتعوا بهـا وليحسوا بجمالها ٠

خاتمـة :

بالذوق الجمالى ينطبع فكر الفرد ويجد الانسان فى نفسه نزوعا الى الاحسان فى العمل ، وأى شىء يعمله الانســـان مهما كان ضـئيلا فى نظرنا له صلة كبرى بالجمال ـ فالطفل القذر أو الطفل الذى يلبس الملابس البالية نلاحظ أن قذارته أو ملابسه البالية فيها سجن لنفسـه ـ وهذه القذارة تبعث الاشمئزاز فى كل من تقع عليه عينه ٠

ومن هنا فان الاسلام يوصى بأن يكون المرء حسن المنظـر كريم الهيئة ـ وقد جعل التجمل واتخاذ الزينة من آداب الصلة بالله تعالى (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الأعراف/٣٢ وقـد روت السنة المطهرة أن رجلا دخل على النبى صلوات الله عليه وهو ثائر شعر الرأس واللحية فاشار عليه الرسول الكريم كأنه يأمره باصلاح شعره ففعل الرجل ثم رجع فى هيئة حسنة فقال النبى الكريم (أليس هـــذا خيرا من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان ؟) رواه مالك ٠

واذا كانت التربية الحديثة تهتم بالتربية الجمالية للاستمتاع فى هذه الحياة فقط فيقول الكاتب الانجليزى الكبير تشارلز لايب (أليس غريبا أن تشيخ أرواحنا قبل أن يخط المشيب شعر رؤسنا ؟) فـأن الاسلام يرى أن الاستمتاع بجمال الكون جزء أصيل مقصود فى التربية الاسلامية لما له من آثار فى النفس لابد وأن يصل الى غايتـه ـ وهى الاحساس بالله خالق الكون وخالق الجمال ـ وبذلك يلتقى الفن بالعقيدة كما تلتقى المتعة الحسية بالمتعة الروحية ـ وتصفو سريرة الانسان ـ ويصبح مسلما صالحا لأن الحواجز النفسية زالت من نفسه حين وسع افقه واتصل بالله وبذلك يعيش فى سعادة وراحة ويؤدى رسالتـــه الانسانية التى أوجده الله من أجلها ٠

تمهيد :

التربية الصحية بمفهومها الحديث : أن يكون الفرد سليما من الأمراض الجسمية بكل صورها متكاملا من الناحية النفسية ومن الناحية الاجتماعية ـ وهذا هو تعريف منظمة الصحة العالمية ويقصد بتكامل النفس : أن يكون الانسان متمتعا بالاستقرار النفسى بحيث يمكنه التوفيق بين رغبته وبين الحقائق المادية والاجتماعية المحيطة به قادرا على تحويل الازمات غير مستسلم للانطواء خال من نزعة التشكك والايذاء ـ كما يقصد بالتكامل الاجتماعى : أن يكون الانسان عنده القدرة على معاشرة غيره من الناس واكتساب حبهم وتفهم سلوكهم وتقدير شعورهم مع امكانه التصرف فى الأزمات وهذا التعريف هو أحدث تعريف للتربية الصحية فقد مضت فترة طويلة كان الناس يفهمون ـ ولعل الكثيرين فى الدول النامية لا زالوا يفهمون ـ أن التربية الصحية تعنى العناية بالناحية الجسمية وحدها ، وبناء على تعريف منظمة الصحة العالمية يصبح المقصود من التربية الصحية : الصحة الشخصية والصحة النفسية والصحة الاجتماعية • فالصحة الشخصية تتصل بكل فرد فى المجتمع وضرورة عمله على الاحتفاظ بكيانه العقلى والبدنى والاجتماعى سليما صحيحا متكاملا حتى يعمل وينتج ويهنأ بحياته ويسعد للقياه والعمل به معه كل أقاربه وزملائه ومن يحتك به وهذه الصحة الشخصية لها أثرها فى الصحة الجماعية لان صحة الجماعة تتكون من مجموع صحة أفرادها ـ ولذلك فان من الواجب على كل فرد أن يعنى بصحته عناية كاملة لتتحقق الشخصية الاجتماعية ـ ولا يمكن أن يكون المجتمع سليما الا اذا آمن بكل فرد فيه ايمانا قويا بأهمية الصحة الشخصية وأثرها فى تكوين الأجيال القادمة وعمل بأصولها وأساليبها •

فالتربية الصحية اتجاهات فى نفوسنا نقدر بها كل شىء يتصل بحياتنا ـ وهذه الاتجاهات الصحية القوية تأتى عن طريق الفهم

والادراك والتخطيط ثم الممارسة الذاتية والتطبيق حتى تصبح هـذه الاتجاهات عادات قوية عميقة في العقل والنفس يؤمن بهـا وينبـذ ما عداها ... ومن هنا اهتمت هيئة رعاية الطفولة والأمـومة في الأمم المتحدة (اليونسيف) بالمدرسة لأنها مؤسسة اجتماعيـة تعمل عـلى تنشئة الأطفال تنشئة صحيحة بأساليب صحيحة ـ وتتكـون عـادات عقلية وصحية واجتماعية وغير ذلك من العادات التى تعين الفرد عـلى أن يعرف كيف يفكر وكيف يعيش وكيف يتحرك وكيف يعمل ويتعاون وينتج وكيف يتكيف بالظروف وكيف يعيش فى الظروف المحيطـة به ؟ ولذلك فقد أقامت تدريبات في الدول النامية لمـدارس المرحـلة الأولى والموجهين وغيرهم من الذين يشتركون فى تربية الأطفال بطريقة مباشرة ـ وهذا جهد مشكور ـ ولكن الذى يلاحظ أن هذه الاتجاهات كلها بعيدة عن ربطها بالعقيدة ـ مع أن ربطها بالعقيدة يقويها ويجعـل آثارها واضحة ومتينة وعميقة ويوفر كثيرا من الوقت والجهد فى نشر هذه المناهج وفى تطبيقها .

الصحة الشخصية :

وقد أوصت هيئة رعاية الطفولة والأمومة بالعناية بالتغذية بحيث تكون نظيفة غير ملوثة بالجراثيم مستوفية لعناصر الغذاء اللازمة للجسم وهى : مواد البناء (البروتينات) ومواد الطاقة (النشويات والسكريات والدهنيات) والمواد الواقية من الأمراض وهى (الفيتامينات والأمـلاح المعدنية) والمهم ايجاد مناعة فى الجسم ـ والمناعة قد تكون طبيعيـة ضد جميع الأمراض وتأتى عن طريق العناية بالطفل من أيام الحمـل ثم بالتغذية الكاملة أثناء الحمل وبعده ـ كما تأتى عن طريق الوقايـة من الأمراض بالنظافة الشخصية ـ والمناعة الطبيعية تجعل الانسان فى كفاءة تامة ودائمة فان المريض اذا عولج قلت كفاءته نسبيا بالمرض الذى أصيب به وبالدواء الذى تناوله أيضا ولذلك يقـول الدكتور هولمز الانجليزى المشهور فى احدى محاضراته (لو اننا قذفنا جميع ما لدينا من العقاقير الطبية الى قاع البحر لتحسنت صحة الانسان كثيرا ولساءت صحة الأسماك) .

وقد تكون المناعة مكتسبة بمعنى أن يكون الجسم قادرا على المقاومة نتيجة لوجود مواد مضادة فى الدم وهى تعطى أيام انتشار مرض من الامراض المعدية ٠٠ والصحة الشخصية لها أهميتها ـ وتتم بالتدريب الدائم على النظافة ، وأن يعود الطفل على غسل اليدين وعلى العناية بالحواس وبالاسنان لما لها من أثر على صحة الجسم كله ٠

والاسلام يعنى بالتغذية من ناحية كفايتها (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) الاعراف ٣١ والآية الكريمة نأخذها من زاوية أخرى ـ زاوية الاسراف فى الطعام لما له من أثر سىء على صحة الجسم كله فالانسان يأكل ليعيش ولذلك جاء فى الحديث الشريف (حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه) وفى الاثر (المعدة بيت الداء) وقد بدأ العالم المتقدم يتنبه الى اضرار الاسراف فى الطعام وينبه الى تجنبه حتى لا يصاب الناس بالامراض ٠

وتظهر عناية الاسلام بالصحة الشخصية فى الوضوء المكرر للصلاة ففيه عناية بأطراف الانسان التى تتعرض لعوامل الجو وبحواسه التى تحتاج الى نظافة دائمة ـ والنبى الكريم يقول لاصحابه : (أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى ذلك من درنه شىء ؟ قالوا لا : قال فكذلك الصلوات الخمس) هذا الى جانب فرضية الغسل أو سنيته عند صلاة الجمعة والعيدين ويخلط الاسلام الطهارة الظاهرة بالطهارة الباطنة بالثواب حتى يزيد اهتمام الناس بها ـ روى مسلم عن أبى هريرة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا : بلى يا رسول الله قال : اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد) ويشيد الله سبحانه وتعالى بالمتطهرين فيقول (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة ٢٢٢ وذلك بعد طلبه البعد عن النساء فى فترة الحيض حتى يتطهرن كما يربط بين الطهارتين فى قوله (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) التوبة ١٠٨ والحب

أسمى درجات الرضـــا وفيـــه ترغيب شـديد للناس فى التطهير ـ ولا عجب فى ذلك فالتطهر هـــو أعلى درجات النظافة ـ والنظافة دليل الانسانية الراقية وهى السبيل القويم والوسيلة الفعـــالة للوقاية من الامراض ومن السنن المعروفة فى الاســـلام أن يغسل لانسان يديه قبـــل الطعام وبعـده وقـد عنى الاسـلام بالاســـنان عناية كبيرة فالمضمضة فى الوضوء ســـنة واستعمال السواك سنة مؤكدة حتى لقد قال الرسول الكريم (لولا أن أشق على أمتى لامرتهم بالسواك عند كل صـــلاة أو مع كل صلاة) ويقول (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) وأمراض الاسنان تمثل المرض الثانى فى كثرة الانتشار فى العالم كمـــا أذاعت منظمة الصحة العالمية ويلاحظ أن الاســـلام ربط كل هـــذا بالعقيدة والعبادة فكان تأثيره أكبر وأعمق ·

نشاط الطفل :

تعنى هيئـة رعاية الطفولة والامومة بنشـاط الطفـل لان الحركة من علامات الحياة والطفل فى تطور نموه يحتاج الى حركة دائمة ـ فقلة الحركة بالنسبة له فى الهواء الطلق والشمس تقلل من شهيته وتضعف من عضلاته بما فى ذلك عضلة القلب التى تضعف أيضـــا من قدرته النفسية كمـا تضعف الهضم وحركة الاخراج ـ والتربية الرياضـــية مفيدة للطفل وفائدتها ليست قاصرة على تقوية العضلات واعتدال القوام والقدرة على التحكم فى الجسم وتحسين التنفس ـ ولكنها أيضـا لتجنب مخلفات المدنية الحديثة التى تقلل من الحركة وتكثر من القيود الشىء الذى قـد يعطل النمو كما أنها تعطى للطفل حيوية وثقـــة واشباعا لتنمية ملكـــاته الذاتية وبذلك تكتمل الصـــحة الجسمية والنفسـية والاجتماعية وتؤدى الى تدعيم صلات الطفل بالمجتمع كمـــا أن الرياضة البدنية بارشاد المتخصصين تســاعد على علاج عيوب القوام ·

والاسلام عنى بكل أنواع الرياضة وجعل من حقوق الولد على الوالد أن يعلمه الى جانب الكتابة والرزق الحلال ـ السباحة والرماية ـ يقول النبى عليه الســـلام (حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة

والرماية والايرزقه الا حلالا طيبا) وعمر بن الخطاب يقول (علمـوا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبـا) والنبى الكريم شجع على مسابقة الجرى وسـابق السيدة عائشة أكثر من مرة وكل هذا كان مرتبطا بالعقيدة الاسلامية ٠

الصحة النفسية :

ترى هيئة رعاية الطفولة والامومة : أن كل طفل يحتاج الى الحب والحنان والامان ـ وتتوقف درجة الامان التى ينالها الطفل على نوع الرعاية التى يتلقاها من والديه فى المنزل والمدرسين بعد دخوله المدرسة وعلى هـذه الاسس يشعر الطفل بشخصيته ويحس بأنه مرغوب فيـه وبأنه ينتمى الى أشخاص ـ ولهـذا أثره فى نموه العاطفى ـ وقـد تكون بذور انحرافات الصحة النفسية الشخصية وضعت فى تكوين الطفل قبل أن يصل الى سن المدرسة ويحتاج الطفل حينئذ الى من يتفهمه ويرعى صحته النفسية وصحته العاطفية بحيث تتكامل مع نواحى نموه الاخرى وبطبيعة الحال لابد وأن تكون الصـحة النفسية لمن سيتولى العنـاية بالطفل سليمة حتى يكون قادرا على أداء واجبـه لانها تنعكس انعكاسا شـديدا على صحة الطفل البدنية والنفسية والاجتماعية ومشـكلات الاطفال تؤثر كثيرا على حيويتهم ودراستهم ـ والمهم كشـفها ـ وهى تعرف بملاحظة كثرة النسيان أو السرحان وضعف الذاكرة أو الكراهية لعلم من العلوم ـ كمـا تظهر أيضا فى الميل الى التخريب ـ وهو لون من ألوان الانحرافات المؤذية ـ وبعض هـذه الامراض قد تكون سببا فى مرض نفسى فى مستقبل الايام ـ واذا فحصنا المتخلفين عن النجـاح فى سنوات الدراسة فان ما يقرب من سبعين فى المـائة منهم يحتاجون الى العون النفسى والاجتماعى ـ ولو أن هؤلاء أحسنت تربيتهم لمـا وصلوا الى هـذه الدرجة ولما احتاجوا الى وضع خطة لعلاجهم ـ ولذلك فان الاسـلام عنى بالطفل من قبل أن يولد وذلك بتهيئة الجو النفسى الصـالح لتربيته الجسمية والنفسـية والاجتماعية والعقليـة وذلك باختيار أبوين صالحين على أسـاس متين لا يرضى الاسلام بـه بديلا وهو التقى ٠٠ وبين أن أسـاس تكوين الاسرة المسكن والراحـة

والطمأنينة ـ وجعل العناية بعد ذلك بالطفل واضحة فالطفل فى بطن أمه يعتنى به عناية كاملة ـ ولو استدعى الامر افطار الام فى رمضان اذا تأثر الطفل بصيامها ـ وهكذا ـ وبعد ولادته أوجب له الرعاية والرضاعة والتربية الكاملة المتكاملة كما أوجب اعطاءه حاجاته من الحب والحنان والعطف ـ وبلغ الامر بالنبى الكريم أن أطال السجود فى الصلاة لان الحسن رضى الله عنه كان متعلقا بكتفه وقال للصحابة فى وضوح ضاربا لهم المثل فى ذلك (ان ابنى قد ارتحلنى فكرهت أن أعجله) ونظر النبى الكريم الى رجل له ابنان قبل أحدهما ولم يقبل الآخر فقال له فهلا سويت بينهما ؟ فالنبى صلوات الله عليه يلحظ الاثر النفسى فى الطفل الذى لم يقبل ويرشد الأب موضحا له الحقائق التى يجهلها ـ وفى ظلال العطف والحنان تكون الرعاية والتربية يقول الرسول الكريم (أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم) بل ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عزل واليا من ولاته لقسوته مع أولاده لانه لا يعطيهم حاجاتهم النفسية وذلك حين دخل وال من ولاته عليه فوجده يداعب أبناؤه فأنكر عليه الوالى ذلك فقال له : كيف أنت مع أهلك ؟ قال : اذا دخلت سكت الناطق فقال له : اعتزل عملنا فانك لا ترفق بأهلك فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

الصحة الاجتماعية :

الانسان يعيش فى مجتمع يتفاعل معه يؤثر فيه ويتأثر به ولا يستطيع أن يعيش عيشة راضية الا اذا استطاع أن يتعامل معه على أساس من التعاون والتفاهم والرضا فهو كائن اجتماعى لا يستطيع أن يعيش وحده ٠٠ ومن هنا فقد أصبح من أسباب الصحة الاجتماعية للفرد أن يكون عنده القدرة على معاشرة الناس واكتساب حبهم متفهما لسلوكهم ودوافعه مقدرا لشعورهم ، وهذا يستلزم أن يكون الانسان خبيرا بالناس وبدوافع سلوكهم ، وأن يحاول مساعدتهم وبذل المعونة لهم يعطيهم ويأخذ منهم بل يعطيهم أكثر مما يأخذ منهم ٠٠ ومن ذلك التهادى والمجاملات التى تحدث آثارها غير محتقر

لاى شيىء مما يقوم بـه فالقيمة المادية ليست لهـــا أهمية ولكن القيمة المعنوية هى المهمـــة وفى ذلك يقول النبى الكريم (لا تحقرن جـــارة لجارتها ولو فرسن شـــاة) البخارى ومن ذلك القـــاء السلام على من يعرف الانسان ومن لم يعرف لانه يبعث الأمن والمودة بين الناس يقول الرسول الكريم : ألا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم) .

وفى المجتمع الاسلامى يحس المسلم بأنه لبنة لهـــا كيانها ـ وكل فرد كذلك فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشـــد بعضه بعضا ـ والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ـ والمؤمنون جميعا كالجســـد الواحد اذا اشـــتكى منـه عضو تداعى لـه ســائر الاعضـاء بالحمى والسهر .. والتناصح فى المجتمع الاسلامى مطلوب وفى ذلك يقول الرسول الكريم (الدين النصيحة قلنـــا لمن يا رسول الله قال : للـه ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم) كمـــا أن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب .. ونصرة المسلم للمسلم بالمعنى الاسلامى مطلوبة وهى التى تظهر فى قول النبى الكريم (انصر آخـــاك ظالمـا أو مظلوما قالوا يا رسول اللـــه ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالمـــا قال أن تأخذوا على يـده فذلك نصره ظالمـــا) والتماس الاعذار للناس والعتاب بالرقيق أشياء تبقى المودة وتجعل الحياة الطيبة مقبولة وتجعل صحة الناس الاجتماعية سليمة .

وسائل التربية الصحية :

للتربية الصحية وسائل أهمها : القدوة فى التصرف والســـلوك من كل من هـم فى مقـام التوجيه والتربية كالوالدين والمدرســـين ـ ويتأثر الطفل دائما بمن هم فى مركز القدوة : أمـــا القول بلا عمل فقد يكون ضرره أكثر من نفعـه ـ ولذلك عـــاب القرآن الكريم على من يسلكون هـــذا السلوك (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتـا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) الصف ٣٢ ومن وسائلها تكوين العادات الطيبة ويكون ذلك عن طريق تكرار عمـــل معين مرات كافية لجعله جزءا من حيـــاة الطفل ـ والعادة لذلك تؤدى دورا خطيرا فى

حياة الانسان لانها توفر قسطا كبيرا من الجهد البشرى بتحويله الى عمل سهل يؤديه الانسان فى سهولة ويسر ٠

ومن وسائلها استغلال الدوافع الدينية فى تربية الضمير واذا أحسن استغلال هذا الدافع أدى الى أن يكون الانسان سويا فى سلوكه وفى احساساته ٠ ولعل اندفاعنا الى الحياة المادية الجارفة وبعدنا عن الحياة السوية هو من أسباب عدم اهتمامنا بالنواحى الدينية مع أن الايمان بالله وقدرته وواسع علمه هو أكبر دافع للانسان فى أن يعدل بينه وبين نفسه وبين غيره سببا فى سلوكه ما دام قد اهتدى للعدل بينه وبين ربه ، وقوى الصلة بالله يهمه أن يكون سعيدا واطمئنانه لله الاطمئنان الكامل ومراعاته حقوق الله فى كل تصرف تجعله شاعرا بالراحة والهدوء النفسى ٠

خاتمة :

والتربية الصحية فى مجتمعنا العربى تحتاج من كل فرد من أفراد المجتمع ان ينظر الى الحياة نظرة باسمة فأنعم الله على عباده كثيرا فقد خلق الانسان فى أحسن صورة وكرمه وجعله خليفة له فى الارض وسخر له الكثير من مخلوقاتهورسم له المنهج الذى يسير به فى هذه الحياة ليجد السلامة والامن – والفرق بين المتفائل والمتشائم هو فرق فى النظرة فقط فالمتفائل يقول : وافرحتاه لقد بقى فى الزجاجة نصفها والمتشائم يقول : واحسرتاه لقد فرغ من الزجاجة نصفها ٠ **وقديما قال الشعر العربى ::**

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدى المساويا

وحديثا قال الشاعر المهجرى :

أيهذا الشاكى وما بك داء
كيف تغدو اذا غدوت عليلا ؟

ان شر الجنـــــاة فى الارض نفس
تتوقى قبـــل الرحيـــل الرحيـلا

وترى الشـــوك فى الـورود وتعمى
أن ترى فوقهـــا النـدى اكليـــلا

والـــذى نفســـه بغير جمـــال
لا يرى فى الوجود شيئا جميـــلا

أيهـذا الشـــاكى ومـــا بـك داء
كن جميلا تـــر الوجود جميـــلا ؟

وهـــذه النظرة لهـا أثرها فى حيـاة الانسان وفى عمله وبقـدر نجاحـه فى تحقيقها يكون نجاحـــه فى عمله وبقدر نظرته المتفائلة يكون سعيدا . ومما يروى فى هـــذا الموضوع أن رجلا كان سائرا فى الطريق فوجد رجلا فقيرا مكفوفا قـــد احتوشته الامراض من كل جانب ومـع ذلك فهو يحمد الله فقال له على أى شىء تحمد الله ولم يترك لك ما يوجب الحمد فرد عليه قائلا : ابعد عنى أيها الجاهل فلقد أبقى لى قلبـــا يشكره ولسانا يذكره .

كما تحتاج تربيتنا الصحية الى أن تعود الى بيئتنا المحبة الخالصة التى لهـا جذور عميقة فى النفس فتجعل التعاون ســـائدا والاطمئنان موجودا ... والاســـلام رسم كل الطرق التى تؤدى الى المحبة فالرسول يقول : المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجـــــة أخيـه كان الله فى حاجته ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيـا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيـــامة) والقرآن الكريم يقـــول (ولا تستوى الحســـنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينـه عـداوة كأنه ولى حميم) فصلت ٣٤ والعمل الخالص للـه يريح الضمير ويجعل احساس الناس مرهفـــا شاكرا لانعم الله التى تظهر فى الهدوء النفسى وفى البركة فى المـــال والصحة والاولاد .. ومن يتق الله يجعل لـه مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الطلاق ٣ .

تمهيـــد :

يقصد بالتربية الغذائية : تكوين سلوك صحى يترتب عليه اختيار الفرد للغذاء الذى يوفر له كل امكانات النمو والحيوية والانتـــاج ، فالغذاء الكامل من العوامل الرئيسية التى تحقق الصـــحة الكاملة وهذا يتطلب أن يكون كل مسلم على عـــلم بحاجات الجسم الغذائية حتى يعـد الوجبـات الكاملة التى تغطى احتياجاته طبقـــا لسنه وللاعمـال التى يقوم بها ـ وكل جسم يحتاج الى ما يأتى :

١ ـ المواد البروتينية :

وهى لازمـة لبنـاء الجسم ولتجديد ما يتلف من الخلايا ٠٠ ومن هنـــا فاننا نجد أن الصغير أكثر حاجـــة الى هـذه المواد من الكبير وان كانت العـــادة قـد جرت على غير ذلك ـ وهى تنقسم الى بروتينات حيوانية والى بروتينات نباتية ٠

٢ ـ مواد الطاقة :

وهى لازمة لتزويد الجسم بالطـــاقة التى يحتاج اليهـــا وهى موجودة فى الدهنيات والنشويات والسكريات ـ والكمية التى يحتـــاج اليها الجسم تختلف حسب السن ونوع العمل الـذى يقوم بـه ٠

٣ ـ المواد الواقية من الامراض :

وهى الفيتامينات والامـلاح المعدنية ٠

والاسلام يريد أن يكون المسلمون أقوياء الجسم الى جانب قـوة

الروح ـ وفى ذلك يقول النبى الكريم (المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف) وجعل من مميزات القيادة صحة الجسم وقوته وفى ذلك يقول الله تعالى فى طالوت (ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) البقرة ٢٤٧ ـ كما يمدح موسى لقوته وأمانته فيقول على لسان ابنة شعيب (يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين) القصص ٢٦ ٠

الطعام الحلال :

حارب الاسلام سوء التغذية وطلب من المؤمنين ألا يحرموا شيئا مما احله الله لهم فقال (يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) المائدة ٨٧ ـ وشجع المسلمين على تناول كل أنواع الطعام الحلال التى تفيد (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة) المائدة ٩٦ ـ وهو يمثل البروتين الحيوانى وفيه كل ما يحتاج اليه الانسان من الاحماض الامينية تقريبا ومن ذلك اللبن الذى يعتبر غذاء كاملا للطفل وغذاء مفيدا للكبار ـ وقد ذكره الله تعالى فى قوله (من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) النحل ٦٦ ومن ذلك التمر الذى له فوائد غذائية جمة لاحتوائه على عناصر متعددة الى جانب انه مفيد للنساء اللائى يلدن ولذلك يقول الله تعالى فى كتابه الكريم لمريم (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا) مريم ٢٥ ـ وقد ذكر فى القرآن الكريم أنواعا من الزروع والثمار التى يحتاج اليها الجسم وذلك فى قوله تعالى (وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ٠٠ الآيات) الانعام ١٤١ ويقول بعد ذلك (كلوا من ثمره اذا أثمر) ١٤١ ٠

وقد لوحظ أن البروتينات النباتية لا تكفى احتياجات الجسم اذ ان أى نوع منها لا يوجد به الا بعض الاحماض الامينية ـ ولهذا ينصح خبراء التغذية أن يأكل الانسان أكثر من صنف حتى يحدث بذلك تكامل فى الغذاء ٠٠ ولكى يحصل الانسان على ما يلزمه منها فلابد

وأن يأكل كمية كبيرة جـــدا مما قــد يجهد جهازه العصبى لان أمعــاء الانسان قصيرة بالنسبة لامعاء الحيوانات أكلة العشب ٠٠ ولهـذا نعى على بنى اسرائيل حين قالوا لموسى : لن نصبر على طعـــام واحد وطلبوا منــه أن يدعو ربــه لتخرج لهم الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها فقال لهم (أتستبدلون الذى هـــو أدنى بالذى هو خير)البقرة٦١ لانهــم كانوا قبـــل ذلك يأكلون المن والسلوى ٠٠ وقـــد لحظ بعض الباحثين أن الطفل المولود فى الشعوب النباتية لا يزيد عادة عن ٢ كيلو بينما وزنه فى الشعوب التى تأكل الحيوانات ٣ كيلو ـ وهـذا يعنى أن البروتين الحيوانى أكثر فائدة لنمو الجسم من البروتين النباتى ٠

عسـل النحل :

ومن الاغذية المفيدة للجسم عســـل النحل فهو غـذاء وشفاء فى الوقت نفســه يقول الله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيــه شفاء للناس) النحل ٦٩ وقد قام العلماء فى الـــدول المتقدمة بعمل أبحاث على عسل النحل ـ وقد اكتشفوا أن عســـل النحل بــه سـكر الجلوكوز ـ وهـو أهم السكريات فائدة للمريض والسليم اذ أنـــه أسهل امتصاصا فى الامعــاء واقــل قابلية للتخمر ـ ولذلــك يعطى غــذاء أساسيا لمرضى الحميات والاطفال الضعاف وتصنع منــه حقن فى الوريد بعد العمليات والحوادث ـ وعســـل النحل يحتوى على ١٢ فيتامينا منها فيتامين ب ومركباته ـ وهـو يساعد على النمو ـ ويستطيع الجسم بوساطته أن يقـــاوم الانيميا والامراض الجلدية والعصـــبية والبلاجرا ـ كمـــا يساعد على هضم المواد النشوية ـ كما يحتوى على قدر من فيتامين ج الذى يقاوم أمراض الدم والاسقربوط ـ ويمنع العـدوى من بعض الامراض ـ كمـا أنـه ضـد النزف والتسمم ـ كمـا يحتوى على المركبات التى تبنى خلايا الجسم وتعوض مـــا يتلف من أنسجتــه كما أن له مفعول السحر فى شفاء السعال والتهاب الجســم وتعويض ما يتلف من أنسجته كمـا يحتوى على كمية ملحوظة من أحماض الفاكهة التى لها قيمة غذائية كبيرة ـ ثم هـو مطهر للامعـــاء والمعدة وهو من الملينات القوية المفعول ـ ويعاون على تنشيط الكبد ـ ولــه قدرة كبيرة

على قتل كثير من الميكروبات التى تسبب الامراض ثم انه يحتوى على معادن تعطى للجسم حيويته مثـل الحـديد والبوتاسيوم والصوديوم والكبريت والمغنسيوم والفوسفور يقول الرسول الكريم (نعـم الشراب العسـل يرعى القلب ويـذهب برد الصدر) وقـد تكونت شركات للادوية فى انجلترا وألمانيا وسويسرا تستعمل العسـل علاجا أساسيا فى جميع مركباتها للسعال والالتهابات الصـدرية والتهابات الحلق والجلدية واللثة وغـذاء للاطفال ــ وغـذاء ملكات النحل تصنع منـه حبوب للكبار فى السن لكى يستردوا نشاطهم وحيويتهم ٠

الطعام الحرام :

ولما كان الاسلام يحرص على الصـحة الجسمية بالنسـبة للمسلمين فانه حرم عليهم من الاطعمة والاشربة ما يؤثر على صحتهـم تأثيرا سيئا ــ وقـد ذكر بعض هـذه الاشياء فى الآية الكريمة (حرمت عليكم الميتـة والدم ولحم الخنزير ٠٠) المائدة ٣ ــ وسبب تحريم لحم الميتة : أن الموت يحدث أمـا بسبب الشيخوخة أو بسبب المرض ــ ففى حالة الشيخوخة نلاحظ أن الحيوان الذى يموت يصـاب بتليف فى جميع أنسجة جسمه فيفقد قيمته الغذائية ويصبح عسر الهضم فى الامعـاء وفى حالة المرض قـد يتعرض الانسان للعدوى أما عن طريق انتقال المكروب مباشرة من لحم الحيوان الى لحم الانسـان اذا لم يكن قـد طهى جيدا وأمـا عن طريق السميات التى يفرزها ميكروب المرض والتى لا يقتلها الطهو وهـذه تسبب التسمم الغذائى ٠٠ وحرم الاسلام أكل الـدم اذ أن وظيفة الـدم أن ينقل جميع المواد الغذائية التى تمتص من الامعاء الى أعضاء الجسم وعضـلاته الى جانب حمله للفيتامينـات والهرمونات والاكسوجين وجميع العناصر الحيوية والضرورية ــ وللدم وظيفة أخرى فهو يحمل افرازات الجسم الى خـارجه عن طريق البول والعرق والبراز وبذلك يتخلص منها الانسان ٠٠ واذا كان الانسـان مريضا فان الميكروبات تتكاثر عـادة فى دمـه أو تستعمل الـدم وسيلة لانتقالها من عضـو الى آخر كما أن افرازات الميكروب وسمياته تنتقل عن طريق الـدم أيضـا ولهـذا حرم الاسلام أكل الدم ــ وحتم

الذبح الشرعى الذى يقوم بتصفية دم الحيوان بعد ذبحه فلا يضار الانسان به – وحرم الاسلام أكل المنخنقة لان الكائن الحى اذا اختنق فان الاوكسوجين لا يدخل رئتيه ويتراكم ثانى أكسيد الكربون السام وجميع الافرازات السامة التى تخرج عادة مع التنفس فى عملية الزفير – وهذه المادة اذا احتبست عادت لتمص فى الجسم وتحدث التسمم فى كل أنسجته ثم الوفاة .

وحرم الاسلام أيضا أكل الموقوذة : وهى الحيوان الذى يضرب ضربا يؤدى الى الموت بعد أن يتلف الضرب أنسجة الجسم وعضلاته . كما حرم بقايا ما أكل السبع – والسباع هى كل حيوان ذى ناب من آكلات اللحوم كالكلب والثعلب – والحكمة من تحريم هذه الحيوانات انها قد تكون مصابة بمرض فى فمها ولعابها وتبقى آثاره على اللحم فتؤذى من يأكل منه .

وحرم الاسلام كذلك لحم الخنزير – وسبب ذلك كثرة اصابته بأنواع خطيرة من الديدان وأهمها الدودة الشريطية وهى حين تصل الى الامعاء تكمل دورة حياتها فى جسم المريض اذ ينتقل البيض الى الدورة الدموية ويتوزع على الاجهزة الحيوية للجسم حتى تتحول الدودة فى غلاف سميك يصل الى حجم حبة الفول – فاذا كانت فى المخ أصابت الانسان بالجنون واذا كانت فى العين أصابتها بالعمى واذا وصلت الى القلب أصابته بالهبوط والتحلل ولا تتأثر بالادوية العادية لانها مغطاة بجدار سميك عازل – وطهو لحم الخنزير سريع لا يعطى فرصة كافية لقتل الطفيليات .. ونسبة الكولسترول فى لحم الخنزير أكثر من عشرة أضعاف ما فى البقر – وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين وبخاصة شرايين القلب وتسبب ارتفاع الضغط وتصلب الشرايين وكذلك فان نسبة الذبحة الصدرية وتصلب الشرايين فى أوربا تعادل خمسة أضعاف النسبة فى العالم العربى والاسلامى – ودهن لحم الخنزير عسر الهضم ويزيد احتمال الذبحة الصدرية

وتصلب الشرايين ونوع الدهن يحتوى على نسبة كبيرة من الاحماض الدهنية المعقدة ـ وقد لوحظ أن لحم الخنزير عند تناوله يصبح مادة غريبة لا تتفق فى تركيبها مع دهن الأنسان مما يؤدى الى اختلال فى دورات التمثيل الغذائى فى الجسم وكذلك دورات الكولسترول الذى يتسبب تغييرها فى أحداث أمراض خطيرة داخل جسم الانسان ٠٠ وقد أثبت الاستاذ (دام) بجامعة كوبنهاجن والحاصل على جائزة نوبل : أن دهن الخنزير بالذات يتسبب بشكل قاطع فى أحداث حصوات مرارية ـ ولا تزال الابحاث العلمية تثبت على مر الايام أخطارا جديدة للحوم الخنازير وشحومها ٠

كما حرم الاسلام على المسلمين أكل أشياء أخرى وردت فى قول النبى صلوات الله عليه (حرم على أمتى كل ذى مخلب من الطير وكل ذى ناب من السبع) رواه أبو داوود ـ وسبب ذلك أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التى تأكلها لاحتواء لحومها على افرازات داخلية تجول فى الدم وفى العضلات وتنتقل الى من يأكلها فتؤثر فى أخلاقهم ٠٠ ثم ان الحيوان المفترس عندما يهم باقتناص فريسة تفرز فى جسمه هرمونات ومواد تساعده على غريزة القتال واقتناص الفريسة يقول الدكتور ليبج أستاذ علم التغذية فى بريطانيا (ان هذه الافرازات تخرج فى جسم الانسان حتى وهو حبيس فى قفص عندما تقدم له قطعة لحم لكى يأكلها) ولا تقتصر الاضرار على الناحية الجسمية بل تتعداها الى الاخلاق فقد لوحظ أثر ذلك على بعض القبائل التى تأكل هذا اللحم الى حد أن بعضها يصاب بالضراوة فيأكل لحوم البشر ـ بل أكثر من هذا فقد لوحظ على هذه القبائل التى تأكل هذا اللحم انها تصاب بنوع من الفوضى الجسمية وانعدام الغيرة على الجنس الآخر وعدم احترام نظام الأسرة والعرض والشرف ـ ولعل لحم الخنزير احد اسباب انعدام الغيرة الجنسية لدى الاوربيين وظهور الكثير من الظواهر الشاذة مثل تبادل الزوجات والزواج الجماعى التى تظهر فى البيئات الغربية ٠

الخمر :

كما حرم الاسـلام شرب الخمر وذلك لسببين أولهما : أنهـا تغيب العقل وهو نعمة من الله تعالى ويترتب على ذلك أن يتصرف الشارب تصرفات لا تليق وأن يأتى أفعـالا قـد تدخـل فى باب المنكرات والكبائر وثانيهما : أنها تؤثر تأثيرا قويا على الكبد وغيره من أجهزة الجسم الداخلية الى جانب أنها تضعف الجسم وتنهك قوته فلا يستطيع الشـارب أن يكون عضوا نافعا فى المجتمع ـ وقـد كان تحريمه باتا بـل لقد قرنه الله فى الحرمة بالميسر والانصـاب والاجسام وذلك فى قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصـاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) المائدة ٩٠ ـ بـل جعله من الكبائر التى تستوجب اقامة الحد ٠

عادات غذائية :

وبعد أن بين الاسلام أنواع الطعام التى تصلح لصـحة الجسم فأباحها والتى تعود عليه بالضرر فمنعها حرص على أن يكون للمسـلم عادات غذائية تحفظ عليه صحته وتعـود عليه بالفائدة منهـا عـدم الاسراف فى تناول الطعام وقال فى ذلك (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انـه لا يحب المسرفين) الاعراف ٣١ ـ ذلك لان الاكثـار من الطعـام يصيب المعـدة بالارهاق والكسل عن الهضم وتخمر الاغذية ـ وقـد تحدث القرحة والالتهابات فى المعدة والمرىء وفى الاثنى عشر كثيرا بسبب زيادة الطعام يقول الرسول الكريم (ما ملأ ابن آدم وعـاء شرا من بطنـه بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسـه) رواه احمد والترمذى ويقول فى حديث آخر منفرا من الاكل بشراهة (المؤمن يأكل فى معى واحـد والكافر يأكل فى سبعة امعاء) متفق عليه ـ وقـد كره النبى صلوات الله عليه الجشـاء أو التكرع اذ انه ظاهرة مرضية لا صحية لان سببه ارهاق المعدة بالطعام بحيث لا تستطيع أن تهضمها هضما جيدا فيتخلف فى المعدة ويحدث له تعفن وتخمر ـ وتخرج منه الغازات ـ وفى هذا يقول النبى الكريم (كف عنا جشاءك فان أكثركم شـبعا فى الدنيـا أطولكم جوعا يوم القيامة) رواه الترمذى ٠

ومن العادات الغذائية التى طلبها الاســـلام غسل اليدين قبـــل الطعام وبعده وذلك ليتخلص من الميكروبات والطفيليات التى قد تحملها اليد يقول الرسول عليه السلام (بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده) رواه احمد والترمذى — كما طلب ان يكون تناول الطعام باليد اليمنى ذلك لان اليد اليسرى قد تكون حاملة للميكروبات والديدان مثل دودة الاسكارس وفى ذلك يقول الرسول الكريم (يا غلام سمى الله وكل بيمينك وكل مما يليك) ٠

وقد نهى الرسول الكريم عن الاشـــياء التى تتسبب فى ضعف الجسم وان كانت طاعـــة مثل موالاة الصيام وموالاة القيام ليلا وقال فى ذلك حديثه المشهور (انى أتقاكم وأعلمكم بالله أنا — ومع ذلك فأنى أقوم وأنام وأصوم وأفطر ٠٠) الحديث رواه البخارى ٠

خاتمة :

من هنا يتبين لنا أهمية أن يسير المسلم على نظـــام الاسلام فى التربية الغذائية فيأكل من الطيبات التى أحلها الله له — ويشـــــكر نعمة الله عليه — وأن يبتعد عن الاشياء التى حرمها عليه فى الطعـــام والشراب وأن يحافظ على العادات الغذائية السليمة فانه بذلك يكون صحيح الجسم قوى البنية يستطيع أن يؤدى رسالته فى هـــذه الحياة — والاسلام يطلب من المســـلم أن يكون دائما مستعدا للدفاع عن دين الله — ولا يقوى على الدفاع الا اذا كان كامل الاســـتعداد من جميع النواحى ومنها الصحة الجسمية والصحة المعنوية وفى ذلك يقول الله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الانفال ٦٠ ٠

وقد لحظ الطبيب الروسى بدحمر لينز صاحب الابحاث فى اعادة الشباب : ان احدى القبائل المسلمة فى يوغسلافيا يزيد متوسط العمر فيها على مائة عـام — وقـد وجـد أن السبب الرئيسى فى ذلك ان هذه القبيلة تعتمد على لحم الغنم وتأكل العســـل ولبن الماعز — ولا تأكل لحم الخنزير ولا تشرب الخمر — فاذا ما استطلع المسلمون أن يتفهموا هـــذا المعنى والمنهج فى التربية الاسلامية فى الغـــذاء وان يسيروا عليه فانهم بذلك يحققون لانفسهم ولمجتمعهم ولدينهم ما يريدون ٠

(م — ٨)

الاسلام والتربية العسكرية

تمهيـد :

يقصد بالتربية العسكرية : تدريب الجسم وصـــقل العقـــل وتهذيب النفس بهـدف خلق رجـــال على استعداد لاداء واجبهم القتالى بكفاءة عالية حتى الاستشهاد فى سبيل أداء الرسالة التى أعـــدوا لهـــا ٠

والقتال ضرورى فى هـــذه الحياة لان فيها الحق والباطل وفيها صاحب الايمان بالقيم الانسانية وصاحب الكفر بهـــا ، وبغير القتال لا يستقيم الحال بـــل ينتشر الفسـاد وتعم البلوى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) البقرة ٢٥١ ـ ومن هنـــا كان القتال ضرورة بل نعمة من نعم الله على العالم الانسانى ٠

والاسلام ارتقى بفكرة الحرب وســما بأسبابها فلا مكان فى الاسلام للقتال بهدف العدوان أو الرغبة فى السيطرة أو الســـــعى الى فرض نفوذ أو امتداد حدود ـ وقـد دعـا الناس جميعـــا الى أن يدخلوا فى السلم كافة (يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى الســـلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لـكم عدو مبين) البقرة ٣٠٨ ـ ذلك لأن الاسلام دين الفطرة ولذلك فقد هـــذب فكرة الحرب فى النفوس وحصرها فى أضيق الحدود فجعلها محصورة فى انقـــاذ الناس من عبادة الى عبادة الله ومن ذلك ما جـــاء على لسان ربعى بن عـــامر وحذيفه بن محصن والمغيرة بن شعبة فى حديثهم لرستم قائـد جيش جيش الفرس فى موقعة القادسية حينما ســـألهم واحدا بعد واحد فى ثـــلاثة أيام متوالية : مـــا الـذى جـــاء بكم ؟ (والله ابتعثنا لنخرج من شـــاء من عبادة العبـــاد الى عبادة الله وحـده ومن ضيق

الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام) كما جعلها للدفاع (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) الحج ٣٦ ـ أو لتأديب ناكثى العهد (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) التوبة ٢ ـ فان رغبوا فى السلام فان الاسلام يرغب فيه (فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين) البقرة ١٩٣ ٠

ولعل المجتمع الاسلامى هو المجتمع الوحيد الذى يعيش بين أفراده على مدى التاريخ أناس من غير المنتمين اليه دينا ومع ذلك فهم يحسون فى ظلاله بالامن والاطمئنان والعدالة والمساواة الى درجة أدهشت الناس فى جميع الاماكن والاوقات ـ وفى ذلك كتب المستشرق الفرنسى جوتينيه فى كتابه (أخلاق المسلمين وعاداتهم) يقول (مما نشاهده داخل البلاد الاسلامية قديما وحديثا أن الاسلام يحتضن دائما بين جناحيه من المحيط الهادى الى المحيط الاطلنطى طوائف من غير المسلمين يهود ونصارى ومجوس وطوائف من المسلمين المبتدعين شيعة وخوارج وأباضية ولم يفكر العرب ولا المسلمون يوما حتى فى أشد أوقات حميتهم الدينية أن يصفوا بالدم دينا منافسا لدينهم ولم يفكر الخليفة يوما فى أن يضطهد مسيحيا يعقوبيا أو مجوسيا مانويا : انها فضيلة تستحق كل الاعجاب والتقدير) ٠

اعداد الفرد :

والاسلام يعد الفرد اعدادا متكاملا فالمسلم حر وليس عبدا الا لله وصلته بربه قوية ودائمة ولذلك فهو يعيش فى أمن وسلام واطمئنان (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) البقرة ٣٨ وقد عمل الاسلام تكوين الضمير الذى يجعل المسلم يرضى الله فى كل خطوة من خطواته فهو يجاهد نفسه ضد العادات السيئة والاخلاق المعوقة داخل النفس كالحقد والحسد والبغض وخارجها كالاعتداء على الناس ـ ثم أن المسلم يندفع فى أداء واجبه على أكمل وجه معتمدا على قوة ذاتية داخل نفسه سواء اكان هذا الواجب لنفسه أو لمجتمعه ٠٠ فى أعلى درجة من الكفاءة والفاعلية ، والاسلام

لا يكتفى بأداء الواجب بــل يطلب من المسلم الاحسان فى ادائه ويفسر الرسول الكريم الاحسان بقوله (أن تعبد اللــه كأنك تراه فان لــم تكن تراه فانه يراك) البخارى ٠

كما أن الاسلام يربى الفرد المسلم على الطـاعة للــه ولرسوله وأولى الامر ما داموا سائرين على منهج الله (يا أيها اللذين أمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) النساء ٥٩ ـ وبعد ذلك يقوم المسـلم بالتدريب على السلاح وأداء واجبـه ٠٠ والاسلام يطلب أن يكون تدريب المسلم مستمرا حتى تكون كفاءته القتالية عالية يقول الرسول الكريم (من ترك الرمى بعد مـا تعلمه رغبة عنـه فانما هى نعمــة جحدها) ونلاحظ تعبير النبى الكريم بقوله نعمة : فالنعمة لفظ محبب الى النفس وهى من اللــــه سبحانه وتعالى وهــذا يجعل المسلم يحافظ عليها ٠٠ والنبى صلوات الله عليه يرغب فى صناعة السلاح أيضــا فيقول (ان الله يدخــل بالسهم الواحد ثلاثة نفر صانعة المحتسب فى عملــه الخير والرامى له والمنبل به) بــل انه يجعل من تعلم الرمى ونســيه كمن تعــلم القرآن ونسيه (من تعلم القرآن ونسيه فليس منــا ومن تعلم الرمى ونسيه فليس منا) ويجعل خير الناس : رجــل وهب نفسـه للجهاد (خير الناس رجــل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله كلمــا سمع هيعة ـ صيحة خطر ـ طــار اليها) ويقرن النبى عليه السلام المسـلم الذى يحرس فى سبيل الله بالمســلم الذى تبكى عينه من خشــية الله فيقول (عينان لا تمسهما النــار يوم القيامة عين بكت من خشـية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله) ويستثنى الرسول الكريم من اللهو الرمى بالقوس وتأديب الفرس لانه يرفع كفاءة المســلم القتالية (كل ما يلهو بـه المسلم باطـل الا رميه بقوسـه وتأديبه فرســـه وملاعبته أهله) وفى صحيح مسلم عن عتبة قال : سمعت رســول الله صلى الله عليه وسلم يقول (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الا أن القوة الرمى الا أن القوة الرمى) وقال أنس : ما ذكرت القوس عنـد النبى عليه السلام الا قال : ما سبقها ســلاح الى خير قط) والرسول الكريم يقول (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيــا وما عليهـا

والروحة يروحها) العبد في الجهاد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها) ويقول (من اغبرت قدماه للجهاد في سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار) وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري أنه قال قيل يا رسول الله : أي الناس أفضل قال : (مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله) وقال (من اغبرت قدماه للجهاد في سبيل الله حرم الله سائر جسده على النار) .

اعداد المجتمع :

الاسلام يعد المجتمع الاسلامي لتسلم قيادة البشرية ويربيه على أساس واقعه بكل ما فيه من قوة وضعف حتى تكون قيادته قيادة رشيدة فيها صلابة الحق اذ أن آية عقيدة انما تحيا وتعمل وتؤثر بمقدار ما تحمل من قوة كامنة وسلطان وذلك يتوقف على مقدار ما فيها من الحق ومن توافق مع القاعدة التي أقام الله عليها الكون ومع مشيئة الله التي تعمل في هذا الكون ... وعندئذ يمنحها الله القوة والسلطان المؤثرين في هذا الوجود والا فهي زائفة باطلة ضعيفة .

فالاسلام يعد المجتمع بالعلم اذ أنه لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، والعلم أساس القوة سواء اكان ذلك من ناحية المعدات والاسلحة المبتكرة أم من ناحية التدريب ، ودعاء المسلمين (وقل رب زدني علما) طه ١١٤ ثم انه يربي المجتمع على الحرية والكرامة الانسانية فالمسلمون في رعاية الله ما داموا أولياءه (آلا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يونس ٦٢ - ثم يبين لهم حدود الكرامة الانسانية (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) كما يربي المسلمين على الطاعة للقيادة ما دامت القيادة سائرة على منهج الله (اسمعوا وأطيعوا وان ولى عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله) رواه مسلم ويطلب منهم أن يختاروا قائدا لهم في كل الاحوال (اذا كنتم ثلاثة فأمروا أحدكم) وفي نفسه يطلب من القائد أن تكون فيه مؤهلات القيادة والا فليتنازل عنها ومنها أن يحبوه وفي الحديث الشريف (أيما رجل أم قوما وهم ما كارهون لم تجز صلاته أذنيه) .

ويربى الاسلام المجتمع على التعاون على الخير (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) المائدة ٢ . كما يطلب منهم عدم التنازع اذ أنه مدعاة للفشل (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الانفال ٤٦ ذلك لان المؤمنين اخوة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر . ثم ان المسلمين تتكافؤا دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم كما يقول الرسول الكريم .

ومن الاشياء التى اهتم بها المجتمع فى تربية المجتمع الانضباط الذاتى الذى يكون السلوك فيه نابعا من الضمير ولذلك يقول الرسول الكريم (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) البخارى وفى هذا المعنى يقول نابليون (ان المجتمع الذى لا يعتمد على قوة ذاتية ويتوقف العمل الجماعى فيه على قوة السلطة لاشك انه يعتبر عبئا على المجتمع ومضيعة لقواه) .

والاسلام يربى المجتمع على حب الجهاد فالله سبحانه وتعالى هو الذى اختار هذه الامة لتلك المهمة (وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج) الحج ٧٨ كما أنه يغير مفهوم الموت بالنسبة للشهداء فهم ليسوا أمواتا بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ، وهذا يعطى للمسلمين المجاهدين قوة دافعة يزيدها معرفتهم بأن الشهداء فرحون بما آتاهم الله من فضله (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون) آل عمران ١٦٨ ، ١٦٩ فالقتال فى الاسلام عبادة لانه فى سبيل الله .. (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله) النساء ٧٦ والقتال اذ يملأ نفسه بالرغبة فى التقرب عن طريقه الى الله سيقوم بما يوحى له متطلع الى يوم الالتقاء بالله عز وجل وبذلك لا يخشى على فوات شيء مما يبغى فيه الانسان فى الدنيا كما لا يرهب الموت لأنه سيجد البديل عن ذلك عند الله ما هو خير وأعظم قدرا .

ويطلب الاسلام من المسلمين أن يبتعدوا عن الرفاهية لانها ستقلل من كفاءتهم القتالية وتجعلهم غير حريصين على أداء واجبهم فى الجهاد وقد كتب عمر بن الخطاب الى أحد عماله ببلاد العجم (اياكم والتنعم وزى العجم وعليكم بالشمس فانها حمام العرب وتمعددوا - تمعدد الغلام اذا شب وغلظ - واخشوشنوا - تخشنوا فى المطعم والملبس - واخشوشبوا - اخشوشب : صار كالخشب فى أحواله وصبره على الجهاد - واخلولقوا - اخلولق اذا تبذل فى الملابس - وأعطوا الركب أسنتها وانزوا نزوا وارموا الاغراض) .

الاعداد المعنوى :

يقول فلاد يفتر (ان القوة المعنوية من أهم المواضيع فى الحرب فهى بمثابة الروح التى تسيطر على مجموعة عمليات الحرب) .

والاسلام يعد المسلمين الاعداد المعنوى الكامل عن طريق الصلة الدائمة بالله والتمسك بقيم الاسلام وبوضوح الهدف من القتال وبيان أعداء الاسلام وتأكيد أن النصر ليس غاية فى ذاته .. ثم التحريض على القتال واختيار القائد الكفء للمعركة .

الصلة بالله :

ويبدأ الاعداد المعنوى بالاهتمام بالمعركة بأن تكون الصلة بالله قوية والايمان راسخا فى النفوس ذلك لان قوى الشر تعمل فى هذه الارض وهى مسلحة تبطش غير متحرجة حتى يفتن الناس عن الخير ويوجههم لطريقه : فالمعارك الحربية فى الاسلام ليست معارك أسلحة ورجال وعتاد وتدبير حربى فحسب بل انها معارك متكاملة ليست منعزلة عن المعركة الكبرى فى عالم الضمير وفى عالم التنظيم الاجتماعى للجماعة المسلمة وهى ذات ارتباط وثيق بصفاء ذلك الضمير وخلوصه وتحريره من القيود التى تطمس شفافيته وتقعد به دون الفرار الى الله ثم هى ذات ارتباط وثيق بالاوضاع التنظيمية التى تقوم عليها حياة الجماعة المسلمة وفق منهج الله القويم الامر

الـــذى يقوم على الشورى فى الحياة كلها وعلى التعاون والامانة والعدالة ومـــا الى ذلك يقول الرسول الكريم (لا تزال أمتى بخير مـــا لم تـر الامانة مغنما والصدقة مغرما) وجعـــل الاسلام التطهر من الخطيئـــة بالاستغفار والتوبة وعـــدم الاصرار على الذنب وجعلها كلهـــا منـاط الرضوان فبهذا كله يتم اعـــداد الجماعة المسلمة للمعركة فى نطاقهـا الواسع الذى يتضمن المعركة الحربية فى اطـــار لا يقتصر عليها وبذلك يقرر القيم السليمة لحياة الجماعة الشاملة ٠

وضـــوح الهدف :

ولابد من وضوح الهـــدف فى ذهن المقاتل المسلم حتى يكون قادرا على الوقوف فى المعركة بصلابة وشجاعة وبخاصـــة وأن المعركة بين الخير والشر مستمرة ولابد للايمـــان من قوة تحميـــه والا فان القوة المـادية التى يملكها الباطل قـــد تزلزل القلوب وتفتن النفوس وللصبر حـــدود وللطاقة البشرية مـــدى تنتهى اليـه والله أعلم بقلوب الناس ولذلك فقد أذن للمسلمين فى القتال لرد العدوان وأعلمهم بأنه سيتولى الدفاع عنهم ما داموا فى طاعته ٠٠٠ وقـــد حكم لهم بأحقية دفاعهم عن أنفسهم وعن دينهم فهم مظلومون غير معتدين (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان اللـــه على نصرهم لقدير) الحج ٣٩ ٠ ومـــا دام الامر كذلك فعلى المؤمنين أن يطمئنوا الى نتـــائج المعركة فهم مندوبون لمهمة انسانية يعم خيرها الجميع وفيها ضمان لحرية العقيدة وحرية العبادة للمسلمين ولغير المسلمين والمهمة منوطـــة بالمسلمين وحـدهم (ولولا دفع اللـه الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومســـاجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الحج ٤٠ ـ والمقاتلون المسلمون يحسون بأنهـم مسئولون عن حماية دور العبادة لجميع الاديان لمـــا لهم من القوامة على المجتمعات كلهـــا بحكم وضعهم الاسلامى اذ أن مقتضى الايمان الاستعداد للجهـــاد تحقيقا لمهمة المسلم فى هـــذه الحياة والله سبحانه وتعـالى هـــو الذى اختـار المسلمين لهـذه المهمة الانسانية السامية فهم خير أمـــة أخرجت للناس وهم الامة الوسطى التى اجتباها اللـــه لتكون شهيدة على الناس ويكون الرسول شهيدا عليها لذلك امرهم الله بالجهاد

(يأيها الذين آمنوا أركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى اللــه حق جهاده هــو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج) الحج ٧٨ ـ وفى نظير ذلك كلـه وعـــدهم اللــه الجنة (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) التوبة ١١١ .

أعـــداء الاسلام :

والاســـلام يبين للمسلمين أعداءهم حتى يكونوا على بينة من أمرهم فمن الاعـــداء اليهود والنصارى فهم لن يرضوا عن المسلمين الا اذا تركوا دينهم يقول الله تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) البقرة ١٢٠ ـ فهى معركة العقيدة فى صميمها وان كنا نلاحظ أن المعسكرين العريقين فى العداوة للاسلام يلونان المعركة بألوان شتى ذلك لانهم جربوا حماســـة المسلمين لدينهم حين واجهوهم تحت رايـة العقيدة ولذلك فقد غيروا أعـــلام المعركة ببراعـــة .. وأعلنوها تحت أسماء أخرى كالسياسة والاقتصـــاد والارض والمراكز العسكرية وأفهموا المسلمين أن مســـألة العقيدة لا يجوز رفع رايتها لانها ســـمة المختلفين بينما هم فى قرارة أنفسهم يخططون لمعركة تحطم هـــذه الصخرة العاتية ويظهر ذلك فى أقوال قوادهم عقب كل معركة ينتصرون فيها ... ويدخل فى عداد أعداء المسلمين اليوم أصحاب الاتجـــاه الوجودى أو نحـوه فالمادية كلها تنكر وجود الله وفلســـفة المـــادية التاريخية تقوم على أساس تحدى الدين والذين يقيمون مجتمعاتهم عليها يقاتلون المؤمنين حتى يردوهم عن دين‌الله ما استطاعوا الى ذلك‌سبيلا والله سبحانه وتعالى‌يقول (قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر ولايحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين‌الحق من الذين أوتوا الكتاب) التوبة٢٩ ـ والذين لا يدينون دين الحق هم الذين يعملون تحت راية العلمانية ومنهم الذين ينكرون قيمة الدين عمليا بأن يحددوا للدين منطقته ولفلسفة الحيـــاة منطقتها فهم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولكنهم لا يقولون ذلك ثم هم لا يحرمون منكرا ولا فاحشة فالمـــاديون الملحدون أن المشركون يقفون من المسلمين موقفا فيه تحرش وتحد فهم يواصلون القتال ضـــــــد المسلمين (ولا يزالون يقـــاتلونكم حتى يردوكم

عن دينكم ان استطاعوا) البقرة ١٧ وهم وان ظهروا على المسلمين أباحوا ما يرونه لصالح أنفسهم ولو كان ضار بغيرهم ومن ذلك انتهاك الاعراض والاموال والانفس واذلال المسلمين وارهابهم والتحكم فيهم طالما كان ذلك صيانة لصالحهم الشخصية (كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولاذمة) التوبة ٦ وهم فى حالة السلم ميولهم عدوانية وان ظهر من أفواههم ما يرضى المسلمين فهو نفاق ثم هم يصدون عن سبيل الله ويمنعون بكل وسيلة أن يؤمن به أحد فغايتهم اضعاف الاسلام وابعادهعن مجال التأثير فى حياة الناس عن طريق اضعاف الايمان ان لم يكن الغاؤه من الوجود الانسانى ٠

النصر ليس غاية فى ذاته :

المسلم مطالب بأن يبذل أقصى ما فى وسعه وأجره على الله سواء استشهد أم انتصر (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) النساء ٧٤ — فالاسلام يربى المسلمين على التحكم فى درجة التذبذب العاطفى اذ أن النصر والهزيمة ليس لهما الاهمية الكبرى ما دام المسلمون قد آدوا ما عليهم من واجب وللمعارك ميزة فهى تميز الخبيث من الطيب وتبين الصادقين فى ايمانهم من الكاذبين (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت ٣ ٠ والنصر الاسلامى يتسم بالتوازن المطلق بين تقرير الفاعلية المطلقة لقدر الله سبحانه وتعالى وتحقيق هذا القدر فى الحياة الانسانية من خلال نشاط الانسان وفاعليته وعمله ذلك لان مشيئة الله سبحانه وتعالى تجرى بترتيب النتائج على الاسباب ولكن الاسباب ليست هى التى تنشأ النتائج فالفاعل المؤثر هو الله سبحانه وتعالى ٠٠٠ والانسان مع ذلك مطالب بأن يبذل أقصى جهده وأن يفى بالتزاماته وبعد ذلك يرتب الله النتائج ويحققها ولعل هذا هو معنى قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) محمد ٧ — وبذلك يخلص تصور المؤمن من التماس شيء

عند غير الله ويتصل قلبه مباشرة بالقوة الفاعلة فى هذا الوجود ..
ومن هنا فان الاسلام يقرر للجماعة المسلمة أنه ليس لها من الامر شيء فى النصر اذ أنه يتم بتدبير الله لتنفيذ قدره وهذا يتم من خلال جهاد الامة الاسلامية والاجر على الله . أما تمام النصر فهو لحساب العقيدة التى يدافعون عنها والاهداف التى يحاولون تحقيقها – وكذلك الهزيمة اذا وقعت لسبب أو لآخر وفق ما يقع من الجماعة المسلمة انما يقع ذلك كله لتحقيق غايات يقدرها الله بحكمته لتمحيص النفوس وتميز الصفوف وتجلية الحقائق واقرار القيم واقامة الموازين – والهزيمة الوقتية قد يأخذ المسلمون منها درسا لمعركة مقبلة بعد ابعاد عناصر الضعف التى سببت الهزيمة وهى عادة عناصر الرغبة فى المتع المادية والاسباب الشخصية وعلامة الايمان الحقيقى ألا يضعف المسلم ولا يهن ولا يحزن (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين) آل عمران ١٣٩ – وبذلك يتم نضج المسلمين أثناء المعركة والنصر السريع الذى لا يكلف عناء قد يعطل طاقات المؤمنين عن الظهور لانه رخيص الثمن سرعان ما يضيع لان الذين نالوه لم تدرب قواهم على الاحتفاظ به والقتال مجال تدريب على التضحية بالنفس فى سبيل الله وبمقدار ما يخلص فيه المؤمن لله بمقدار ما يهون عليه أن يضحى بذاته فى سبيلها (ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) محمد ٤ – والنصر قد يبطيء حتى تبذل القوة المؤمنة آخر ما فى طوقها فتدرك أن هذه القوة وحدها بدون سند لا تكفل النصر ، وقد يبطيء لتزيد الجبهة المؤمنة صلتها بالله وهى تقابل الصعوبات بدون أن تجد لها سندا الا الله تعالى فتسير على هذا النهج أثناء المعركة وبعد النصر – وقد يبطيء النصر لان المسلمين لم يتجردوا بعد فى كفاحهم وتضحياتهم لله فهم يقاتلون لمغنم مادى أو أدبى أو يقاتلون حمية أو شجاعة أو لان أعداءهم لا زال فيهم بقية من خير يريد الله سبحانه وتعالى أن يجرد الشر منها أو لان الباطل لم ينكشف زيفه تماما فلو غلب المؤمنون حينئذ فقد يجد الشر له أنصارا من المخدوعين يؤمنون به ويدفعون عنه أو لان البيئة لم تصلح لاستقبال الاسلام بما فيه من قيم ومثل وأخلاق .

التحريض على القتال :

من الاسلحة المعنوية التحريض على القتال بجعل المقاتلين يفهمون أسباب المعركة والدوافع اليهـا والنتـائج المترتبة على النصر أو الهزيمة وبيان أن العـــدد لا أهمية له ما دامت الوجهـة مستقيمة ذلك لان الله يتولى نصر المؤمنين مـا داموا قـد أدوا واجبهم كاملا يقـول اللـه تعالى (يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفـــا من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون) الانفال ٦٥ وفى معركة مؤتة قال عبد الله ابن رواحـــة لجنوده (يا قوم والله ان الذى تكرهون للذين خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة والله مـــا نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة مـــا نقاتلهم الا بهـــذا الدين الذى أكرمنا اللـه بـه فأنما هى احـــدى الحسنيين أما ظهور واما شهادة ٠٠٠ وبهذا يكون الاسلام قـــد استبدل نظرية الكم بنظرية الكيف التى تقوم أســـاسا على الرجال المقاتلين المؤمنين بمبادئهم وقـد شخص مونتوجمرى قائد قوات الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية أثر انعدام الناحية المعنوية فى هزيمة الجيش الثامن فقـــال (لقد جئت لأتولى قيادة الجيش الثامن فراعنى ما وجـــدت جيشا مهزوما ممزقا يلعق جراحـــه، فوق رمال الصحراء الساخنة كان العتاد يعوزنا وكانت كميات الطعام التى تصـــل الينا لا تفى بحاجة الجنود ولكنى لم آبـه كثيرا بهـذا النقص الذى نعانيه ـ وكنت أول من أدرك حقيقة واحـــدة وهى أن الغذاء الوحيد الذى يحتاج اليـــه جنودى هـو الغذاء الروحى ـ كانت مشكلتى الاولى هى : كيف أرفع من روحهم المعنوية فبدون هـذه الروح لا يمكن لاى جيش أن يحقق انتصـــارا مهما كانت الخطط العسكرية ناجحة وموفقة ؟) ٠

والروح المعنوية العالية تعطى صـــاحبها مناعة ضـــد الحرب النفسية فلا تؤثر فيها أحرج المواقف ففى غزوة الاحزاب مثـلا يعطينا القرآن الكريم صورا لاصحاب المعنويات العالية الذين لا يتأثرون بالحرب النفسية فقد أشيع أن الاحزاب قـــد أتوا من كل جانب بقوات لا يقدر أحـــد على مقاومتها فما زادهم ذلك الا ايمانا (الذين قال لهم الناس

ان الناس قد جمعوا لكم فزادهم ايمانا وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل) آل عمران ١٧٣ - وحين رأى المسلمون بأعينهم الاحزاب الذين جاءوا لسحق المسلمين نهائيا لم يتأثروا ولم يهنوا ولم يضعفوا بل قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ولم يزدهم ذلك الا ايمانا .

اختيار القائد :

واختيار القائد له أهمية عظمى فى سير المعركة والقائد فى الاسلام - لا يختار الا على أساس الكفاية وحدها - ومن هنا فقد اختار النبى الكريم أسامة بن زيد الشاب الصغير قائدا لجيش فيه بعض كبار الصحابة فأساس روح القيادة نجدها فى شخصية قائدها وثقته الاكيدة بنفسه وحبه للنظام وهو ما يسمى بلغة العصر بالضبط والربط - والثقة يضعها الجنود فى قادتهم وفى أسلحتهم لها تأثير كبير فى نصرهم - وللقيادة تأثير كبير على نفوس الافراد فما زالت الجنود تتفاءل بالقائد المنتصر وتتطير من القائد سىء الحظ - ولقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لمن طلب منه أقصاء خالد بن الوليد عن القيادة لاسباب ذكرها (والله لا اغمد سيفا سله الله على الكافرين) والقائد الناجح يختار ميدان المعركة ويأخذ زمام المبادرة فى يده ويستخدم كل أنواع الاسلحة التى تصلح لميدان المعركة - والنبى الكريم حارب قريشا فى منطقة صحراوية مكشوفة وحارب اليهود فى حصونهم وحارب هوازن وثقيف فى وادى حنين - وتحرك الجيش الاسلامى من المدينة الى تبوك فى أعظم مسيرة شهدها تاريخ الحرب فوق رمال سخنة وتحت شمس حارقة فى بيئة صحراوية لا ماء فيها ولا ظل - واستخدم كل أسلحة الحروب التى كانت معروفة فى ذلك الوقت - كما أدخل فى تنظيماته أسلحة جديدة كان يستخدمها أعداؤه كالمنجنيق القاذف للنفط والسهام - والدبابة - وهى آلة من الخشب المغلف بالجلود او اللبد تركب على عجلات ويحتمى بها المشاة من نبال العدو وتستخدم فى هدم الاسوار والحصون .. ويرسم الاسلام خطة للقائد فى عمله فيطلب أن يقاتل الجيش الاسلامى

قادة الكفار ورؤسهم المدبرة للعدوان فيهم ـ وعندئذ يضعف شـــــأن الباقين منهم مهما كثر عددهم وهــــذا تكتيك ليسر القضـــــاء عليهم (قاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمــــان لهم لعلهم ينتهون) التوبه ١٣ ـ

خاتمـــة :

القتال فى الاسلام له هــدفه السامى الذى حدده ليرفع من مستوى الانسانية وليقيم العدالة فى هــــذه الارض ـ ومن هنــا فان المسلمين لا يجدون فى نفوسهم الحقد ولا الحسد ولا حب القتــــل ولا الاستغلال ولا ما يحدث فى الحروب قديمها وحديثها ٠٠ وكان النبى صلوات اللــه عليه يعاقب فى حروبه بمثل ما عوقب بــه ولا يناوزه الى اللــدد والخصومة فاذا انتهت الحرب على عهــد من العهود وفى بــه وطلب من اتباعه أن يفوا به فى غير اغلال ولا اســـــلال اى فى غير خيانه ولا مراوغه وثابر على الوفاء فى جميع عهوده ٠

ولقد شهد للاسلام كثير من غير المسلمين يقول جوستاف لوبون فى كتابه حضارة العرب (ان القوة لم تكن عاملا فى نشر القرآن وان العرب تركوا المغلوبين أحرارا فى أديانهم فاذا كان بعض النصـــــارى قــد أسلموا واتخذوا العربية لغـــة لهم فذلك لمــا يتصف بــه العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهـــد ـ والحق أن الغرب لم يعرف فاتحين رحمــاء متسامحين مثــل العرب) والكونت هنرى دى كاسيرى يقول (ان المسلمين امتازوا بالمسالمـــة وحرية الافكار وفى المعاملات ومحاسنة المخالفين) ٠

وقد اشتهر المسلمون بأنهم يحررون الشعوب من عبودية الحكام وظلمهم فكانت الشعوب تفتح لهم صــــــدرها وتتعاون معهم تعاونا كاملا يقول مونتجومرى (المسلمون كانوا يستقبلون فى كل مكان يصلون اليه باعتبارهم محررين للشعوب من العبودية وذلك لمــا اتسموا بــه من تسامح وانسانية وحضارة فزاد ايمان الشعوب بهم ـ وقــد ظلت جميع المناطق التى فتحها المسلمون فى القرن الســـابع حتى يومنـــا

هـذا ـ ما عـدا أسبانيا ـ تحتفظ بالدين الاسلامى ـ وكذلك بالعادات والتقاليد والزى الاسلامى) ٠

وهكذا ينال الاسلام شهادة أعدائه قبل أصدقائه فى تحقيق رسالته الكبرى فى هـــذا العالم فى جميع الاماكن والازمان ـ وهكذا يربى الاسلام أبناءه التربية العســـكرية التى تجعلهم يحققون الهـدف منها فى احقاق الحق وابطـال الباطل ونشر الامن والعدالة والطمأنينة وعمارة الارض وتحقيق خلافة الله فيها ٠

تمهيـــد :

فى بداية الحياة البشرية لم يكن الناس فى حاجـــة الى مدارس ليتعلموا فيها أبناءهم لان الحياة كانت بســـيطة وسهلة وليس فيهـــا شىء من التعقيد ـ وكانت الاجيال تتعلم عن طريق الممارســـة العملية ثم بدأت الحياة تتسع وتتنوع مطالبها وأصبح لابد من تخصيص اماكن للتعليم ، ومعلمين يقومون بتعليم الاطفال ما يحتاجون اليه فى حياتهم الحاضرة والمستقبلة ـ وكان هـــذا التعليم كافيا لحاجات الفرد كمـــا كان كافيا لحاجات المجتمع فى الوقت نفسه ٠٠ وتقدم العلم وتنوعت الحاجـــات المطلوبة وازدادت سنوات الدراســـة وبدأت التخصصات الدقيقة تظهر كما بدأت الدراسات العليا تنتشر لتتمم هـــذه الجوانب ثم توسعت وتنوعت ولا تزال تتسع وتتنوع الى ما لا نهاية ٠

ولكن التعليم المحدد ـ مع ذلك ـ لم يعد كافيا فى العصر الحديث ذلك لان المطبعة الحديثة أخذت تمـــدنا بالكتب المتنوعة السريعة الطبع السهلة الانتشار ، كمـــا تمدنا بالصحف والمجلات التى لا حصر لهـــا ثم تطور وسائل التقنية الحديثة المتمثلة فى المذياع والتلفاز والمسجلات والحاسبات والعقول الالكترونية وغيرها ـ وقد أصبح العالم وكأنه جزيرة صغيرة وقـــد أدى هـــذا الى سلسلة من التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية والعلميـــة ، وأصبح العالم كلـه وكأنه جزيرة صغيرة ما يعرف فى جهـــة منـــه يعرف فى بقيـــة الجهات فى نفس الوقت طريق الاذاعـــة والتلفاز والصحافة والاقمار الصناعية ٠٠٠

ومن هنـــا فان كل مجتمع أصبح يحتاج الى نظـــام تعليمى لابقاء التوازن بينـــه وبين الانسان الذى يمثله ، والمجتمع يتغير شـــكله ويقفز أحيانا قفزات واســـعة طبقا لظروفه الخاصة وتمشيا مع غيره من المجتمعات ٠

كما أن التصنيع الحديث والتطور السريع فيــــه يحتاج الى هذا النوع من التعليم حتى يمكن أن يستفيد المجتمع من هـــذا النوع من التصنيع الفائدة المرجوة منــه - ثم ان الانتـــاج الزراعى يحتـــاج الى مضاعفة قدراته الانتاجية بحيث تشمل الناحية الرأسية فى زيادة غلات الفدان بالوسائل المختلفة كما تشمل الناحية الافقية فى زيادة الرقعـــة الزراعية باستطلاح أكبر قـــدر من الاراضى الصالحة للزراعة ٠

ومن زاوية أخرى فان عمر الانسان زاد بفضل العناية الطبية حتى تضاعف فى بعض البلاد فأصبح الفرد يعيش فترات أطول ويعمل فترات أطول واطول ٠

والى جانب هـــذا كله الزيادة الهائلة فى السكان والايدلوجيات المتصارعة وتلوث الماء والهواء وغير ذلك من العوامل الكثيرة التى تحدث آثارها فى المجتمع وفى كل المجتمعات ٠

كل هـــذا أصبح يتطلب أن يستمر تعليم الفرد طوال حياته وان يتنوع ليكون شـــاملا حتى يغطى كل ظروف المجتمع وأن يكون متاحـا لكل فرد بوسيلة أو باخرى حتى يمكن للفرد أن يؤدى واجبـــه وللمجتمع أن ينهض وأن يستمر تقدمه ٠

وفى ضوء هـــــذا التقـــدم التقنى السريع - والتحـكم الآلى فى الصناعة - كان لابد من اعـــادة النظر فى النظم التربوية سواء أكان ذلك فى المحتوى أم فى الطرق أم فى الاتجاه العام - وأصبح من أهـــم وظائف المدرسة الحديثة أن تعلم الطـــالب كيف يستطيع استخراج المعلومات من العقل الالكترونى الذى يتميز بالسرعة والدقة وبذلك يوفر الوقت والجهد ٠

وقد أدرك المعنيون بالتربية أن التعليم المحـــدد الذى ينتهى بانتهاء سنى الدراسة لا يفى بحاجات المجتمع المتطور لانه يجعل الانســـــان عاجزا عن مسايرة التطورات السريعة التى تحدث - وقـــد وجد أنه لابد

من أن يحل محله تعليم يستمر مـــدى الحياة ـ وهـذا يحتاج الى ايجاد التناسق الرأسى بين النظام المدرسى ومؤسسات تعليم الكبار ، وينبغى أن ينظر التعليم نظرة شاملة لمشكلات الحياة فى واقعها الملموس ، وأن يستهدف تزويد الدارسين بالاتجاهات والقدرات التى تعينهم على حل المشكلات التى تظهر فى المجتمع ، وهـــذا ما يعرف بالتكامـــل الافقى للتعليم ، وعبارة التعليم مـــدى الحياة تشير الى خطـة شاملة هادفة الى اعـــادة منهج التربية وتطوير الجهد البشرى الكامل خارج التربية ٠

أسس التربية مدى الحياة :

التربية مـدى الحياة تقوم على أسس تكييف المناهج الدراسية فى مختلف المراحل التعليمية بحيث تكون الطالب التكوين المتـلائم وتزوده بالقدرات والمهارات التى تساعده على أن يكون معلم نفســـه بعد الحياة المدرسية وبحيث تجعله باحثـــا عن الثقافة والتعليم بمـا يتلاءم والعصر الذى يعيش فيــه والبيئة التى يحيـــا فيها حتى لا يسمى متخلفا والعالم حوله ينبض بالتقدم الحضارى والرقى التقنى الـــذى يتميز بـه عصر انتشار العلم والتقنية ، وهى تراعى طبيعته وتتمشى معها فى نطـــاق قدراتها وتحاول ان تدفع الفرد الى تحقيق ذاته وتنمية طاقاته الى أقصى درجـــة ممكنة ـ ثم انها تهدف الى نمو الفرد بصـــورة مستمرة فهى عملية يتطور فيها الفرد ليكون صالحا للعمل فى مجتمعه طوال حياته ٠٠ وهى تمتد حيثما يكون نشـــاط الفرد وميدان عمله ـ كما أنهـــا تمثل مختلف مواقف حياته فى العمل وفى الاسرة وفى المجتمع الخاص والمجتمع العام على السواء ـ والى جانب هـــذا فانها تترك الباب مفتوحا أمـــام المتعلم للاستفادة من كل الوسائل التربوية التى تتـــاح له فى أى وقت وفى أى مكان ٠

وهى تدعو الى المـلاحظة المستمرة والتأمل الواعى واتبـاع الاسلوب العلمى فى كل عمل يقوم بـــه الانسان ، واذا كان على انســـان الغـد أن يتعامل مع تغير أكثر سرعة من التغير الذى يعيشـه انسان الحاضر فان الهدف الرئيسى لابد وأن يحرص على انماء قدرة الانســـان على

معالجة المشكلات الجديدة والتغلب عليها وقدرته على سرعة الحركة وعلى الاقتصاد فى الجهد المبذول للتغلب على المعدل السريع للتغير ٠٠ وأن يتعلم الانسان كيف يمكنه القيام بعمل افتراضات احتمالية تتكرر فى المستقبل ٠

ولاهمية التربية مـــدى الحياة فى نمو الفرد وفى تقدم المجتمع فان العملية التربوية تعتبر مسئولية المجتمع كله ـ بكل طاقاته ـ بكل أجهزته ـ بكل أفراده ـ والى جانب ذلك فانهـــا تعتبر كل فرد معلمـــا ومتعلما فى نفس الوقت ـ وهـــذا جديد على التربية الحديثة ـ وان كان ليس بجديد على التربية الاسلامية ـ كمـا أنها تؤكد على العلاقة بين التعليم وبين التدريس والعمل ٠

وهى الى جانب ذلك تعول على أهمية البحوث العلمية التى تعمق فهم جوانب التربية وفهم الظواهر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التى تساعد على احداث التغير والتحول المطلوب فى النظم التعليمية ٠

ولكى يتم هذا بالطريق الامثل فانه يتطلب رسوخ الباعث المتجدد للدراسة لافراد المجتمع بحيث يكون لديهم دوافع النمو المستمرة باستمرار الحياة حتى يقبلوا على التعليم ما دامت الحيـــاة ٠

وهذا يتطلب تحقيق التكامل بين التعليم المدرسى وتعليم الكبـــار فى مفهوم واحد ـ وتحقيق تكامل التعليم المتصـــــل بكل جوانب الحياة الهامة ٠٠ وتعميم هـــذا اللون من التعليم الذى يحقق التكامل بين جميع طاقات المجتمع ـ واعادة تحديد كل دور من أدوار التعليم المدرسى وغير المدرسى حتى يلاحق ذلك ركب التطورات السريعة التى يتحتم على أفراد المجتمع اللحاق بهـــا ، وكيفية استخدام نتائج التقنية التى تحـــاول المجتمعات جاهدة فى الاخذ بها ٠

ومع التربية المستمرة يتغير مفهوم النجاح والرسوب لان الشخص الذى قـد يرسب فى فترة معينة أو فى مرحلة معينة من مراحـــل عمره

سوف تتاح له فرصة أخرى للنجاح بقية عمره ولن يستسلم لليـــأس فالهدف الرئيسى هو زيادة الفرص التى يختبر الفـــرد فيها قدراته وامكاناته وهى كثيرة ومتنوعة وتمتد معه بامتداد عمره وذلك يقتضى مواصلة التعليم مدى الحياة ٠

أبعاد التربية مدى الحياة :

للتربية مدى الحياة **بعدان** :

بعد رأسى : ويتمثل فى امتداد التربية بحيث تشـــمل حاجات الانسان طوال حياته ٠

وبعد أفقى : ويتمثل فى امتداد شمولها بحيث تشـــمل مجالات النشاط الانسانى من القيام بالادوار الخاصة بالفرد الى الادوار الاجتماعية والمهنية المختلفة ـ الى جانب طريقة شغل أوقات الفراغ فيما يعود على الفرد وعلى المجتمع بالفائدة المرجوة ٠

وهى تهتم بشخصية الفرد من النواحى الجسمية والعقلية والعاطفية والنفسية وغيرها ـ كما انها تقوم على أساس نظرة شاملة يتكامل فيها النشاط التعليمى فى ارتباطه بنمو الشخصية وتتكامل فيها التربية مع الثقافة ـ والتعليم المدرسى مع التعليم الحر غير المدرسى والتعليم المهنى مع التعليم العـــام وهكذا ، ولذلك فانه ينبغى أن تحدد عناصر الثقافة وطريقة الحياة بجوانبها المادية وغير المادية ٠

كما أن التربية مدى الحياة تقوم على أساس النظرية العضوية التفاعلية بين العقـــل والشخصية والمعرفة ، وتؤكد الـدور الوظيفى لهذه المعرفة فى تنمية روح البحث والرغبة المستمرة فى التعليم وتنمية الفكر التقدمى الواعى والقدرة على الابتكار والابداع ٠

ولذلك كان لابد من ارســـاء دعائم التعليم الطويل المـــدى ـ بحيث يســـتطيع أفراد المجتمع النهوض بالاعبـــاء المتعـددة المطلوبة

للاسهام فى التخطيط الاجتماعى المتنوع من ناحية ولتأمين المزايا الأولى وتحقيقها للفرد والجماعة من ناحية أخرى ٠

فالمجتمع مسئول عن توفير الخدمات التى تحتاج اليها الناس مثل الغـذاء والصحة والمأوى وذلك لجميع أفراد المجتمع من كل سن ومن كل طبقة — ولابد للمجتمع من تحقيق هـذه الاشياء أثناء حياتهم ٠

من هنا فان التعليم الذى يستمر مـدى الحياة ينبغى أن نعمل فيه على تقنين التطوير والتحديث تقنينا علميـا بحيث يتضمن تغير بنيـة التعليم — وبذلك يشترك الوالـدان وأفراد الاسرة ومؤسسات المجتمع بشـكل أو بآخر فى تحمل مسئولية التعليم وفى المناهج الدراسـية يمكن أن ندرس المواد التى تفيد التلميـذ ، والتى تحقق التوازن بين جوانب الفرد من ناحية والى التنويع الذى يحفظ للمجتمع ملامحـه وللثقافة عموميتها من ناحيـة اخرى يقول العـالم الامريكى هربرت جريجورى (لن يكون رجـل الغد الامى الـذى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، ولكن سيكون الانسـان الذى لم يتعلم كيف يتعلم ؟) ٠

والانسان مكمل لنظام شـامل بـل انـه يستطيع من خلاله أن يؤثر فى تطوره وأن يتحكم فى سيرته بمـا يتخذه من قرارات — وبمـا يقوم عليه من تنفيذ لهذه القرارات ٠

ولـما كان لكل فرد فى المجتمع الحق فى الاسهام فى اتخاذ هـذه القرارات لانها تتصل بـه وبحاجاته فلابد وأن ينـال كل فرد حظـا من المعرفة التى تمكنـه من ممارسة هـذا الحق بالطريقة التى تجعله يحصل على حقوقه ، وفى الوقت نفسـه تجعله يؤدى ما عليه من واجبات حتى ينهض المجتمع نهوضا سلميا والذين فاتهم قطـار التعليم لهـم الحق فى أن يلحقوا بـه عن طريق تعليم الكبار التعليم المنظم الـذى يمكنهم من اكتساب المهارات والقيم التى تجعلهم يستطيعون معالجـة قضايا العالم المتغير والتعبير عن مشكلاتهم الخاصة فى اطـار أهداف المجتمع ٠

الاسلام والتربية مدى الحياة

الاسلام منذ البداية يرى أن التعليم مـــدى الحياة هـو الاساس للتعليم في المجتمع الاسلامى على امتداد العصـــور ويظهر ذلك من قول الرسول الكريم (اطلبوا العلم من المهـــد الى اللحد) فالاسلام يطلب من المسلم أن يكون طالب علم مـــدى حياته من يوم أن يولد الى أن ينتقل الى جوار ربه فباب العلم واسـع وأوجهـه كثيرة ومكتشفاته مستمرة ٠٠ والاســـلام بهـذا سبق كل الحضارات فى اعتبار العـــلم ضرورة من ضرورات الحياة يحتاج اليها الانسان من المهـد الى اللحد كالماء والهواء والغذاء ـ وهـــذا المعنى لم تدركه المجتمعات الانسانية الا حديثا ٠

والمدارس ما هى الا وسـائل لاعطـاء القدر الضرورى من التعليم المنظم ، واكســـاب التلاميـــذ الاتجاهات والقيـــم التى تمكنهم من أن يستمروا فى تعليمهم مـــدى الحياة ٠

والمســـلم حين يقرأ الآية الكريمـــة (ومـــا أوتيتم من العـــلم الا قليلا) الاسراء ٨٥ ـ فانه يدرك ان الاســـلام يطلب منـه الاستزادة من العلم طوال حياته حتى يدرك أكبر قـــدر ممكن من التعليم الـــذى يفيده فى حياته ويمكنه من تحقيق رســـالته على الارض باعتباره خليفة للـــه فيها يقوم بعمارتها وفق تعاليم الاسلام وينشر بين ربوعها الامن والعدالة والمحبة والاطمئنان ٠

والقرآن الكريم الذى أنزله اللـه سبحانه وتعالى على نبيه محمـد صلوات الله عليه لم ينزله مرة واحـدة بل أنزله خلال ثلاثة وعشرين عاما ، وكانت أول آية نزلت على رسوله الكريم (اقرأ باســم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم عـــلم الانسان ما لم يعلم) العلق ١/٥ ـ وآخـــر آية نزلت وهى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) المائدة/٣ وهذا هو الذى جعل المشركين يعترضون على ذلك بقولهم (وقـــالَ

الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحـــدة كذلك لنثبت بـــه فؤادك ورتلناه ترتيلا) الفرقان ٣٢ ـ ومعنى تثبيت الفؤاد : القـــدرة على وعى ما حواه من لفظ ومعنى هـــذا أن المسلمين فى حاجة الى العلم طوال حياتهم ٠

ووصايا الرسول الجامعة لم تكن الا قبيل وفاته وكانت فى حجـة الوداع وبذلك أعطـــاهم القـــدرة على الفهم والتدبر وذلك كلـــه يمكنهم من أداء رسالتهم فى هـــذه الحياة ٠ وقـد حث النبى صلوات الله عليه على مداومة طلب العلم ، وجعل العلماء هم ورثة الانبياء واذا كان الانبياء لم يورثوا مالا فانهم قـد ورثوا العلم وحظ العلم أكبر من حظ المـــال يقول الرسول الكريم (العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخـــذه أخذ بحظ وافر) رواه الترمذى وجعل القرآن خشـــية الله الكاملة من اختصاص العلماء (انما يخشى الله من عباده العلماء) فاطر ٢٨ ـ وحث النبى الكريم على طلب العلم لانه يوصل الى الجنة يقول النبى الكريم (من سلك طريقا يلتمس فيـه علما ســـهل الله له طريقا الى الجنة) رواه مسلم وقال عليه السلام (من خرج فى طلب العلم فهـو فى سبيل الله حتى يرجع) رواه الترمذى ـ والاسلام بذلك يعطى المتعلم مكانه الصحيح فى الاسلام فهو فى سبيل الله حتى يرجع ـ واللـه سبحانه وتعـــالى يكرمه ويعطيه الجزاء الاوفى والملائكة تضع أجنحتها اكبارا له واعظاما لحقـــه ٠

وقد جعل الاسلام العلم النافع من الاشياء التى يستمر فيها ثواب الانسان حتى بعد موته يقول الرسول الكريم ٠

(اذا مات ابن آدم انقطع عن عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو عـــلم ينتفع بـه أو ولـد صالح يدعو له) رواه مسلم ٠

دور العلم فى حياة المسلم :

والتربية مـدى الحياة تدعو الى الملاحظة والتأمل الواعى واتبـــاع الاسلوب العلمى وفى ذلك يقول اللـه تعالى (ان فى خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولى الالباب) آل عمران ١٩٠ ولذلك فان الله تعالى يأمرنا بالنظر فى السموات والارض لنرى ما فيهـا (قـل انظروا ماذا فى السموات والارض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) يونس ١٠١ كمـا يطلب رب العزة من المسـلم أن يطلب من ربـه أن يزيده فى العلم (وقل رب زدنى علما) طـه ١١٤ وما دام المسلم يطلب من ربـه أن يزيده علما فهو يطلب منـه أن يزيده من العـلم النافع الذى يساعده على أداء رسالته فى هـذه الحياة ـ والذى يهدف الى مصلحة الفرد والى مصلحة المجتمع الاسـلامى بـل والمجتمع الانسانى كله ـ والذى يتولى تعليم الناس ذلك هـو فى رحمة الله تعالى ، وكل ما فى الكون ومن فيـه يدعو له يقول الرسول الكريم (ان الله وملائكته وأهـل السموات والارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمى الناس الخير) رواه الترمذى وهـو هنـا يعطينا أهمية المعلم وأهمية اتجاهاته فى هـذه الحياة لاداء رسالته بحيث تكون للبناء لا للهدم ولجلب الناس للخير لا لافساد حياتهم .

والعلم يزيد المسلمين من صلتهم بالله ـ والمسلم يصـل من تفكيره وعمله الى قوانين ونظريات وتطبيقات تساعده على أداء رسالته فى عمارة الارض وهو يمشى فى مناكبها ويأكل من رزق الله فالعلم فريضـة يؤديها المسلم كما يؤدى الصلاة والزكاة ـ واذا كان الاسلام يرى أن العلم فريضة وعبادة فان معنى ذلك أن المسلم لابد وأن يستخدمه فيمـا يحقق هدفه فى هذه الحياة ولابد أن يكون ذلك فى ايطار الكتـاب والسـنة حتى يحمى نفسـه ويحمى المجتمع من شطحات العلم أو انحرافات تطبيقه يقول الرسول الكريم (تركت فيكم أمرين ما لو تمسكتم بهما لن تضلوا بعـدى أبدا كتاب الله تعالى وسنتى)

خاتمـة :

والاسلام يوجد الدوافع للتعلم حتى يحرص عليه المسلم الحرص الكامل يقول اللـه تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا

العلم درجات) المجادلة ١١ ــ ويقول (هـــل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟ انما يتذكر أولوا الالباب) الزمر ٩ ٠

وقد ادرك المسلمون أن الاسلام يفرض عليهم أن يطلبوا العلم طوال حياتهم فأخذوا يفعلون ذلك ويحثون عليــه دائما ويقول لبعض (كن عالما او متعلما ولا تكن الثالثة فتلك) ويقول على بن أبى طالب رضى الله عنه (كل يوم لا ازداد فيــه علما فلا بورك فى طلوع شمس ذلك اليوم) وفى الأثر (منهومان لا يشبعان طالب عـــلم وطالب مال) وقيل لحكيم : ما حـــد التعلم ؟ قال : حد الحياة وقال ابن المبارك (ما يزال المرء عالمـا مـا طلب العلم فان ظن انه قـــد علم فقد جهل) وقال رجـــل لأبى عمرو بن العلاء (متى يحسن بالمرء أن يتعلم ؟ قال : ما دامت الحياة يحسن ان يتعلم) وروى البيرونى المتوفى عام ٤٤٠ هـ والذى اشتهر بالرياضة والفلك والتاريخ حين حضرته الوفاة ودار الحـــديث بين بعض عواده عن مســـألة فى الميراث طلب البيرونى ايضاحها فقال له الزائر : تســـأل عن هـــذه القضــــية وأنت فى مرضك ؟ فقال البيرونى : لأن اذهب الى الله تعالى وأنا أعرفها خير من أن اذهب وأنا أجهلها وما أن خرج العواد حتى سمعوا البكاء عليه ٠

والتعليم مـــدى الحياة يتطلب أن يعرف المســـلم ما يفيـــد الناس وما يساعده على أداء رسالته والرسول الكريم يقـــول (تعلموا العلم فان تعلمه للــــه خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنــــه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صــــدقة وبذله لاهله قربة وهـــو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة) ٠

وهكذا استطاع المسلمون أن يحققوا رسالتهم فى هـــذه الحياة بالاسلوب الذى رسمه لهم الاســـلام بالعلم الذى يحرر البشرية من عبادة العباد وينقلهم الى عبادة اللـــه ويجعلهم يعملون للخير ويسعون للخير ويعيشون من أجـــل الخير فيحسون بالامن والسعادة والطمأنينة التى تفتقدها الانسانية فى العصر الحديث وتبحث عنها فى غير مظانها ولذلك فهى تعيش فى ضياع ٠

وحبذا لو حمل المسلمون الراية من جديد اذن لعادوا بالانسانية الى حضارتها الاولى الكاملة التى تيسر العـــدل والطمانينية فيهدأ الناس ويحسون بالسعادة التى افتقـــدوها وتعود اليهم صحتهم الجســـمية والنفسية والعقلية والوجدانية وصـــدق اللـــه العظيم اذ يقول : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهـــم بذكر الله ألا بـــذكر اللـــه تطمئن القلوب) الرعد ٢٨ ــ ويقول (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظـلم أولئك الأمن وهم مهتدون) الانعام ٨٢ ٠

تعبيرات غريبة عن التربية الاسلامية

تمهيــد :

تكثر فى مجتمعاتنا الحديثة على الســـنة بعض المســئولين فى السياسة والاجتماع والاقتصـــاد والتربية تعبيرات واردة عن الغرب وتنتقل عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام الى جميع الناس فتحدث بذلك آثارها العميقة فى النفوس وفى السلوك .. ومن أمثلة هـــذه التعبيرات معركة الحياة والانفجار السكانى والانفجـــار المعرفى وغزو الصحراء والثورة فى التعليم وفى الادارة ونسف الروتين وما الى ذلك . كمـــا وجدت هـــذه التعبيرات طريقها الى مجتمعنا الاســـلامى عن طريق أبنائنا الـــذين تثقفوا ثقافة غربية وأصبحنا نتـــداولها فى صحافتنا واذاعاتنا وكتبنا وأحاديثنا مع ان الثقافة الاسلامية الأصيلة تتجـــه اتجاها مغايرا لاتجـــاه الغرب فى نظرته الى الكون والى الناس والى الحياة .

صراع الغرب لماذا ؟

قد يكون للغربيين بعض العذر حين ينظرون هـــذه النظرة ذلك لانهم أساسا تثقفوا بالثقافة اليونانية القديمة التى تقوم على أســـاس وثنى وذلك يظهر فى الادب اليونانى الذى يصـــور العلاقة بين البشر والآلهة على أنهـــا علاقة صراع وحروب مستمرة ، كما يصور الآلهـــة على أن لها نزوات من الغضب كما صوروا القدر على أنه قوة عميـــاء لا تعفى الآلهة المتجبرين أنفسهم من ضرباتها كمـــا تضرب قوة القدر

البشر والآلهة على السواء ــ وأخذت الآداب الغربية هــذا الاتجــاه
فصورت القدر على أنه قوة غاشمة ليس لها الا شــهوة التحكم واذلال
البشر وصــورت البشر فى الصورة الكاملــة ومما يلفت النظر أن
المسيحية لم تؤثر على جموع المسيحيين التأثير الذى يـدل على فهـم
متين ووعى بقيمها ــ بـل انها لم تكن سـوى قشرة رقيقة وظــل فى
لا شعور الاوربيين وطغت تلك النظرة اليونانية الى الله التى ترى أن
العلاقة بين البشر وبين الله علاقة السرقة والاغتصــاب والانتقام فى
وحشية والانفراد بالسلطان ــ ومع أن المسيحيين يتعصبون للمسيحية ــ
الا أنها لا تحكم حياتهم ولذلك فقد أصبح فى عرف الاوربيين أن العاجز
وحـده هـو الذى يخضع لمشيئة الله وهم يحسون بأنهم غير عاجزين ــ
وبهذا الدافع اللاشعورى يحس الاوروبيون أن كل خطوة يخطوها العلم
ترفع الانسان درجة ــ وفى الوقت نفسه تخفض الاله درجة .

ثم جنحت بعض الآداب الغربية فاستبدلت بفكرة الله والغيب
المجهول قوى أرضية خاصــة كقوة الطبيعة أو قوة المجتمع أو الدولة
محاولة أن تظهر الله فى قوة محســة وأن تصغر من قيمته وقدرته
فى ذات الوقت الذى تظهر قوة الانسان فصار البطل فى الادب الحديث
يصــارع الطبيعة أو يصارع الطبقة التى تملك وتحكم قال الكاتب
الامريكى دراوبر فى كتابة الدين والعــلم (دخلت الوثنية والشرك
النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية
فى الدولة الرومانية بتظاهرهم بالنصرانية ولم يكونوا يحفلون بأمـر
الدين ولم يخلصوا له يوما وقسطنطين قضى عمره فى الظلم والفجور
ولم تتمكن جماعة المسيحيين من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها ــ
واختلطت مبادؤها ونشــأ عن ذلك دين جديد تتجلى فيــه النصرانية
والوثنية سواء بسواء .

ومن هنا أصبح الكون مجال صراع وعداوة للناس فى الغرب
وأصبح هــذا سلوك الغربيين فى جميع الاماكن والازمان ــ وقــد
ترتب على هــذا تدمير كثير من مظاهر الحضارة وأصحابها حين يلتقون
بهــا فى وقت من الاوقات وقد أوضح هذا ما زيل دافيدسون فى

قوله (عندما اصطدم الفكر المحلى بالفكر الوافد حـــول رأس الرجاء الصالح من البرتغال ومن بعدهم من المستعمرين وجـــدوا مدنا تموج بالحضارة والتقدم ، وشهدوا آلات جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل يستخدمها أهـــل البلاد فى تنقلهم من بين شواطىء شرق أفريقية والشواطىء العربية والاسيوية ـ وشـــهدوا صلات ودية باركها الاســـلام وحث عليها ولكن المستعمرين ما لبثوا أن أشعلوا النيران فيها فارتفعت أســـنة اللهب وغطى دخانها الاسود وجـــه الحياة ، وغـــاب أندلس الشرق عن أنظار التاريخ) ويقول فريمان جريفل عن هـذه المواقع (فمن أطلال بقيت نمت حولها المراعى والاشجار وأزالت فيها أهـداف التاريخ وهطول الامطـــار وجريان السيول ما أزالت ولكن المحول الاكبر الذى حطم هـــذه المواقع واليد الباطشـــة التى حركته كانت عن طريق رأس الرجاء الصالح ـ وأى رجـــاء صالح جـاء عن هذا الطريق ؟ ٠

هـــذه النظرة المدمرة التى لم تنظر الى مقومات هـذه البيئـــة نظرة حب ولا مودة ٠٠٠ على عكس المسلمين فى الاندلس فى ظـــل المبادىء الاسلامية وهكذا تنبـه هـذا الكاتب الغربى الى أن طبـــاع قومه القسوة والصراع والتدمير على عكس المسلمين الذين يحســـون بالمحبة لكل مظاهر الطبيعة والحضارة فيبقون عليها ويرعونها ويزيدون من قدرتها على الافادة ويضيفون اليها ـ وهـــذا ما حدث فى كل بلد نزل فيه المسلمون ٠

ولقد كان الغربيون يختطفون من أفريقيا أبناء البلاد الاسلامية الاصلية ويعذبونهم وينقلونهم الى أمريـــكا وغيرها لبيعهم هنـــاك ـ وقـــد كتب هـذا الفصل من المأساة الكاتب الامريكى المعاصر اليكس هالى ونشره فى كتاب بعنوان : (جذور) وهو يثبت فى هذا الكتاب أن هؤلاء الزنوج لهم جذور عميقة وعريقة فى أفريقيا وأنهم أصـــــلا مسلمون ٠

ولقد أصبح هـذا السلوك جزءا من تكوين الغربيين فهم يدمرون

في كل زمان وفي كل مكان ومن ذلك القنابل الذرية التي ألقيت على نجازاكي وهيروشيما ... ومن ذلك الحرائق الناتجة عن القنابل الحارقة في كوبا .

والصراع في الغرب والتدمير لا تراعى فيه القيم ولا الاخلاق ولا الحرمات ولا تزال اسرائيل تتعامل بهذا الاسلوب مع العرب ومثلها جنوب أفريقيا والفليبين على مرأى ومسمع من العالم كله ومن هيئة الامم المتحدة ومع ذلك فلا أحد يحرك ساكنا الا في القليل النادر اذ أن المسيطرين عليها قد ربوا هذه التربية وسلكوا هذا السلوك .

لماذا سلام الاسلام ؟

الاسلام يرى أن يكون الكون كله وطن للانسان وصلة التوطن بينهما تقوم على أسس فطرية فليست الارض وحدها وطن البشرية بل أن الآفاق التي تحيط بها تضع الاطار الحق لمفهوم هذا الوطن واذا كنا نعيش على الارض بأبداننا فاننا نحيا في هذا الكون الكبير بحواسنا وعقولنا حياتنا الحافلة بأصدق المعاني ذلك لان خالق الانسان هو خالق الكون فهو لذلك يحس بأن الكون صديق له يتعاطف معه فالله ـ سبحانه وتعالى خلق الكون من أجل الانسان (خلق لكم ما في الارض جميعا) البقرة ٢٩ ـ والارض متعاونة على الحياة ـ والرزق متوفر فيها وعلى الانسان أن يسعى لتحصيل رزقه (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) الملك ١٥ ـ والسماء أيضا متعاونة على الحياة ـ والرزق في تهيئة الحياة للانسان (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) النمل ٦٠ ـ والكون فيه حياة وان كنا لا ندرك كنهها ـ والله سبحانه وتعالى يقول (فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا آتينا طائعين) فصلت ١١ ـ وفي القرآن الكريم (والنجم والشجر يسجدان) الرحمن ٦ ـ فالكون يسبح بحمد الله الذي خلقه ـ والله أعطى الانسان العقل والتفكير وحرية الاختيار ـ والكون تحكمه قوانينه ـ والمسلمون يحسون بأن الكون كله بيتهم الكبير الذي

يعيشون فيه وما فيه من رزق هـو حق لجميع بنى الانســـان ومن هنا كان لابد من التعاون والمحبة لان ذلك يجعل للحياة طعما وشكلا غير ما لها فى نفس من لا يؤمن بهذه الوحدة ٠

وفى القرآن الكريم آيات تبين أن اللـــه خلق الكون ليستخدمه الانسان ويستريح اليه فالارض لينة كالمهــد ، والجبال أوتاد للارض تثبتها وتحفظ توازنها من التقلصات الجوفية والتقلصات السـطحية كمـــا خلق الله من نفس الانســـان أزواجا ليعمر الارض وليحس بالراحة والسكن ٠٠٠ والطمأنينة ــ وجعل النوم يتكفل براحـــة الاجسام والاعصاب ليبدأ الانســـان عمله ونشاطه كمـــا جعل النهار ليكون معاشا تتم فيـــه الحركة والنشاط يقول الله تعـــالى (ألـــم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومـــكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجلعنا النهار معاشا ؟) النبأ ٦ ــ ١١

ثم يشير القرآن الكريم الى أن الله بنى سبع سموات متينـــة التكوين مشدودة بقوة تمنعها من التفكك ثم هى فى الوقت نفســـه متناسقة مع عـــالم الارض والسماء ــ كمـا جعل الشمس المضيئـــة باعثة للحرارة التى تعيش عليها الارض والتى تتسبب فى الامطـــار التى تخرج الحب والنبات والحدائق (وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجلعنا سراجا وهاجا وانزلنـــا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبـــا ونباتا وجنات ألفافا (النبأ ١١ ــ ١٦) ٠

وهـكذا نرى هـذا العالم بيئة مناسبة للاحياء تلبى ما ركب فيهم من خصائص لذلك كان الاحياء مزودين بالتركيب المتفق فى حركتـــه مع ما هو مودع فى الكون من خصائص ٠

والكون متعاطف مع الانسان منذ القدم ونحن نلاحظ هـــذا فى قصـــة أهـل الكهف اذ نجد أن بعضهم يقول لبعض (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقـــا) الكهف ١٦ فهؤلاء الفتية هجروا ديارهم وهربوا من أهلهم ووجدوا فى هـــذا الكون الملاذ والامن والطمأنينة ذلك لان الكهف فضـــاء فسيح تنتشر

فيـــه رحمة اللـــــه وتشملهم بالرفق واللين والرجاء والاشياء التى يفتقدونها بين أهليهم وذويهم ـ ورسولنا صلوات الله عليه كان يجـد من وحدته فى غـــار حراء الانس والهدوء حيث كان يتعبد الليـــالى ذوات العـدد وليس معـــه من أحد الا الله تعالى ـ الى أن جـاء الوحى وهو فى هـــذا الغار فكان خيرا وبركة على الناس جميعا ـ كما أنـه لجـــأ الى غـار ثور مع صاحبه أبى بكر الصديق حيث كان مطاردا أو مطلوبا من قريش ـ وتعـــاطف الكون معـــه فساعد على اخفائـه فالشجرة قـــد مدت ظلالها والحمامة قد باضت والعنكبوت قـد نشر خيوطه حتى ظنوا أنه لا يمكن أن يكون فى هـــذا الغار وقال قائلهم الى هنـا وانتهى الاثر فأما أن يكون قـــد صعد الى السماء ، واما أن يكون قـــد نزل الى الارض بل ان من تعاطف الكون وحبـــه للانسان المنسجم معـه فى سلوكه : أن الجماد يتأثر لوفاته وفى ذلك يقـــول الرسول الكريم (اذا مات المسلم بكى عليه موضعان موضع فى الارض وهو موضع سجوده وموضع فى السماء وهو موضع رفع عمله) ٠

ومن الزاوية المقابلة فان الكون لا يحزن اذا مـــات الانسان الذى لا ينسجم مع الكون فى ســــلوكه ويسعى للفساد والافساد وفى ذلك يقول الله تعالى على فرعون وقومـــه (فمـــا بكت عليهم الســــماء والارض) الدخان ٢٩ ـ وهـذا كله لا يحس به الا من سار على منهج الله فهو يحس بالسلام والامن والاستقرار ٠

المسلم والشيطان :

فى النفس البشرية عاطفة الكراهية التى يستغلها أكثر المذاهب فى هـــذه الارض استغلالا سيئا فتدوم الصراعات وتكثر الفتن وتتنوع المشكلات ويعيش الناس لذلك فى قلق وحيرة ٠٠٠ والاســـلام يوجه هـــذه العاطفة الوجهة السليمة يوجهها الى العدو الحقيقى الذى لايريد بالانســـان الا الشر ذلك هو الشيطان فمنذ خلق الله آدم وحـــواء والشيطان يقف الى جانب مضاد لهما ولذريتهما ـ وقـد طرده الله من رحمته بقوله (فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يـــوم

الدين) الحجر ٣٤ — ٣٥ — فقال لرب العـــزة (رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعـــين الا عبـــادك منهـــم المخلصين) الحجر ٣٩ — ٤٠ فقال الله تعالى لبنى آدم يحذرهم من الشيطان (يا بنى آدم لا يفتننكم الشـــيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) الاعراف ٢٧ فهى الفتنة التى يحاول الشيطان بها أن يجعـــل الانسان يسير فى طريق الغواية والضلال — ولقد نبـه القرآن جميع بنى آدم الى ذلك حتى يأخذوا حذرهم منـــه ومن غوايته قال تعالى (أنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) الاعـراف ٢٧ — أمـــا المؤمنون الواثقون بالله المطيعون لاوامره فان الله هـــو وليهم الـــذى يســـدد خطواتهم ويخرجهم من الظلمات الى النور (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات) البقرة ٢٥٧ — ثم جعل مـــا يذكره دائما بعدواة الشيطان ليأخذ حذره منه فهو دائما يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ... وهو اذا ذهب الى الحج رمى الجمار ... ومـع ذلك كلـه فالاسلام لم يسم هـــذا كله صراعا وانما سماه جهادا أكبر يقول الرسول الكريم عقب رجوعه من احـدى الغزوات (رجعنـــا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) ويقصـــد بالجهاد الاكبر جهـــاد النفس وجهاد الشيطان .

وهـــذا الجهاد محاولة للالتقاء والتوحد لمصلحة الانسانية كلها فى اطار من القيم الاسلامية والمثل القرآنية .

خاتمة :

الاسلام هـو الدين الذى يسكب فى الحياة كلها الســلام .. السلام الذى يحس بـه المسلم فى داخله فيحس بالهدوء وتحس بـه الاسرة فتحس بالسكن والمودة ويشيع فى المجتمع فيحس الجميع بالامن والمساواة والعدالة واللـــه سبحانه وتعالى هـو السلام الذى خلق الانسان وكرمه وفضله على ســـائر مخلوقاته وجعله خليفة له فى

الارض وهو به رحيم ... وقــد أرسل الرســل لهدايته وبين لـه طريق الخير وطريق الشر وسخر له الكون ليكون فى خدمته - والمسلمون مستسلمون للـه بكيانهم حتى لا يبقى شيء من شـعور أو عمـل لا يخضع لله ولا يرضى بحكمـه طاعة له والمسلم حين يستجيب هذه الاستجابة يدخـل فى عـالم كله سلام فلا قلق ولا حيرة ولا صراع فى الحياة المـادية حيث تداس فيه القيم والحرمات بـلا تحرج ولا حياء .

واحساس الانسان بأن له رسالة سامية فى الحياة تجعله يرتفع بشعوره وضميره ونشاطه وعمله بحيث لا يستخدم فى الوصول الى أهدافه الا الوسائل المشروعة - وليس من المهم أن يصـل لان أجره سيأخذه على نيته وعمله لا على الوصول الى هدفه ... ومن هنـا فانه يحس دائما بالطمأنينة لانه يمشى مع قدر الله فى طـاعة اللـه وهـذا يعطيه الامن والسـلام ويجعله يسير فى الحيـاة بلا قلق ولا حيرة ولا يصطدم بالكون ولا يبذل طاقته فى الصراع الداخلى ... والمجتمع الاسلامى كله تشيع فيه المحبة والسلام والترابط وفيه يأمن الجميع على حرياتهم وكراماتهم وحرماتهم وأموالهم .

ان بين ضمير الانسان وحقائق الكون الفـة ومواءمة فطرية فاذا اقبـل الانسان ينظر فيها بعقله وحصل معانيها لنفسـه فقد حقق المواءمة بينه وبين الكون وهو التجانس الذى يكتب له بـه استقرار لضمير وبـه يصحب الكون على بصيرة وعاطفة وتلك حقيقـة التوطن الكونى وما نراه من بلبلة الفكر وقلق الضمير فى بيئات الغرب سببه أن الصلة الفكرية بينـه وبين الكون لا تحقق المواءمة الصـورية لاسـتقرار النفس يقول محمد أسـد (ان الاسـلام لا ينظر - كالنصرانية - الى العالم بمنظار أسود بل هـو يعلمنا أن لا نسرف فى تقدير الحيـاة الارضية وألا نغالى فى قيمتها مغـالاة الحضارة الغربية الحاضرة ... الاسلام ينظر الى الحياة بسكينة واحترام وهـو يعد الحياة مرحلة يجتازها فى طريقنا الى حيـاة عليا وليس للانسـان أن يحتقرها أو يقلل من قيمة الحياة الارضية) .

لذلك فلابد وأن نعود الى التربية الاسلامية ٠٠٠ الى المنهج الذى يقيم علاقة الانســـان الطيبة بالفكر والكون ٠٠ وبذلك يســـتوحى الانســـان الفطرة النفسية والفكرية والعملية ٠٠٠ فالاسلام جـــاء ليقيم العلاقة بين الانسان والكون على أوثق الصلات وبذلك يعيش المسلم فى ســـلام مع نفســـه ومع الحياة ومع الكون ٠٠ ومع خالق الحياة والكون وصدق الله العظيم اذ يقول (يهـــدى بـه الله من اتبـــع رضوانه سبل السلام) المائدة ١٦ ٠

مفهوم الوطنيــة

فى التربية الغربية وفى التربية الاسلامية

تمهيــد :

يكثر فى الغرب ترديد كلمة الوطنية وقــد اصبح لهذه الكلمة مفهوم خاص طبقا لسلوكهم وفهمهم للامور وطبقا لقيمهم وأخلاقهم التى يتعاملون بها ـ وتناولت التربية الغربية هــذه الناحيــة فعملت على تربية المواطن الصالح الـذى أصبح من أهم أهدافها فى جميع الدول الغربية وأصبح الغربيون يســلكون السلوك الذى يساير هــذه التربية طبقا لمفاهيمهم داخــل المجتمع ثم بدأنا نردد كلمــة القومية والوطنية وركز الغربيون على هــذه النواحى محاولين تأصيلها فينا ليحققوا أهدافهم التى تتلخص فى :

١ ـ تفتيت وحدتنا وتقسيمها الى قوميــات وأجناس مختلفــة تتصارع فيما بينها ٠

٢ ـ التأثير فى هــذه الوطنيات الضيقة بجعل مفاهيمها غربية وبذلك يمكن استعمارها بسهولة والانتفاع بما فيها من خيرات ٠

وفى جميع عصور الظلمات ـ وفى ظروف خاصة بالامة الاسلامية أستهوتها هــذه الشعارات وأصبح الجميع يرددونها وأصــبح بعضنا يعمل على تنفيذها ونجح الاستعمار فى ذلك الى حــد كبير ٠

واذا كان للغرب ظروف خاصة تاريخية وبيئية وثقافية جعلته يؤمن بهــذه النواحى فان ظروفنــا تختلف تماما عن ظـروفه فديننــا وبيئتنا وتاريخنا وثقافتنا كل ذلك يجعل مفاهيمنا تختلف عنهم اختلافا تاما ٠

جذور الوطنية العربية :

لماذا اتجهت التربية الغربية التى تقوم بتربية المواطن الصالح على

أساس هذا الاتجاه ؟ والجواب أن لذلك أسبابا عميقة الجذور ترجع الى ما يأتى :

١ - الفلسفة الاغريقية :

فالغربيون أخذوا هذا المنهج وذلك السلوك عن أرسطو الفيلسوف الاغريقى ، فالوطنية عند أرسطو لها فلسفة أخلاقية خاصة فهى تعنى : أن العنصر اليونانى أفضل من كافة العناصر الاخرى ومن هنا فلابد وأن تعامل هذه العناصر معاملة مغايرة تماما - معاملة لا تمت الى الانسانية بصلة - وفى ذلك يقول أرسطوا (ان اليونانيين ينبغى لهم أن يعاملوا الاجانب بما يعاملون به البهائم) ومن ثم فقد راجت هذه الفكرة وتغلغلت فى الاوساط اليونانية وطبقوها فى مجتمعهم .

٢ - الحضارة الرومانية :

وعلى هذا النهج سارت الامبراطورية الرومانية وأصبح المواطن الصالح هو الذى يهتم بمصلحة الرومان وحدهم - أما غيرهم فالظلم يقع عليهم لمصلحة الرومان - والاستغلال يسود كل مكان لمصلحتهم أيضا - ومع أن الرومان اشتهروا بالعدل فأن ذلك كان للرومانيين فقط - وفى ذلك يقول محمد أسد فى كتابه (الاسلام على مفترق الطرق) ان الفكرة التى كانت تسيطر على الامبراطورية الرومانية هى : احتكار القوة لها واستغلال الامم لمصلحة الوطن الرومانى فقط - لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون أى ظلم وقسوة فى سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة - أما ما اشتهر من عدل الرومان فلم يكن الا للرومان فقط) وبهذا يمكننا أن ندرك تأثير هذه الحضارات ومفاهيمها فى الحضارة الحديثة ومفاهيمها وفى سلوك أفرادها .

٣ - وطنية اليهود :

أما اليهود فتفكيرهم الانسانى لانه يدعو الى الهدم والتدمير

واشاعة الفساد في الارض بقصد تحقيق المجتمع اليهودى العنصرى الواحد على حساب كل شعوب الارض ـ وقد أعلن الفكر اليهودى عن عنصريته حينما نادى بخرافة شعب الله المختار وتكريس التمييز العنصرى بين اليهود وغيرهم فالفكر الصهيونى اعتبر اليهود هم شعب الله المختار وبقية شعوب الارض فى مركز منحط ويطلقون على أفرادها : كلمة الاممين او «الجوييم» على أساس أن الارض التى يقيم عليهااليهود طاهرة والارض التى يقيم عليها بقية البشر نجسة ـ وانطلاقا من هذا التفكير أسس اليهود « الجيتو » أو ما نسميه نحن حارة اليهود خشية اختلاط الجنس البشرى اليهودى بغيره من الاجناس الاقل شأنا وبذلك عاشوا فى عزلة عمن حولهم واكتسبوا بسلوكهم كراهية الشعوب التى يقيمون معها ـ وما فلسطين الا جيتو كبير أقاموه ليسع يهود العالم كلهم ـ والمحرك لهذا عنصريتهم واستعماريتهم وعداوتهما ـ وقد صدر قرار اللجنة الاجتماعية للامم المتحدة الذى اعتبر الحركة الصهيونية حركة عنصرية قائمة على التمييز العنصرى باغلبية سبعين صوتا ضد تسعة وعشرين وكان ذلك فى أواخر عام ١٩٧٦ أما اليهود فيباح لهم ما يحرم على غيرهم) بل أكثر من هذا فالتلمود يحرضهم على قتل غير اليهود اذ يقول (أن قتل غير اليهودى لا يعد جريمة بل عملا يرضى الله) ٠

٤ ـ وطنية العصور الوسطى :

حدث الخلاف المعروف بين البابا وبين مارتن لوثر ضد الكنيسة اللاتينية ورأى مارتن لوثر أن من مصلحته ومصلحة الفكرة التى ينادى بها وهى تحريم صكوك الغفران أن يستعين بالمان لانه المانى ونجح فى خطته نجاحا ملحوظا ـ وأدى هذا الى انهزام الكنيسة اللاتينية فى النهاية فلما اضمحلت النصرانية فى أوربا قويت العصبية الوطنية فى نفس الوقت اذ أن الدين بطبيعته يربط بين القلوب ويؤلف بين الناس ويجعل معتنقيه يتعصبون له بعيدا عن نعرة القبيلة والجنس والقومية فاذا ما ضعف الدين فى النفوس قويت العصبية للقبيلة أو الجنس أو القومية يقول لورد لوثين سفير بريطانيا فى أمريكا فى خطبة القاها فى يناير ١٩٣٨ (ان الدين هو المرشد اللازم للانسان والوسيلة

الوحيدة لحصول الغاية الخلقية والشرف المعنوى للحياة البشرية وكان نتيجة الانحطاط فى سلطانه أن فتن العـالم الغربى بمذاهب سياسية تقوم على أساس اختلاف الاجناس والطبقات وآمن - بتأثير العلـوم الطبيعية أن الرقى للمادة هـو الغاية العليا والوطن الأكبر - ولا يزال يزيد هـذا الامر فى مشاكل الحيـاة وأثقالها وتكاليفها وكان من نتائج ذلك أيضا أنه صعب على أوربا أن توفق بين روحها وحياتها توفيقا ينقذها من القومية داهية هـذا العصر الكبرى) .

وحين جاءت الحرب الصليبية أصبحت أوربا معسكرا واحـدا ضـد الشرق كله وخطت أوربا خطـا فاصلا بين أوربا وبين ما سواها من الاقاليم وأصبحوا يرون أن ما وراء هـذا الخط له الفضـل على غيره فى الثقافة والحضارة والعلم والادب وأن الجنس الارى يفـوق ما عداه من أجنـاس البشر وأنه خلق لـ..ود ويحـكم وغيره خلق ليخضع ويذل وهـذا ما كان يراه اليونان والرومان فى العصـور القديمة فهم أصحاب الحضارة الراقون المهذبون وغـيرهم برابرة ويصل الامر بالاوربيين الى أن ينظرو الى المسيح هـذه النظرة فهو غريب عنهم ولا حاجة لهم به ولا بدينه وتعاليمه يقول البروفسور أثرى الالمانى (لأى شىء يدرس أولادنا تاريخ أمـة أجنبية ؟ ولماذا نقص عليهـم قصص ابراهيم واسحاق ؟ ينبغى أن يكون الهنا أيضا ألمانيا) وظهرت فى ألمانيا نزعة الى احياء الالهة القديمة التى كان يعبدها الشعب الالمانى فى عهده القديم .

خصائص الوطنية الغربية :

مما تقدم يتضح أن خصائص الوطنية الغربية تتلخص فى أن الشعب أو الامة فوق كل الشعوب والامم وأفضـل منهم لان الشعب فى الغرب أذكى الامم وأعلمها وأحقهـا بالسيادة والحكم ولا يسمح لانسـان يعيش فى هـذه البـلاد حتى يؤمن بهـذه الخصائص ولا تعترف بقيمة الانسان فى غير منطقتها فهى لا تحترمه ولا تراعى حقوقه ولا انسانيته - ومن خصائص القومية الغربية : الكراهيـة

والخوف فهى لا تبقى الا اذا كان للشعب ما يكرهــه وما يخافــه ولا يزال المسئولون هنــاك يثيرون الكامن من عـواطف الخــوف والكراهية – وقد حلل الالمـانى جود ذلك تحليلا نفسيا فقــال أن العواطف التى يمكن اثارتها بسهولة هى عواطف المقت والخوف التى تحرك جماعات كبيرة من الدهماء بــدل الرحمة والحب فالذين يريدون أن يحكموا على الشعب لغــاية ما لا ينجحون حتى يلتمسوا له ما يكرهه ويوجدوا له ما يخافه فلم يعد من دواعى العجب أن الحكومات القومية فى هذا العصر فى معاملتها لجيرانها انما تنقاد بعواطف المقت والخوف فعلى تلك العواطف يعيش من يحكمونها وعلى تلك العواطف يقوى الاتحاد القومى) ومن هنــا وجدنا الدول الغربية تهتم بان تبسط سيطرتهـا على أكبر رقعــة من الأرض حتى ولو كانت صــحارى – وهم بذلك يهدفون أولا الى الفوائد المادية وثانيا الى المجد القومى الذى يقول فيه الاستاذ جود (ان المجد القومى انما يعنى أن يملك الشعب قــوة يسلط بها رغبته وهواه على الآخرين اذا مست الحاجة) ٠

ومع أن الشعب البريطانى من أكثر شــعوب العالم حضــارة وتقدما الا أنه كبقية الشعوب الغربية فى تطبيق معنى الوطنيــة فى بلاده على معنى غير ما يطبقونه فى البــلاد التى يستعمرونها وسبب ذلك الطمع والكبر ولهــذا يقول بلدوين (ان الكبر أكثر من الطمع – هــو الذى يجعل الطبقة الحاكمة فى بريطانية تصر على اتبــاع خطط لا تتفق مع ما يتظاهرون به من حيث الصلح والوئام)

والحكومات الأوربية تحمل معها مفاسد الحضــارة الغربية وشرورها ولم يزل طريق الملوك والفاتحين غير طريق الانبياء والمصلحين وهــذا هو الذى جعل بلقيس ملكة سبأ تقول (ان الملوك اذا دخلـوا قـرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) النمل ٣٤ ولكى يصــل الاستعمار الى ما يريد فانه يعمل على نشر الفساد كالخمور والحشيش والافيون والربا والقمار والبغاء والفجور ويكون ذلك تحت عنــاوين براقة مثل المدنية والتقدمية والحضارة – وأصبحت مخترعات المدنية تستخدم فى التدمير والاعتداء ونشر الكراهية والحقد – لقد غرس

الغربيون هـــذه الشجرة الخبيثة وأصبحوا يتذمرون منها لانهـــــا خلقت فى كل ناحية من حياتهم مشـــاكل وعقد لا يكادون يحلونهـا الا وقد ظهرت مشـاكل جديدة ــ وهـــذا هو الذى جعل العالم الانجليزى جود يقول (ليس هنـــاك أى ظل من الشك فى أن علوم الميكانيكـــا والكيمياء عاجزة عن اعطائنا الذكاء والنظام الاخلاقى والصحة والتوازن العصبى والامن والسلام) ٠

تأثر المسلمين بالنزعة القومية :

مع تأخر المسلمين فى العصر الحديث وتقدم الغربيين فى العلوم وأسباب المدنية بـــدأ المسلمون يتأثرون بالغربيين فى النزعة القومية والاهتمام بالوطنية على أساس الفهم الغربى لها ــ وقـــد ظهر هذا واضحا فى الاتراك وفى الايرانيين فى فترة سابقة فأما الاتراك فبدءوا يتجهون الى النزعة الطورانية يمجدونها ويتحدثون عنها ــ وبدأ بعضهم ينظر الى الاسلام على أنه دين غريب لا يصلح لهم بـــل أن الوثنيـــة القديمة التى كانت قبل مجىء الاســـلام هى أفضل لهم تقول الاديبة خالدة أديب هانم عن ضـــياء كوك الب وهو من كبار مؤسسى تركيا الجديدة (كان ضياء الب يريد أن ينشىء تركيا جديدة تكون صـــلة بين الاتراك العثمانيين وبين أسلافهم الطـورانيين فقـــد كان يريد أن يقوم باصلاح مدنى بوساطة المعلومات التى جمعهـــا عن التنظيمـــات السياسية والمدنية فى عهـــد الاتراك قبل الاسلام ــ كان ضياء يعتقد ويؤمن بأن الاسلام الذى وضـــعه العرب لا يصلح لشأننا ولابد لنـا من اصلاح دينى يوافق طبائعنا اذا لم نرجع الى عهدنا الجاهلى) وشعار هؤلاء القوم عـــدم التدين واهمال الجامعة الاسلامية الا اذا كانت خادمة لنفوذ القومية الطورانية وهم يتغنون بمدائح جنكيز خان ويعجبون بفتوحـــات المغول ٠

والايرانيون أخذوا يبحثون عن أديانهم القديمة بعضهم يبحث عن المزدكية التى تدعو الى الالحاد والاباحية وبعضهم يدعو الى الزرادشتية التى تدعو الى وحدانية الله الى غير ذلك ــ ولقد قسمت الدول الاسلامية

الى دويلات تمشيا مع هـــذه النزعة مثل الشام التى قسمت الى أربع دول ـ وأهم من ذلك الروح التى تســود هـذه الدويلات ـ وأصبح كل قطر اسلامى يتعامل مع غيره على أساس العداوة فى أكثر الاحيان .

الوطنية فى الاسلام :

البيئة التى ولد الانسان فيها وتربى وعاش وبها أهله وأصحابه لها تأثير فى نفســـه يجعله يحبها ويتمنى أن يعيش فيها ـ ومن هنـا وجدنا الرسول الكريم يقول عن مكـة (والله انك لاحب بلاد اللـه الى الله وأحب بلاد الله الى ولولا أن قومك أخرجونى مـا خرجت) وللبيئة التى تربى فيها الانسان حقوق الاخوة والجيرة والاقارب ـ والزكاة لا يخرجها الانسان من البيئة التى يعيش فيها بـل ينفقها على الفقراء من أهله وعشيرته اللهم الا اذا كان أهله وعشيرته يعيشون فى بيئة أخرى وهم محتاجون اليها فاذا ما أحس الانسان بالظلم فى وطنه فعليه أن يرحل عن وطنـه فان الوطن هو الذى يحس فيـه بالحرية والعزة والكرامة واذا لم يفعل ذلك فهو ظـالم لنفسـه (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم ؟ قالوا : كنـا مستضعفين فى الارض قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجرون فيهـا ؟ فأولئك مأواهم جهنم وسـاءت مصيرا) النساء ٩٧ ـ ولم يستثن من هـؤلاء الا الضـعاف (الا المستضعفين من الرجـال والنسـاء والولـدان لايستطيعون حيلة ولا يهتدون سـبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) ٩٨ ، ٩٩ ـ ثم ان الناس جميعا من أب واحد وأم واحدة وقد جعلهم الله شعوبا وقبـائل ليتعارفوا لا ليستعبد بعضهم بعضـا ولا ليطغى بعضهم على بعض والرسول الكريم يقول (ليس منـا من دعـا الى عصبية وليس منـا من قاتل على عصبية وليس منـا من مات على عصبية) رواه أبو داوود والقرآن الكريم يقولها صريحة مدوية (ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) المـائدة ٢ وفى الاسلام وجدنا العبيد يساوون الاحرار فى الحقوق والواجبـات بل ان الرسول الكريم يقول : سلمان منا أهـل البيت) وعمر بن

الخطاب رضى الله عنه يقول أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا يقصـــد بلالا وحين قال أبو ذر لواحد من الناس : يا ابن السوداء غضب النبى صلوات الله عليه وقال : طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضـــل الا بالعمل الصالح) والتاريخ يحدثنا عن القبطى الذى ضربه ابن عمرو بن العاص لانه سبقه فأعطاه عمر الدرة وتركه يقتص من ابن عمرو وقال لعمرو كلمته الخالدة (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحرارا) وجبلة بن الايهم الذى لطم أعرابيا لانه وطىء ازاره طلب منه عمـــر بن الخطـــاب أن يرضـــيه أو يقتص منه فقال له يا أمير المؤمنين : أنا ملك وهو سوقة فقال عمر : ان الاسلام قد سوى بينكما .

والحروب فى الاسلام لا يمكن أن يكون هدفها العدوان أو الرغبة فى السيطرة أو السعى الى فرض نفوذ أو امتداد حدود بل أن الاسلام دعا الناس جميعا الى أن يدخلوا فى السلم كافة (يأيها الذين آمنـوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين) البقرة ٢٠٨ بل ان هدف القتال فى الاسلام حماية الدعوة الاسلامية حتى يكون للناس حرية عبادة الله وحده لا شريك له أو للدفاع ضد المعتدين أو لتأديب ناكثى العهد ـ ومن هنا قال عمر بن عبد العزيز لواليـــه حين لحظ كثرة الدخول فى الاسلام مما تسبب عنه نقص فى أمـوال الجزية وطلب من الخليفة أن يبقى الجزية على من أسلم قال كلمتـــه المشهورة :

(ويحك : ان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث هاديا ولم يبعث جابيا) .

ولذلك فقد كان المجتمع الاسلامى هو المجتمع الوحيـــد الذى يعيش بين أفراده على مدى التاريخ أناس من غير المنتسبين اليه دينـا وهم يحسون بالأمن والاطمئنان والعدالة والمساواة ذلك لأن المسلمين يشعرون بأنهم خلفاء الله فى الأرض ومطلوب منهم أن يحققوا العـدالة والمساواة والامن للناس جميعا (الذين ان مكناهم فى الارض أقامـوا

الصلاة وآتوا الزكاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) • الحج/٤١

ومن هنا فقد كانت الحروب الاسلامية محدودة وكان عدد الضحايا أيضا محدودا ـ أما النتائج فكانت رائعة لأن غير المسلمين لهم حقوق المسلمين كلها فالأمن والاطمئنان والعدالة والمساواة للناس جميعا ـ والخير والسعادة يشترك فيهما الناس جميعا •

والحروب الاسلامية كانت تحافظ على القيم فهى تحقن الدماء والأنفس والأموال لمن لم يشترك فى المعركة من النساء والاطفال والشيوخ وهى تبقى على الزروع والثمار وما الى ذلك مما يحتاج اليه الناس فى حياتهم •• ثم ان المسلمين لا يستعبدون ولا يستذلون •

خاتمة :

كان العرب فى الجاهلية يتعصبون لقبيلتهم سواء أكانت على حق أم على باطل بل لقد كان مما يمدحون به أنهم ينصرون أخاهم بدون أن يسألوا عن سبب المشكلة وفى ذلك يقول الشاعر :

لايسالون اخاهم حين يندبهم

فى النائبات على ما قال برهانا

فكان الواحد منهم ينصر أخاه ظالما أو مظلوما بل ان الواحد منهم كان يغير على أخيه اذا لم يجد غيره فهم كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله يقول الشاعر الجاهلى :

واحيانا على بكر اخينا

اذا ما لم نجد الا اخانا

فلما جاء الاسلام غير هذه المفاهيم كلها - وجعل العدالة والمساواة التامة أساس بناء المجتمع الاسلامي - ولذلك فحين قال النبى صلوات الله عليه (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) سأله أصحابه بقولهم : ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ فقال عليه السلام : أن تأخذوا على يده فذلك نصره ظالما) .

فالاسلام يهدف الى تربية الانسان الصالح - والانسان الصالح هو الذى ينظر الى الناس جميعا على أنهم اخوته ومتساوون معه فى الحقوق والواجبات ... والعدالة تأخذ مجراها بين الناس جميعا .. والحياة فى الأرض قوامها المحبة والمودة والأخوة - وذلك كله يهدف الى عمارة الأرض واعطاء كل ذى حق حقه فاذا ما تمت التربية على هذا الأساس وكان السلوك مطابقا لهذه التربية فقد نجح المسلم وفاز برضوان الله فى الدنيا والآخرة - والا فقد خسر الدنيا والآخرة وخسر نفسه وقومه وفى ذلك يقول الله تعالى (والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) سورة العصر .

ونحن فى حاجة الى اعادة التربية فى مدارسنا ومعاهدنا وكلياتنا حتى تتضح المفاهيم ويصح الاتجاه - ويجد الناس فى قلوبهم الأمن والايمان فى نفوسهم عزة الاسلام وحب الكون بما فيه ومن فيه وبين جوانحهم عوامل الاستقرار والسعادة .

هدية السماء لضيف السماء :

الصـلاة وأثرها في تربية المسلم

تمهيـد :

الصلاة هي الصلة الحقيقية بين العبد وخالقه ، يستمد القلب منها قوة هائلة تجعله يحس بالاطمئنان الكامل في هذه الحياة ، كما تحس فيها الروح بالصلة الدائمة بينها وبين خالقها ، وتجد فيها النفس زادا أنفس من كل ما في هذه الحياة - ومن هنا كان النبى صلوات الله عليه اذا حزبه أمر هرع الى الصلاة ·

ذلك لأن الانسان المخلوق الضعيف والفاني لا يستطيع أن يعيش في هذه الحياة آمنا مطمئنا ولا يستطيع ان يؤدى رسالته كاملة الا اذا اتصل بالقوة الكبرى التى خلقته ليستمد منها العون حينما تتنازعه أهواء النفس الداخلية وحين يتجاوز الجهد قواه المحدودة في مواجهة قوى الشر المنتشرة في هذه الحياة سواء أكانت واضحة أم مستترة - وحين يثقل عليه جهد الاستقامة على الطريق الأقوم بدون أن يجد معه المعين أو الناصر ثم ينظر الى مقدار ما وصل اليه فاذا به في مكانه لم يبلغ شيئا مما يريد - وحينما يجد الشر نافشا منتشرا هنا وهناك بينما الخير ضاويا لا يكاد يظهر له شعاع في الأفق بغير السبيل فيعرف الانسان طريقه ويسير واثقا بخطواته الى حيث يقصد ويريد ·

هنا تبرز قيمة الصلاة وأهميتها في حياة المسلم اذ أنها الصلة المباشرة بين العبد وخالقه - وهي الموعد المختار لالتقاء الفطرة البشرية بالنبع الالهي الدائم ·

ثم ان الله سبحانه وتعالى يعلم ضخامة الجهد البشرى الذى تقتضيه الأستقامة على الطريق بين النوازع والدوافع والذى يقتضيه

القيام على دعوة الله فى الأرض بين شتى الصراعات والاهواء – والذى يتطلب أن تبقى النفس مشدودة الأعصاب – ولهذا فان المسلم يستقبل النهار بالصلاة – ويتوسطه بالصلاة ثم يختمه بالصلاة كما يستقبل الليل بين يدى الله بالصلاة يستهديه فى عمله كما يؤدى اليه الحساب عن هذا العمل من ساعة اليقظة الى ساعة النوم (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين) الانعام/١٦٢ ، ١٦٣

ولم تكن الأمة الاسلامية هى أول أمة فرضت عليها الصلاة اذ تقرر آيات القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أمر بها بنى اسرائيل وذلك فى قوله تعالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون – وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) البقرة ٤٢:٤٣ .

كما أن الله سبحانه وتعالى أوصى بها عيسى عليه السلام وذلك فى قوله تعالى على لسان عيسى (قال : انى عبدالله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) مريم ٣٠/٣١ .

الصلاة هدية السماء :

الصلاة هى الشعيرة الوحيدة التى لم ينزل بها جبريل عليه السلام – لقد فرضت مواجهة بين رب العزة ورسوله صلوات الله عليه وهو أقرب ما يكون اليه وهو قاب قوسين أو أدنى ففى هذا المقام أوحى الله الى عبده ما أوحى – ومن الوحى الصلاة – وكأنها شرعت لتكون معراجا روحيا يعرج به المسلم الى ربه خمس مرات فى اليوم تمكينا له من الراحة والسكينة وليحول بينه وبين الانفعالات النفسية والعواطف المثيرة التى تدفعه الى المغالاة فى الفرح فيرتكب المحرمات أو المغالاة فى الحزن فيحبط به اليأس ... فالعروج الذى اختص به النبى صلوات الله عليه كان لجسمه وروحه – وقد بقى منه للآمة محاولة القرب والعروج بالروح عند كل تحول للشمس والظل والظلام فلم تترك

الرحمة من يقبل على الطاعة دون أن تهب له ما يذوق منه طعم القرب من الله تعالى وترى فيه بشرى لقائه · والرسول الكريم قد بشر بهذا كله فى قوله (انكم سترون ربكم فان استطعتم الا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) ·

وهدية السماء لا بد وأن تستكمل شروطها حتى تؤدى الغـــرض منها ـ وأول شروطها اقامتها ومعنى ذلك أداؤها على الوجه الأكمل ـ بقدر الاستطاعة ـ فلا يقع فيها قصور فى صورتها ··· أو حقيقتهـا أما صورتها فهى الأعمال والأقوال المعروفة وأما حقيقتها فهى الاخلاص لله عز وجل واستشعار عظمته حين ينطق المصلى بتكبيرة الاحـرام ـ ويكون بذلك قد دخل فى الصلاة فانه يجب عليه أن ينفصل عن كل ما يشغل كيانه عن الله سبحانه وتعالى ـ وبذلك يتحقق معنى قوله : الله أكبر ـ فما دام الله أكبر فلا يشغله عنه شىء ـ والصلاة المقـامة هى التى استكملت الخشوع (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) المؤمنون ١ ، ٢ ـ وفى هذا يقول الله تعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئـك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) الانفال ٢/٤ والشرط الثانى ··· المحافظة عليها وفى ذلك يقول الله تعالى (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) البقرة ٢٣٨ والشرط الثالث : المداومة عليها بمعنى الاستمرار فى جو الصلاة ـ وبذلك يكون المسلم فى صلاة دائمة حقيقة أو حكما ـ وبذلك يتم معنى الصـــلاة وحقيقتها ـ فيكون المسلم متزنا فى تصرفاته كلها ـ ذلك لأن الصلاة توجه كل مشاعر الحب والكره الى ما يحبه الله ويكرهه ـ واذا تحققت هذه المعانى عند المؤمن اعانته على الالتزام الجدى الدائم بأمر ربه وأبعدته عن الانحراف (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) العنكبوت/٤٥ أما الصلاة الناقصة فما هى الا مظهر من مظاهر الولاء لله سبحانه وتعالى المجرد من التكاليف والالتزامات الخلقية ··· والعملية التى تحتمهـا دعوة الاسلام لرب العالمين ·

ولذلك يقول الرسول الكريم (ليس للانسان من صلاته الا ما عقل

منها) والقرآن الكريم ينذر الذين يصلون ــ وفى الوقت نفسه يمنعون حق غيرهم فى أموالهم لأنهم فى هذه الحالة يكونون ساهين عن حقيقة صلاتهم بعيدين عن غاياتها اذ أن الصلاة لم تكن حينئذ ــ عنوان ايمان والا لأدت الغرض منها ولم يمنع الناس من حقوقهم (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون) سورة الماعون ٠

الاستعداد للصلاة :

لأهمية الصلاة فى تربية المسلم كان لا بد لاقامتها من شروط حتى تحقق الاستعداد الكامل للقاء الله سبحانه وتعالى ــ ومن هذه الشروط الطهارة ــ والرسول الكريم يقول (الطهور شطر الايمان) والطهارة عبادة يستخدم فيها الماء الطاهر يغسل بها المسلم أعضاء محددة من جسمه ــ وهى الناحية العملية التى يتصل بها الانسان بالعالم من حوله ــ ومما هو جدير بالتأمل أن مصدر الماء هو الكون سواء أكان ماء المطر أو العين أو النهر أو البحر أو البرد ــ فالمسلم يجمع من الكون ماءه الطاهر ليمر به على أجزاء جسمه ــ فكأنه يصافح الكون من حوله عن طريق هذا الماء ــ فالماء الطاهر يستعمله المسلم ليكون جديرا بأن يقف أمام ربه يسبح بحمده ويسجد له ويدعوه بأن يجعله من التوابين ويجعله من المتطهرين ــ ومثل ذلك استعمال ما يتيمم به حين لا يوجد الماء أو حين يتعذر استخدامه ــ وما يتيمم به ايضا من الكون فكأنه يصافحه أيضا فى حالة التيمم كما يصافحه فى حالة الوضوء يقول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وأمسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لا مستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا) المائدة ٦ ٠

والى جانب طهارة الجسم لابد من طهارة الثياب حتى تصح الصلاة (وثيابك فطهر) المدثر ثم التوجه للقبلة . وذلك يعطى احساسا للمسلم بوحدة الهدف مع وحدة المتجه الى جانب القرب من الله سبحانه وتعالى

— ومن مقدمات الصلاة الآذان الذى هو اعلام بالصلاة حتى يجتمع المسلمون لأداء الفريضة فى مسجدهم ٠

أهداف الصلاة :

المسلم خلقه الله فى الأرض ورسالته تحقيق هذه الخلافة وذلك بالايمان بالله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحقيق العدالة فى الأرض (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران /١١٠ والمسلم لذلك كان دائما فى حاجة الى الصلة بالله يستمد منه القوة والأمن والطمأنينة لأداء هذه الرسالة ٠٠٠ ولعل أهم ما تحققه الصلاة انها محطات تعبئة روحية الى جانب تحقيق المساواة والحب بين المسلمين ثم رضاء الله عز وجل ثم انها تكون الشخصية الايجابية المتزنة فى المجتمع الاسلامى ٠

الصلاة محطات تعبئة روحية :

المسلم فى هذه الحياة لا يستطيع أن يسير فى قوة الا اذا كان على صلة دائمة بالقوة الكبرى التى خلقته والتى يجد فيها غذاء لروحه وشفاء لنفسه وأنسا لقلبه وشحذا لعزيمته واثارة لكوامن قابلياته ولذلك فقد كانت الصلاة راحة لنفس النبى صلوات الله عليه وقرة لعينه يقول عليه السلام (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) اذ فيها يتفرغ المسلم ويتفكر فى معانى الآيات التى يتلوها — ويطلب من ربه العون والمدد والقوة اذ أن فساد المجتمع ومتطلبات الدعوة تستلزم دوام الصلة بالله حتى يكون الرسول أقدر على مواجهة الأذى ومقابلة قوى الشر وثباته فى المواقف الصعبة والله سبحانه وتعالى يقول (أنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) المزمل ثم يرسم طريق الصلة الدائمة الذى يجعله قادرا على السير بدعوته الى طريق النجاح وذلك اذ يقول (يأيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا) المزمل ٠ كما يقول له (ان ناشئة الليل هى أشد وطئا

واقوم قيلا) المزمل ومن هنا فان الاسلام كان حريصا على اقامة الصلاة في جميع الأوقات حتى في ساعة المعركة والمسلمون مشغولون بها ولم يؤجلها حتى يفرغوا من مهامهم القتالية ذلك لأن الصلاة سلاح من أسلحة المعركة ولذلك فقد نظم استخدام هذا السلاح بما يتناسب مع طبيعة المعركة فالصلاة رمز لتفوق المسلمين بالايمان بالله ووضـوح الهـدف السامى فى غاية وجودهم فى هذه الحياة ··· ويحدث القرآن الكريم المسلمين بكيفية الصلاة فى المعركة ويحذرهم من عدوهم الذى يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم فيميلون عليهم ميلة واحدة كما يخبرهم بأن اعداءهم الذين يلتقون بهم قد كتب الله عليهم الذلة وأعد لهم عذابا مهينا ــ وفى الآيـات الكريمـة يوازن بين التحـذير والتطمين ــ وهذا التوازن يطمئن المؤمنين ويربيهم فى الوقت نفسـه (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ــ ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) النساء ١٠٣ فهذه الآيات تدل على أهمية الصلاة من الحياة الاسلامية حتى لقد ذكرت الآيات السابقـة كيفيتها ــ كما تدل على تكامل المنهج الاسلامى فى مواجهة الحيـاة الانسانية فى كل حالاتها ومتابعة الفرد المسلم والجماعة المسلمة فى كل لحظة وفى كل حين ··· ولهذا أيضا لم يعف المريض من الصـلاة بل طلب منـه أداءها على قدر استطاعته قائما أو قاعدا أو مستلقيـا حتى تستمر صلته الروحية بالله ــ فتستمر وهو مريض ــ قـوته ومعنوياته مرتفعة ·

الصلاة تكون الشخصية الايجابية المتزنة :

خلق الانسان ضعيفا اذا مسه الشر فهو جزوع واذا مسه الخير فهو مستغن بماله وجاهه ثم يطغى ويتجبر ··· فليس لـه كيـان متزن يجعله يقابل المحن بصـبر وعزيمة كما يقـابل النقم بالشـكر

والبذل ـ ولا يستثنى من ذلك الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون فهم متزنون فى تصرفاتهم واثقون بأنفسهم وربهم (أن الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) المعارج ٢٠/٢٣ فالله هو الأحق عندهم بأن يتوجه اليه المسلمون فى البأساء والضراء والمآسى الفردية والعامة يستمدون منه العون والصبر ويطلبون منه المثوبة ـ والله هو الأحق بالشكر على نعمه وخيره العميم ـ ومن هنا فان المسلمين لا يصابون بالأزمات النفسية ولا تنتابهم المشاعر السلبية كالملل فى الرخاء .. والشك فى الضيق فهم يتوجهون الى ربهم وخالقهم فى كل مناسبة ويؤمنون بقيامه على كل نفس كما يؤمنون بأن الدنيا ليست دار جزاء ولا بقاء بل هى دار اختبار تكشف عن مدى صلابة الفرد فى ايمانه بربه وصدق دعواه بطاعته وقوة تحمله فى فترات الشدة كالمرض وفقد الأحباب وخسارة المال وغير ذلك الى جانب ثقتهم بعدل الله ورضاهم بقضائه مع محاولتهم دفع الأذى ما أمكن بوسائلهم المادية واستعانتهم به ـ كما أنها تخبرهم بالنعم كالصحة والرخاء وما الى ذلك أما الآخرة فهى دار القرار والجزاء .

ولعل هذا هو الذى جعل رب العزة يشرع للمسلمين صلوات مخصوصة للحالات النفسية المختلفة التى تنتاب الفرد والجماعة فشرعت للمناسبات السارة صلاة العيدين حتى لا تنطفىء مشاعر الفرح على الاحساس بالمسئولية العامة ـ كما شرعت صلوات معينة للأزمات كصلاة الحاجة التى تقام لكل حاجة شخصية طارئة وصلاة الاستسقاء والخسوف والكسوف ـ وبذلك يشتد أزر الفرد والجماعة فى فترات الشدة ـ ويتمتع كل مسلم وشخصيته ـ وهذا يعينه على الالتزام الدائم بأمر ربه وتبعده عن الانحراف أمام المغريات والانهيار أمام الاعداء .

المساواة والحب :

فى المساجد تزول جميع الفوارق والاعتبارات الدنيوية فالجميع يقفون فى صفوف متراصة متساوية خمس مرات فى اليوم والليلة فى

صف واحد يركعون ويسجدون جنبا الى جنب وجبهة الى جبهــة تحت قيادة امام واحد يتجهون الى معبود واحد ويلتقون تحت هدف واحــد ويحسون بأخوة الاسلام ـ المواعيد محــددة والحــركات موزونة ـ ومجتمع المصلين مجتمع الحب يتفقد الغائب ويجامل الحاضر ويعــين المحتاج ويسلى المصاب ويفرج كربة المكروب وينصح المخطىء ـ ويتكافل بعضه مع بعض فى حمل أعباء الجماعة ويسهم فى مشروعات الخير ـ مجتمع كله حب وود وصفاء ووئام ـ صورة لمـا ينبغى أن يكون عليــه المجتمع المسلم الكبير فى جميع نواحيه ٠٠٠ فالمساجد أعظم مدرســة لتهذيب النفوس وتعويدها التواضع ولين الجانب ووداعة الاخلاق ٠٠٠ وهى بذلك تنمى الروح الجماعية والتآلف العاطفى كما تقوى الصــلة الفكرية والنفسية والشعورية والاجتماعية بين جماهير المصلين وتنمى فيهم الاحساس الجماعى المملوء بالأمل والألم والفرح والحزن وتعودهم الالتقاء على الخير والتعاون على البر والتقوى والبعد عن الاثم والعدوان وتحبب اليهم النظافة المادية والمعنوية فضلا عن المعنى العســـكرى الملحوظ فى تنظيم الصفوف واتباع القائد وكل المشاعر الأخرى التى ينشئها الاحساس باتحاد الوجهة واتحاد الحركات والسكنات ٠٠٠ وهم حين يتجهون الى القبلة فانما يتخطون بذلك حدود المكان واقفين على رقعة من محيط الدائرة التى يقف عليها ملايين المؤمنين ليلا ونهارا متجهين الى البيت العتيق ٠

رضوان الله :

المسلم يعيش فى مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به وقد يكـــون فى سلوكه أخطاء لسبب أو لآخر ولهذا ففى الصلوات الخمس يمكـــن للمسلم أن يراجع نفسه بالحساب ويغسل روحه من جراء تعـــامله اليومى مع ما فيها من دوافع وشهوات وأهواء ويطهر قلبه مما انتابه فهذه الصلاة تسمو به وتقوم انحرافه ويعود بعد ذلك ليستأنف حياته ـ وفى ذلك يقول الرسول الكريم (أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهــرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن

الخطايا) متفق عليه وقال أيضا : الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة ما بينهم ما لم تغش الكبائر) مسلم وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب الى الله فى الاسلام ؟ قال : الصلاة على وقتها ــ ومن ترك الصلاة فلا دين له) وقد روى الامام مالك عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ــ ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهدا ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة) ٠

على أنه لابد من ملاحظة أن الصلاة لها صورة ظاهرية من ركوع وسجود وغير ذلك ــ كما أن فيها روحا كامنة وفاعلية مؤثرة ودورا ايجابيا فى ترقية شخصية المسلم وتزكيتها واعدادها الخلقى والروحى والنفسى والاجتماعى ذات منهج شامل وخصائص مميزة تقبل المؤمنين على اختلاف أجسامهم والوانهم ولكن مستويات النجاح تختلف بين الأفراد بحسب اقبالهم على الصلاة ومحافظتهم عليها واستغراقهم فيها واقامتهم لها الاقامة التى تتمثل فى الاعتدال فى الأداء والمداومة عليه حتى ترسخ صورة القيم التى يريد الاسلام ان يثبتها فى كيان المجتمع عن طريق هذه الفريضة ٠

ومن هنا راينا ثواب الصلاة يختلف من مسلم الى مسلم فبينما ينزل الثواب من مسلم الى العشر اذ به يرتفع مع آخر الى درجة ممتازة يقول الرسول الكريم (منكم من يصلى الصلاة كاملة ومنكم من يصلى النصف والثلث والربع حتى يبلغ العشر) النسائى وروى مسلم عن عبد الرحمن بن ثوبان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (عليك بكثرة السجود فانك لن تسجد لله سجدة الا رفعك بها درجة وحط عنك بها خطيئة) ٠

خاتمة :

كان الرسول صلوات الله عليه يوصى أمته بالصلاة وكان آخر

كلمة قالها : الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ٠٠ وكانت هذه الكلمة آخر مشهد حين نظر الى أصحابه الراكعين الساجدين فى الصلاة نظرة ارتياح بالغ أنساه آلامه المضاعفة فى مرض وفاض وجهه الشريف بشرا ثم أسلم الروح الى بارئها قرير العين مطمئن الفؤاد لأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة ٠٠٠ وقبل ذلك رفض النبى صلوات الله عليه أن يتساهل فيها أو يتغاضى عنها ففى رواية الامام احمد أن وفد ثقيف اشترطوا على رسول الله ألا يحشروا ولا يعشروا ولا يجمعوا ولا يستعلى عليهم غيرهم) أى لا يخرجوا للغزو ولا يؤدوا الزكاة ولا يصلوا ولا يولى عليهم أحد من غير قبيلتهم فقال عليه السلام : لكم ألا تحشروا ولا تعشروا ولا يستعمل عليكم غيركم ولا خير فى دين لا صلاة فيه) ٠

ولهذا فان روح نبينا محمد على قوتها حين كانت تضيق نفسه لسبب من الأسباب كان يلجأ الى راحة الروح فيأمر بلالا باقامة الصلاة ويقول له : أرحنا بها يا بلال) وهي اللمسة الحانية للقلب المتعب المكدود من الحياة وما يلاقيه فيها من صعوبات وعقبات ــ والصلاة مظهر لنشاط قوى الانسان الثلاث الجسمية والفكرية والروحية وتوجيهها الى خالقها فى ترابط تام واتساق واضح بجعلها قياما وركوعا وسجودا لحركة الجسد ويجعلها قراءة وتدبرا وتفكيرا فى المعنى والمبنى تحقيقا لنشاط العقل ويجعلها توجها واسلاما لله تحقيقا لنشاط الروح وفى ذلك بفكرة الاسلام كلها عن الحياة ــ وبهذا تتحقق فكرة الاسلام كلها عن الحياة فى كل ركعة من كل صلاة ــ ولقد كان دعاء ابراهيم أبو الأنبياء أن يجعله وذريته من المقيمين للصلاة (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) ابراهيم/٤٠ ٠

وهكذا تعمل الصلاة فى المسلم وتؤثر فيه التأثير الكامل الذى يجعله قادرا على أداء رسالته فى هذه الأرض ما دام قد وعاها وأقامها وحافظ عليها ٠

تمهيـــد :

الزكاة عبادة اسلامية يؤديها المســـلم رغبة فى رضـــا الله سبحانه وتعالى الذى أنعم عليه من فضله ـ ومحبـــة لاخوانه الفقراء الذين يحتاجون اليها فى شئون حياتهم ـ وفى الزكاة معنى النمــــاء فالمزكى يشعر بأن ما أعطاه للفقير ما هـــو الا بـــذرة فى أرض الخير ستضاعف الانتاج .

والفقير يحس بأن ما يأخـــذه من الغنى ما هـــو الا حق له فرضه الله سبحانه وتعـــالى فهو يأخذه بكرامتـــه ـ وبذلك لا يحس الفقير بانعزاله عن المجتمع ـ ولا بتخلفه عن الجماعة ـ وفى الوقت نفســــه لا يحس الغنى بأنه مكروه وبأنه سيدخل فى دوامة الصراعات مع المحتاجين والحاقدين الذين ينظرون اليــــه بعين البغض والكراهية على مثـــال ما يحدث فى المجتمعات الشيوعية ـ وبذلك تصبح الزكاة وســــيلة ايجابية لتعاون أفراد المجتمع بعضهم مع بعض بما يبذله غنيهم لفقيرهم طواعية وعن طيب خاطر .

وقد جعل الله الزكاة احـــدى أركان الاسلام التى بنى عليها ـ ورفض أبو بكر الصديق أن يسكت عن مانعى الزكاة بـــل حاربهم وقال قولته المشهورة (والله لو منعونى عقـــال بعير كانوا يؤدونه لرســـول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه) وقد تنبه الكاتب الغربى « ماسينيون » الى أهمية الزكاة فى الاســـلام فقال (ان لـــدى الاسلام من الكفاية ما يجعله يتشـــدد فى تحقيق فكرة المساواة ـ وذلك بفرض زكاة يدفعها كل فرد قادر لبيت المـــال ـ وهو يناهض عمليات المبادلة التى لا ضابط لها وحبس الثروات ـ كمـــا يناهض عمليـــات

الديون الربوية والضرائب غير المباشرة التى تفرض على الحاجات الاولية الضرورية ـ ويقف فى نفس الوقت الى جانب الملكية الفردية ورأس المـال التجارى ـ وبـذا يحل الاسلام مرة أخرى مكانا وسـطا بين نظريات الرأسمالية البرجوازية ونظريات البلشفية الشيوعية) وقـد تكررت الزكاة فى القرآن الكريم فى أكثر من ثلاثين آية ـ وجـاء الامر بهـا مقرونا بالصلاة فى معظم الآيات الكريمـة مما يؤكد أهميتها فى الاسلام .

والزكاة من العبادات التى فرضت فى الاديان السابقة ـ اذ تقرر آيات القرآن الكريم انن الله سبحانه وتعـالى أمر بهـا بنى اسرائيل ـ وذلك فى قوله تعـالى (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمـون ـ وأقيموا الصـلاة وآتـوا الزكاة واركعـوا مـع الراكعين) البقرة ٤٢ ، ٤٣ ـ وكانت الزكاة أيضـا ضمن ما أوصى به الله عز وجـل عيسى عليه السلام فأمره بهـا فى قوله تعـالى (قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مبـاركا أين ما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) مريم ٣٠ ، ٣١ .

الفقر مشكلة لها علاج :

الفقر مشكلة اجتماعية تصيب طائفة من أبنـاء المجتمع فتجعلهم عاجزين عن القيام بدورهم فى تنمية المجتمع ـ وذلك لانسـداد أبواب العمل الحلال فى وجـه القادرين عليه أو بسبب ضعف جسـمانى لا يمكن التغلب عليه أو أن الدخل لا يكفى حـاجات صاحبه ولا يحقق تمام كفايته كبعض العمال الزراعيين وصـغار الموظفين ـ ومن هنـا جـاء الحديث الشريف (ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذى يتعفف) رواه البخارى واقرؤا ان شئتم (لا يسألون الناس الحافا) البقرة ٢٧٣ ـ أى لا يلحون فى المسألة ولا يكلفون الناس ما لا يحتاجون اليه .

وعلاج الفقر يكون بعـلاج سببه أولا فان كان بسبب البطالة

يبحث الامر على ايجاد فرص العمـــل أو توفير أدواته حتى يستطيع كل فرد أن يعمل وأن ينتج ـ ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك من أن رجـلا من الانصار رأى النبى صلوات الله عليه فسأله صدقة فقـال له الرسول (أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى حلس نلبس بعضـــه وقعب نشرت فيـه المـاء قال عليه الســـلام ائتنى بهما فأخذهما الرسول بين يديـه وقال من يشترى هذين ؟ قال رجـــل : أنا آخذهما بدرهم قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : من يزيد ؟ وكررها مرتين أو ثلاثا قال رجـــل : آخذهما بدرهمين فأعطاهما الانصارى وقال : اشتر بأحدهما طعاما لاهلك واشتر بالآخر قدوما فاتنى بـه فاتاه به فشـــد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودا بيده ثم قال : اذهب فاحتطب ولا أرينـك خمســة عشر يوما ثم قال : رســول الله صلى الله عليه وسلم : هـــذا خيـــر من أن يجىء والمســـألة نكتة فى وجهــه يوم القيامة) رواه أبو داوود وابن ماجة ... وان كان السبب للفقر الضعف الجســمانى لكبر السن أو المرض بحيث لا يستطيع المسلم أن يعمل فكفايته فرض على المجتمع أو عـــلى بيت المـــال وان كان لنقص بعض الحواس وأمكن ايجاد عمل عن طريق التأهيل المهنى فعـــل ذلك والا فكفايتهم فرض على المسلمين ـ وفى غير ذلك فالمسألة حرام وقد روى أحمد (من ســـأل مسألة وهـــو عنها فى غنى كانت شيئا فى وجهـه يوم القيامة) .

والفقير فى الاســـلام ـ هو الذى له دار يسكن فيها وعنده كسوة الشتاء والصيف ـ وله دابة يركبها وقـد سـئل الامام أحمد عن الرجل يكون له الدار والخادم أيأخذ من الزكاة ؟ فأجاب : يأخذ أن احتاج ولا حرج عليه ـ وســئل أيضا اذا كان للرجـــل عقار يستعمله أو حديقة تساوى عشرة آلاف درهم أو أقل أو أكثر ولكنها لا تقوم بكفايته ؟ فقال : يأخذ من الزكاة وقال الحسن البصرى (كانوا يعطون الزكاة لمن يملك عشرة آلاف درهم من الفرس والســـلاح والخادم والدار) .

اهداف الزكاة :

والزكاة فى الاسلام لها أهـــداف كثيرة منها أنها تحقق الطـاعة

النفسية للمسلم ـ ومنها أنهـا تحرر الانسـان من سيطرة رأس المال عليه ـ ومنها أنهـا تحقق الرباط الاجتماعي بين المسلمين ـ ومنها أنهـا تساعد على ايجاد التوازن الاقتصادي ـ ثم الثواب العظيم الذي ينـاله المسلم بسبب أداء الزكاة ..

الزكاة طاعة نفسية :

الزكاة في الاسلام طاعة نفسية قبل أن تكون خطة اقتصـادية ويؤكد هـذا المعنى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أتى رجـل من تميم رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقال يا رسول اللـه انى ذو مـال كثير وذو أهـل وحاضرة فأخبرني كيف أصنع ؟ فقال صلوات الله عليه (تخرج الزكاة من مالك فانها طهره تطهرك وتصـل أقرباءك وتعرف حق المسكين والجار والسـائل) ـ وفي القرآن الكريم (خـذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة ١٠٣ .

والزكاة تجعل المزكي يثق في الله تعـالى أكثر من ثقته مما في يده وأن ما يزرعـه في أرض الخير ينمو ـ وأن حاجات المحتاجين هي أرض خصبة وقد دعانا الى أن نضع فيها البذور طبقـا لتعاليم الاسلام فهي في حقيقة الامر نماء وان كان في الظاهر غير ذلك كالفلاح الـذي يضع بذوره في الأرض فهو مطمئن الى نمائها بعد ذلك ـ وان هـذه الثمار ستكون في يـده اضعافا مضاعفة وفي ذلك يقول الله تعالى .. (مثل الذين ينفقون أموالهم فيسـبيل الله كمثل حبـة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبـة والله يضاعف لمن يشـاء والله واسع عليم) البقرة ٢٦١ ـ وفي الزكاة تذكير للانسـان بنعم الله عليـه وعهده في هـذه النعم أن يأكل منهـا في غير أسراف ولا تقتير وأن ينفق منها في غير من ولا أذى فالاسـلام بذلك يهـذب النفوس ويزكيهـا استجابة لمشاعر الانسانية ..

الزكاة تحرير للانسان :

كما أن الزكاة تحرر المسلم من سيطرة حب المـال على نفسـه

تلك السيطرة التى قد تؤدى به الى مشكلات تفقده لذة الحياة وسعادتها - وحب المال غريزة من غرائز الانسان الطبيعية - وذلك لكى يحافظ على بقائه محافظة سهلة وتلقائية - وهو بذلك يدفع تهديد البقاء الشخصى - وهذه الغريزة تدفع الانسان الى العمل والسعى والتحصيل للمال وتنمية ادخاره والاسلام يوضح ذلك فى قوله تعالى (وأحضرت الانفس الشح) النساء ١٢٨ - ولكنه يدعو الى مقاومتها لمصلحة الفرد ومصلحة الجماعة فيقول فى ذلك بعد ذلك (وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) النساء ١٢٨ .

والقرآن الكريم يعرض من زاوية أخرى أنواع المال ويقر حبها فى قوله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا) آل عمران ١٤ - ولكنه لا يقر الزائد الذى لا يحتاجه الانسان بحيث يصبح شهوة عنده كالقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث - ثم يفاضل بين ما عند الله سبحانه وتعالى وبين هذه الاشياء التى يشتهيها الانسان وليست لازمة له فيقول سبحانه وتعالى (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) آل عمران ١٥ ويتوعد الذين يكنزون الذهب والفضة (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) التوبة ٣٤ و ٣٥

فالبذل فى سبيل الله هو الطريق الى سيطرة الانسان على حب المال - وما من طريق ايجابى لمحاربة هذه السيطرة الا البذل والعطاء - وعلماء الدراسات النفسية يقرون أن الزكاة وسيلة ايجابية لتحرير المسلم المزكى من سيطرة المال وحبه اذ أنها تزيد بزيادة ما عند الانسان من مال فيظل بذلك فى مأمن من سيطرة راس

المـال على نفسه دائما ـ وهـذا يؤدى الى غرس الامانة المطلقة فى نفوس المسلمين فالانسـان يقدر بنفسه زكاة ماله ـ ولا حسيب عليه غير ضميره ـ ولكن احساسه بأن الله رقيب عليـه يجعله أمينا فى التقدير سخيا فى الانفاق عادلا مع نفسه ومع الناس ٠

الزكاة رباط اجتماعى :

وتهدف الزكاة أيضـا الى توفير الصحة النفسية للانسان ـ وترفع من معنوياته ـ وتحارب فيـه آية بادرة من بوادر الانعزالية أو الشعور بالوحدة اذ أن المزكى الـذى يخرج الزكاة طواعية يشعر بأنه يسـهم فى بنـاء المجتمع ويعمل على اسـعاد أفراده ويحس بأن المجتمـع يستفيد من وجوده من الناحية النفسية والاجتماعية ـ وفى نفس الوقت يحس المزكى بأنه فى مجتمع مترابط متحاب فيطمئن هـو وتستريح نفسـه ـ ويسعد بالوجوه الراضـية من حوله ـ ويحس بالاطمئنان القلبى ويصبح المجتمع كلـه بعيدا عن القلق والاضطراب وفى ذلك يقول العالم النفسى دريزر (اذا شـاء الرجل أن يستخلص من الحياة المتعة فعليه أن يسهم فى اجتلاب المنفعة للآخرين فأن متعة الشخص تعتمد على متعة الآخرين ومتعـة الآخرين تعتمد على متعته) ٠

والزكاة رباط اجتماعى اقتصادى يذكرنا دائما باللـه سبحانه وتعالى الذى خلق هـذه الخيرات واختبر بعض عباده فى أن يملكوا واختـبر بعضهم فى ألا يملكوا ـ ليرى أى عباده أحسن عمـلا وأكثر شكرا وأشـد صبرا ـ وقد فرض على الجميع السعى مـا استطاعوا الى ذلك سبيلا ـ وجعل عمارة الأرض مجال ذلك (هـو الذى جعل لـكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشـور) الملك ١٥ ٠

والزكاة ترضى نفس الآخـذ وتوثق صلته بأخيـه فى اللـه وفى الانسانية وتسـد خلة الجماعة كلها لتقوم على أسس التكافل والتعاون وهـذا يذكرها بوحدة حياتها ـ ووحـدة اتجاهها ووحدة تكافلهـا

وبذلك يتحقق معنى الحديث الشريف (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) رواه البخاري ومسلم — فقد هدفت الزكاة الى أن يشترك المجتمع فى سداد ديون من اجبرته الظروف على الاستدانة ما لم يكن دينه بسبب انحراف أو فساد — وليس كهذا العمل من وسيلة يشعر بها المدين بأنه موضع الاكرام فى مجتمعه وانه فى رعاية الاسلام — وكذلك من انقطعت به السبل عن بلده فاصبح غريبا — وقد نفد ما لديه من مال — فالمجتمع الاسلامى يوفر له الحياة الكريمة فى اقامته ويتيح له ما يعيده الى وطنه سالما ٠

بل ان الزكاة تعمل على تاليف القلوب وتثبيتها على الاسلام والولاء له ولاهله — وتشجع على الاستمرار فى طريق الخير — ويمكن فى عصرنا الحاضر أن تسهم فى تكوين رأى عالمى عام لتعريف العالم بأهمية قيام الامة الأسلامية لتحقيق العدالة فى الارض — وانتشال الناس من وهدة المادية التى وصلوا اليها ومن ذلك اتخاذ أجهزة الدعاية والاعلام فى مختلف بلاد العالم لتعريف الناس بالاسلام وأهميته لهم ٠

وبالزكاة يقضى الفقير حاجته المادية كالمأكل والملبس والمسكن — وحاجاته النفسية الحيوية كالزواج وحاجاته المعنوية الفكرية كطلب العلم لمن كان من أهله — وبذلك يحس الفقير أنه فى مجتمع يهتم به ويرعاه — وفى ذلك كسب لشخصيته — وهذا الشعور ثروة للآمة كلها لا يستهان بها — ويكفى أن تكون التنظيمات الاقتصادية عبادة لتدل على هذه المزية التى تمتاز بها الفكرة الاسلامية ٠

الزكاة توازن اقتصادى :

والى جانب ما تقدم فان الزكاة يمكن أن تعالج الفقر معالجة جذرية وذلك بتوسيع قاعدة التملك وتحويل أكبر عدد من الفقراء الى مالكين لما يكفيهم ومن يعولونهم طوال حياتهم وبذلك يخرج الفقير من دائرة الحاجة الى دائرة الكفاية الدائمة — وعلى هذا يمكن أن يملك كل فقير

ما يناسبه ويغنيه فالتاجر يمكن أن يملك متجرا وما يلزمه ـ والمزارع يمكن أن يملك أرضـا يزرعها وما يلزمها والمحترف يمكن أن يملك آلة الحرفة ـ وبذلك تقلل الزكاة عـدد الاجراء ـ وتزيد في عـدد الملاك ـ وبذلك يتحقق هـدف الاسـلام من اقامة توازن اقتصادى واجتماعى عـادل فيشترك الناس فى الخيرات التى أودعها اللـه فى هـذه الارض ولا يقتصر تداولها على الاغنياء وحدهم ٠

وبنظام الزكاة والفيء وغيرهما يمكن أن تضيق الفوارق ـ ويعاد التوازن الاقتصادى تقول الدكتورة لورا فاجليرى (ان الاخوة والزكاة هما حجر الزاوية فى المجتمع الاسـلامى ـ وقد حقق الاسـلام بذلك نجاحا كبيرا) فالزكاة تعتبر من أهم وسـائل تحقيق تداول المـال بين أفراد المجتمع وتحـد من طبقة الاغنياء الذين يستغلون بمالهـم كل مقدرات المجتمع فهى من أهـم عوامل توزيع الثروة وهى كذلك سبيل قيام ثروات جديدة تنشـأ من الزكاة فتكون وسيلة من وسائل ضغط هـذه الفوارق واذابتها ٠

ثواب الزكاة :

ليس أعظم من رحمـة الله التى تهفو اليها النفوس فى هـذه الحياة والتى هى المطلب الوحيد لكل انسان فى الآخرة فقد كتبهـا الله سبحانه للذين يؤدون الزكاة وذلك فى قوله تعالى (ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة) الاعراف ١٥٦ ـ كما وعدهم بها فى قوله تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليـاء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصـلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله) التوبة ٧١ ـ وفى آيات أخرى جعلهم من المفلحين الذين يرثون الفردوس فيها خالدون (قـد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هـم عن اللغـو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون) الى قوله (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) المؤمنون ١ ـ ١١

خاتمـــة :

لجأت الدول فى العصر الحديث الى مختلف الانظمـــة الاقتصادية بهـدف محاربة الفقر وتوفير الحياة الكريمة الحرة فاختارت بعض الدول النظام الرأسمالى على أســـاس أن الثراء المضاعف يتيح الفرصـــــة الى ايجاد عمل للعمال ــ وعن طريق مضاعفة رأس المـال يمكن توجيهه الى استثمارات أخرى تتيح عمالة اضافية ووجدت دول أخرى أن هـــذا النظام فيــه اســـتغلال للافراد اذ أن صاحب رأس المـــال سيستأجر العمال بأبخس الاجور وبينما تزداد أرباح الغنى سيزداد ضعف العامل فيستغنى عنــه فى النهاية ــ ويصبح عالة على المجتمع ــ ولا يجد من يمد اليه يـــد المعونة بينما صاحب العمل يستأجر عمالا آخرين يستغلهم فى مضاعفة ثرواته وهكذا فاتجهت بعض الدول الى نظـــام اقتصادى مخالف هـــو الشيوعية وفيه تؤمم كل وســـائل الانتاج وتنعـــدم الملكيات الفردية مقابل توفير حاجة العمال وعدم استغلالهم وأوضحت التطبيقات الفعلية أن هـــذا النظام غير صالح اذ أنه لا توجد الحوافز الدافعـــة الى العمل فيقل الانتـاج ــ وفى الوقت نفســـه يقوم هـذا النظام على الدكتاتورية واثارة الحقـــد بين طبقـات المجتمع ــ وظهرت أنظمة أخرى هى محاولات لتلافى العيوب فى النظامين السابقين وتوفير الحيـــاة الكريمة للافراد والجماعات .

والنظام الاسلامى الاقتصادى لا يمنع قيام الملكية الفردية ولكنـــه يجعـل المـال أساسا للـه جل شأنه والانسان وكيل عنـــه يستثمره فى الابواب التى أباحها ــ كما أنه ينفقها بالاسلوب الذى رســمه ــ وهو يهتم بالفقير ولكنــه يحول أساسا دون أسباب الفقر فاذا مـــا وجدت عالجها بالاساليب المختلفة فالدول عليها أن توفر العمل لمن كان قادرا عليـــه والا فان كان عاجزا رعته أو شيخا ساعدته أو مريضـــا عالجته وقـــد اعترف بعض الغربيين بتفوق النظام الاسلامى فى هـــذا الميدان يقول جب (ما زال الاســـلام يحفظ التوازن بين الاتجاهين المقابلين فى العالم فهو يوائم بين الأشتراكية القومية الاوربية وشيوعية روسيا فـلم يهو بالجانب الاقتصادى من الحياة الى ذلك النطاق الضيق الذى أصـبح

من مميزات أوربا فى الوقت الحـــالى والذى هـــو اليوم من مميزات روسيا أيضا ٠٠ والزكاة هى الوسيلة الايجابية لســـد غلـــة الفقير وتحاب أفراد المجتمع ـ والمهم روح الاســـلام لا شكله ـ فالمجتمع الذى يربيه الاسلام بتوجيهاته ونظامه يتناسق مع شـــكل النظام واجراءته فهو متكامل مع التشريعات والتوجيهات ينبع التكامل من ضمير أفراده ومن منظماته معـــا وهى متناسقة متكاملة ـ والزكاة بذلك تكون قاعدة المجتمع المتكامل الذى لا يحتاج الى ضمانات النظام الربوى فى أى جانب من جوانب حياته ـ وتكفل بهـــا كل من تقصر وسائله الخاصة من الجماعة المسلمة حيث يشعر كل فرد بأنه فى أمن واطمئنان ٠

أثر رمضان فى تربية المسلم

الاسلام دين واقعى يفهم الانسان على حقيقته ويأخذه كمـــا هـــو ولذلك فانه لم يهمل الروح ولا الجســـد بـل اعتنى بهما عناية كاملة ٠ واستخدام هـــذه الطاقات كلها يحدث توازنا كاملا فى النفس يجعلها تعيش فى أمن واطمئنان يدفعها الى أداء رسالتها فى هـــذه الحياة ٠٠ ولصوم رمضان أثر واضح فى كل طاقة من طاقات الانســـان اذا صامه المسلم على الاساس الذى رسمه الاسلام ٠

الناحية الروحية :

الطاقة الروحية أقوى طاقات الانسان وأكثرها أثرا فى حيـــاته وفى شعوره بالسعادة ولذلك فان الله تعالى طلب من المسلم أن يكون دائم الاتصال به ٠٠ والشعائر فى حقيقتها ما هى الا محطات للتزود من الطاقة الروحية التى تؤثر فى المسلم وفى سـلوكه وفى عاداته وفى سعادته ٠٠ ومن هنـا يطلب القرآن من المسلمين جميعا أن يتقوا اللـه مـا استطاعوا الى ذلك سبيلا (فاتقوا الله مـــا استطعتم) التغابن ١٦ ـ ولـــكى يوثق هـــذه الصلة جعل الاعمال بالنيات (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) رواه الشيخان ولم يقبل من العمل الا ما كان خالصا لوجـــه الله الكريم وفى الحديث الشريف أن رجـــلا سأل النبى الكريم عن الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل للمغنم أى ذلك فى سبيل الله ؟ فقال عليه الســـــلام : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله) رواه الشيخان ٠

والعبادة فى الاســـلام لا تقتصر على الشعائر كما هو معروف فى الاديان الاخرى وانما هى تتسع لتشمل كل عمل تتحقق فيـــه مراقبة اللـه تعالى ويقصد بـه وجهه الكريم فى هـــذه الحياة ٠٠ كما تشمل مراعاة حقوق الجار والاقارب والوالدين والحكم بين الناس بالعـــدل

والجهاد فى سبيل الله وكل ما يمكن الانسان من تحقيق الخلافة فى الارض ٠٠ بل أكثر من هـذا فان الرسول يقول (وفى بضع أحدكم صـدقة) رواه مسلم وحين يعجب أحـد الصحابة من ذلك ويسأله : أيأتى أحدنا شهوته وله فى ذلك أجر ؟ فقال له الرسول الكريم : أرأيت لو وضعها فى محرم أكان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها فى حلال فله عليه أجـر) ٠

والصوم من الناحية الروحية صـلة وثيقة بين العبد وربه صـلة بعيدة عن الرياء وفى ذلك يقول اللـه تعالى فى حديثه القدسى (كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به) رواه الشيخان ٠٠ والقرآن الكريم يبين أن الغرض من القرآن التقوى (يأيهـا الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) البقرة ١٨٣ ـ فالتقوى هى التى تستيقظ فى القلوب وهى التى تؤدى هـذه الفريضة طاعة للـه وايثارا لرضـاه وتحرس القلوب من افساد الصـوم بالمعصية ٠

ومعنى التقوى مراقبة الله سبحانه وتعالى فى كل عمل يعملـه فلا يعمل المسلم الا كل ما يأمره اللـه به ويجتنب كل ما نهـاه عنـه وبالتقوى يصبح الانسان ربانيا ٠٠ وفى رمضان تقوى مراقبة اللـه تعالى بالصوم وبقراءة القرآن وبصـلاة القيام والصـائم يجد الجزاء القريب فى اللفتة القرآنية التى تأتى بين آيتى الصوم وهى قوله تعالى (واذا سـألك عبـادى عنى فانى قريب أجيب دعـوة الـداع اذا دعان) البقرة ١٨٦ فهذه اللفتة موجهة الى أعماق نفس المسلم الصائم اذ يجد فى هـذه الآية الجزاء الاوفى من اللـه سبحانه وتعالى الـذى تصوره الآية الكريمة فى ألفاظ رقيقة فهو جزاء واف على اسـتجابة الصائمين وتعويض كامل على طاعة اللـه وخيط يجذب الارواح الى اللـه تعالى فى يسر وسهولة وطواعية ٠

الصبر وتقوية الارادة :

ومن أهداف الصيام تربية نفس المسلم على الصبر على ما لا يصبر

عليه عـــادة فهو بذلك يتحرر من ذاته ويتربى على ضبط أعصابه فـــلا يثور لاول مؤثر بل يقيم الاعتدال فى طبيعته وحركته ٠٠ والصوم يساعد على تربية المسلمين ومساعدتهم على اقامة مجتمع سليم منظم له قيـادة يرجع اليها فى كل أمر من أمور حياته ـ وتكون تصرفاته كلها منسجمة مع تعاليم الاسلام مهما تكن مخالفة لمالوفه وعـــاداته سواء أكانت فى الطعام والشراب أم فى ســـلوك الانسان فى اى وقت وفى أى مكان يحرر نفســـه بالمران والعزم الصادق وبذلك يفطم الانسان نفســـه من أهوائها ٠

والصائم المحتسب لا يجد فى نفســـه اضطرابا ولا انزعاجا بـــل يكون راضيا محتسبا مطمئنا هادئا والذى يغضب فى رمضان لاتفـــه الاسباب هـــو الذى لم يفهم معنى الصـــوم ولم يتأثر بـه واذا كان الكثيرون منـــا لا يستفيدون من رمضـــان الفائدة المطلوبة فان العيب ليس فى الطبيب ولكن فى المريض الذى لا يطيع أوامر الطبيب ٠٠٠ ومن هنـــا ندرك أن حجر الاساس فى اعداد شخصية المســـلم أن تكون تصرفاته كلها منسجمة مع تعاليم الاسلام ٠

والمسلم قبل أن ينطلق الى الجهاد فى المعركة يكون قـــد خـاض معركة الجهاد الاكبر مع نفســـه مع الشيطان ـ مع هواه وشهواته ـ مع مطامعه ورغباته ـ مع مصالحه ومصالح غيره ـ مع كل واقع وهـــو محتفظ بعبوديته للـــه ـ فالاسلام جـــاء ليكون اعلانا عـــاما لتحرير الانسان فى الارض من العبودية للعباد ومن العبودية للهوى ٠

ولم يكن من المصادفة أن يفرض الصوم فى العام الذى فرض فيـه الجهاد لرد العدوان ونشر الاســـلام فالصوم هـو تقرير الارادة العازمة ومجال اتصـــال الانسان بربه اتصال طاعة وانقياد ـ ومجال الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها ايثارا لمـــا عند الله ٠ وهـــذه عناصر لازمة لاعـــداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والاشواك والذى تحف بالسالكين فيـه المغريات ٠

ونحن نعلم أن الشباب المدلل لا يستطيع أن يقف على قدميه فى

هـذه الحياة لانه نشـأ رخوا لينا تتقاذفه الرياح من كل جانب ثـم هـو فى العادة الذى يصـاب بالامراض والعقد النفسية وبصدمات الحياة : والفرق الخاصة فى الجيوش تدرب تدريبا عاليا يؤهلها للقيام بالاعمال الخطيرة التى تحتاج اليها الامـة فى ملماتها ٠

ان الجندى الذى يؤخـذ الى ميدان المعركة بدون اعـداد نفسى وعقلى وجسمى لهو جندى فاشل ــ وان الشباب الذى يقابل الحيـاة وصعوباتها بدون اعداد لهو شباب فاشل ــ والصوم يسهم فى تربيـة النفوس وترويضها وتعويدها الصبر على المكاره ٠

والصوم ليس حرمانا وحدا من حرية الانسـان بل هو يطهر النفس ويوجـه عقل الصائم كى يسـترد حريته حرية ارادته وحرية تفكيره فاذا استردهما استطاع السمو الى عليا المراتب الايمان باللـه الواحد الحق ٠

والتفكير الحديث افسد فى اذهاننا معنى الحرية حين هـدم حدودها الروحية والنفسية ثم استبقى حدودها المادية فالانسان ليس حـرا فى التفكير الحديث فى أن يعتدى على مـال غيره أو على شخصـه ولكنه حـر فى أمر نفسـه وان جاوز ذلك حدود العقل أو قواعد الخلق ٠

والواقع أن الانسان عبد للعادة وتغيير العادة فيهـا حرية للانسان وعبودية العادة مفسدة للادارة ومفسدة للفكرة الصحيحة عن الحرية فى صورتها الصادقة ومفسدة لسلامة التفكير لانها تخضعه للتأثر بضرورات الجسم المادية التى طبعتها العادة ٠

ولقد كان اختبار الارادة والاستعلاء على المغريات هـو اول اختبار وجـه من قبل الى آدم وحواء ثم ظـل هـذا الاختبار الذى لابد من أن تجتازه كل جماعة قبل أن يأذن الله لهـا بأمانة الاستخلاف فى الارض ، قـد يختلف شكل الابتلاء ولكن لا يختلف فحواه ٠

وبنو اسرائيل لم يصمدوا للابتلاء الذى كتبه الله عليهم ومن ذلك اختبارهم ليوم السبت وهو محرم عليهم أن يصطادوا فيه فاذا جماعة منهم لا تستطيع أن تقف امام هذا الاغراء - اغراء الحيتان التى تأتى ظاهرة امامهم لا تحتاج الى مجهود فى صيدها فتتهاوى عزائمهم وينسون عهدهم مع ربهم وميثاقهم فيحتالون - على طريقة اليهود - للصيد فى يوم السبت - وما أكثر الحيل التى تستخدم عندما تلتوى القلوب وتقل التقوى ويصبح التعامل مع مجرد النصوص - مع أن القانون لا تحرسه نصوصه ولكن تحرسه القلوب النقية التى تستشعر تقوى الله فيها وخشيته ٠

الناحية العقلية :

العقل طاقة هائلة اذا أحسن الانسان استخدامها استطاع أن ينتج انتاجا ضخما والله سبحانه وتعالى يمن على عباده بالعقل فيقول (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) النحل ٧٨ و نعى على الكفار الذين يلغون عقولهم ويقولون (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) الزخرف ٢٣ ٠

وقد وضع الاسلام المنهج الصحيح للاستدلال العقلى وطلب من عباده أن ينظروا ويتفكروا (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) يونس ١٠١ - ولعل هذا هو السبب الذى جعل العلماء المسلمين ينطبع تفكيرهم بالدقة العلمية المتناهية التى أدهشت علماء الغرب وجعلت عالما مثل جب يقول فى كتابه الاتجاهات الحديثة فى الاسلام « أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة ، وانه عن طريق الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى » ٠

والصوم من الناحية الفكرية يجلو صدأ الذهن فيكون الانسان أقدر على الفهم والادراك والتفكير ولذلك فان العلماء القدامى كانوا

يستفيدون من صيام رمضان في تآليفهم ٠٠ وكان انتاجهم في هـــذا الشهر مضاعفا ـ ولئن كنـــا على غير هـــذا النهج فان السبب يرجع الى أننا لا نسير في صيام رمضان على المنهج الطبيعي بـــل نتبع طريقة ترهق أجسامنا ونفوسنا وماليتنا ٠٠ طريقة هي الى المظهر أقـــرب ، ومـــا أحوجنا الى أن نسير على النظام الذى كان يسير عليه الرســـول الكريم فنستفيد من رمضـــان الفائدة الكاملة ٠

العدالة الاجتماعية :

وصوم رمضان فرصـــة لتربية المسلم عن طريق القدوة حين يقتـــدى الصغير بالكبير وحين يقتدى المسلمون بسلوك النبى الكريم صلوات اللـــه عليه وعن طريق الموعظة الحســـنة عن طريق دراســـة القرآن والحديث وسماع دروس الأذاعة والمحاضرات والمساجد وعن طريق تكوين العـــادة التى يهتم الاسلام بتدريب المسلمين عليها ـ وهكذا يتبين لنـــا أن الصوم في حقيقته عملية تربية للامة الاسلامية وتدريب على احتمال **مشقات الحياة ٠**

وفى رمضـــان عمليات تربية أخرى فيـــه المساواة الكاملة بين المسلمين جميعا لانهم يصومون فى وقت واحـــد ـالكل سواسية فى الصوم ـ تلك المساواة التى يهدف الاسلام الى اظهارها دائما والى تثبيتها فى النفوس حتى لا يكون هنـــاك طغيان ولا كبر ولا استعلاء وحتى يتجلى المقياس الحقيقى الذى يقول الله تعالى فيـــه (ان أكرمكم عند اللـــه أتقاكم) الحجرات ١٣ ـ وصيام رمضان يعطى فرصـــة للتعاطف بين الفقير والغنى ، حيث يحسن الغنى على الفقير لانه شـــعر بقسوة الجوع والاسلام حث على التعاطف فى كل وقت ولكنـــه حث عليـــه فى رمضان أكثر والتاريخ يحدثنا أن النبى عليه السلام كان أجود من الريح المرسلة وكان أجود ما يكون فى رمضان ـ وجعـــل الاسلام من تمام الصـــيام صـــدقة الفطر تقول الدكتوره « لورا فاجليرى » احساس المســـلم بالجوع والمـــه يستثير الشفقة ويحضـــه على الصدقة ويشعره بقيمة ما آتاه من نعم فيتعمق شكره له) « ثم تقول (وهو بادائه لهـــذا

الواجب الدينى يحقق معنى عميقا من معـــانى الانسانية ويوقى شـح نفســـه ويحقق له حينئذ أن يأمل فى الجزاء الاوفى الألهى) ٠

وهذا هو الذى جعل المستشرق « ليبودروس » يقول (لقـــد وجد الاسلام حلا للمشكلتين اللتين تشغلال العالم طرا الاولى : قول القرآن الكريم (انما المؤمنون اخوة) الحجرات ١٠ ــ فهـذا أجمل ما قدم للبشرية والثانية : فرض الزكاة على كل ذى مال) ٠

والصوم يعالج الانسان من بعض الامراض الاجتماعية التى تنخر فى عظـــام الامـــة حتى تستمر الامـة سليمة والا فان الصوم لن ينتج نتيجة ويصبح قاصرا على ترك الطعام والشراب والله سبحانه وتعالى فى غنى عن مثـل هـــذا الصوم يقول الرسول الكريم (من لم يـــدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه) رواه البخارى ومعنى هـذا سمو الصيام عن أن يكون قاصرا على ترك الطعام والشراب ويؤكد هـــذا الحديث الشريف (رب صـــائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) ومعنى هذا أن الصائم لا يكون مثاليا فى صومـه ٠٠ وليس لـه حينئذ ثواب الصيام الكامل ويؤكد هـــذا الحديث الشريف مرة ثالثة بأسلوب القصر حيث يقول (ليس الصيام من الطعام والشراب انما الصيام من اللغو والرفث) ويتـــدرج النبى الكريم فى هـــذه الناحية فيقول (خمس يفطرون الصـــائم الكـذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة) ٠

ويرسم النبى صورة للصائم الذى يحافظ على صـومه رغم مـــا يقابله من اثارة وذلك فى قوله عليـه السلام (اذا أصبح أحدكم يومـا صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ شاتمه أو قاتلة فليقل انى صـــائم انى صائم) ٠

الناحية الجسمية :

ويعنى الاسلام بالجسم حتى يكون قويا فيستطيع المسلم أن ينتج

لنفسه ولامته ووطنــه ولذلك يقول الرسول الكريم (ان لبدنك عليك حقــا) الترمذى ويقول عليه الصلاة والسلام (حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية) رواه البيهقى وكان الرسول عليــه السلام يشجع المصارعة والمسابقة فى الجرى والرمى بالسهام ٠

صيام رمضان من الناحية الجسمية يفيد فى تخليص الجسم من فضلات الطعام التى تراكمت طوال العــام ، وفيــه تقوية للجسم على تحمل صعوبات الحياة وتعويد له على احتمال المشقات حتى يكون الانسان مستعدا للطوارىء التى تحدث له فى كثير من الاحيان ، ومن ناحيــة أخرى فان الامــة الاسلامية لها رسالة تعمل على نشرها فلابد وأن تكون مستعدة لها الاستعداد الكامل ويكون ذلك عن طريق التدريب المستمر ٠

والصوم أيضا ينفى الاخلاط الضارة التى تتراكم على مـر الاعوام ويشفى أمراض الامتلاء ، فالمعدة بيت الـداء ، والجوع لا يعرض الانسان للمرض ولكن الامتلاء المستمر يعرضـه للامراض المختلفة ولذلك فان الاطباء كثيرا ما يوصون المرضى بالصوم حتى يخف مرضهم وتتقــدم صحتهم ٠

والجسم الضعيف لا يمكن صاحبه من العمل وقــد يكون سببا مباشرا فى البعد عن الكفاح المطلوب فيهرب من العمل اخفــاء لضعفه والحيوية الجسمية من طبيعتها أن تبعث فى صاحبها التفاؤل والتحمس للعمل كما أنها تعين صاحبها على احتمال المشاق وهى بعد هــذا كله سبيل الى الرجولة واليقظة الفكرية ومن الحــكم المأثورة فى هــذا المجــال (العقل السليم فى الجسم السليم) ٠

والصوم علاج لكثير من الامراض الباطنية لا سيما أمراض الجهاز الهضمى وهو يعالج الامراض الجلدية وأمراض القلب وضغط الـــدم وغيرها قال تعالى (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) الاعراف ٣١ ٠

ولاهمية الصوم فى حياة أى كائن لم يكن مختصا بالانســان

فالنبات يصوم فترة كل عـــام والحيوان كذلك له فترة صـــوم تسمى فترة البيات الشتوى وهــــذه الفترة لا يتغذى فيها النبات ولا يأكل فيهـا الحيوان رغم توافر الغــذاء ومناسبة كافة الظروف للتغذية .٠. وقـد وصل العلم فى دراسته الى نتيجة ان النبات بعد فترة صيامه يتابع حياته بنمو أسرع وأن الحيوان يخرج من بياته الشتوى أكثر نشاطا وأوفر حركة ٠

ظاهرة التكيف :

ان العلم الحديث قـــد أثبت ظاهرة فى الجسم تسمى ظـــاهرة التكيف ـ فعندما يصاب أى جزء فى الجسم بعطل يسرع باقى الجسم الى التكيف على الظروف الصعبة التى أصبح فيها ـ فيزداد نشـــاط الاجهزة كلهـا بحيث يعوض أى نقص قـد حدث فى الجسم فقد ثبت أن القلب قـــد يتضخم الى أكثر من ثلاثة أضعاف حجمه ليواجــه أزمـــة فى الجسم وانه اذا توقفت كلية عن العمل سارعت الكلية الاخرى الى عمل مضاعف حتى تصـــل الى عمل الكليتين ، ولذلك فان الانســان عندما يجوع تماما فان هـــذا الجوع يحرك كافة الاجهزة الداخلية ويدفعهـــا الى العمل فيكتسب قوة عن طريق عملها السريع القوى وتنعكس هــــذه القوة على الجسم كله ٠

ولا يقتصر التكيف على الاكل والشرب بل ان التكيف يشمل كافة الوظائف العضوية والاجهزة الهضمية أو العصبية أو النفسية ولذلك فان الاشخاص الناقهين من المرض أو الضـــعاف بلا سبب تتحسن أحوالهم عندما يبذلون الجهد لبعض الوقت وهـــو ما ينصح به الاطباء ٠

وفى هـــذه الظاهرة يقول الدكتور « الكسيس كاريل » الحــــائز على جائزة نوبل فى الطب والجراحة فى كتابه « الانسان ذلك المجهول » ما نصـــه (ان كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطـــل وظيفة لعبت دورا عظيما فى بنـــاء الاجناس البشرية وهى وظيفة التكيف على قلة الطعام) ٠ كان الناس فى الزمن الغابر يلتزمون الصوم فى بعض

الاوقات وكانوا اذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك يفرضونه على أنفسهم فرضا بارادتهم · ان كافة الاديان لا تفتــأ تدعو الناس الى وجوب الصـــوم يحدث فى الانسان الحرمان من الطعام فى أول الامر الشعور بالجوع ويحدث أحيانا بعض التهيج العصبى ثم يعقب ذلك الشعور بالضعف بعد أن يحدث ذلك ظواهر خفيـــة أهم من ذلك بكثير فان ســـكر الكبد يتحرك ويتحرك معـــه أيضا الدهن المختزن تحت الجلد وبروتينات العضل والغـــدد وخلايا الكبد وتضحى كافة الاعضاء بمادتها الخاصة للابقاء على كمال الوسط الداخلى وسلامة القلب ·· ان الصوم ينظف ويبدل أنسجتنا وان نمو الحياة الذى استحدثته الحضارة العلمية قـــد عطل عمليات ذاتية وقد ظلت ذاتية النشاط آلاف السنين لدى الكائنـــات البشرية ·

خاتمة :

ورمضان بهذا مدرسة اسلامية كبرى تؤدى واجبها ويظهر أثرها فى تربية المسلم على أكمل الوجوه وأفضلها ومن حق رمضان على المسلم أن يستفيد منـــه الفائدة الكاملة فيقوى ارادته ويتقى اللـــه ويصبح الانسان سويا وتوجـــه الجهود كلها الى البناء ـ وبهذا يحس الصائم بأثر رمضان فى تربية المســـلم الاثر الذى يجعله ينتج ويبنى ويعيش سعيدا فى مجتمع الصائمين السعيد ·

تمهيــد :

الحج الى بيت اللـــه الحرام هـــو الركن الخـــامس من أركان الاسلام ـ وهـــو يرمز الى الوحدة ـ وحـــدة الروح ووحدة الهدف الاعلى لجميع المســـلمين ـ وفيـــه توسيع للافق الثقافى والاجتمـــاع للمجتمع الاســلامى وقد فرضـــه الله تعـالى للقـادرين من المســـلمين بقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه ســـبيلا) آل عمران ٩٧ .

وقـد فرض اللـه تعالى الحج ـ والمسلمون فى جميع بقـــاع الارض يســـتجيبون لهـــذا الامر بـل ويجعلون نصب أعينهم أداء هـــذه الفريضة متحملين فى سبيل ذلك ألوانا من المشقات استجابة لـــداعى الله تعالى ـ وفى كثير من الاحيان لا يكون الحج فرضا عليهم ـ ومع ذلك فهم حريصون عليه أكثر من حرصهم على أى شىء آخر فى هـــذه الحياة ـ وقـد تنبه الى ذلك بادل شميز صاحب كتاب : الاســـلام قوة الغـــد العالمية فقال (ان كل مسلم يتمنى أن تتيح له الظروف تحقيق هـــذا الامل ـ بل ان الحنين المملوء بالمشاعر الفياضة يستولى على أعـــداد لا حصر لها من المسلمين لتأدية هـــذه الفريضة ـ فلا يهـــدأ للمسلم بال ولا يرتاح له ضمير الا اذا قام بزيارة هـــذا البلد الحرام ـ مكة ـ وهـــذا الحنين الى مكة والتدافع اليها ينســـاب اليه الانسان المسلم تحت تأثير نداء داخلى ـ ويضحى فى سبيل الوصول الى اجابة هـــذا النـــداء بتضحيات جمة مالية وبدنية وغيرها ـ وهـــذه الظاهرة موجودة لدى جميع مستويات الشعب ـ وهى دليل على حرية الاســلام وقدرته على تحريك أتباعه ـ ودليل على وحـــدة الروح التى تسرى فى العالم الاسلامى الذى يعيش فيـه مختلف الاجناس دون أن يكون هناك صراع بسبب اللون أو النسب فتمسك وحدته برباط متين وتمـــده بالحياة ليصارع آفاق الفنـــاء التى تحوم حوله ـ فالحج تجمع قـــد

انصهر فيه الاجناس والالوان واللغات وذابت فيه العصبيات — وبهذا كان الاسلام يواجه تحديات خصومه .

الحج مؤتمر اسلامى :

الحج مؤتمر جامع للمسلمين — يجدون فيه أصلهم العريق الذى يظهر فى قوله تعالى (ملة أبيكم ابراهيم) الحج ٧٨ — فابراهيم أبوهم الذى سماهم المسلمين — من قبل — العقيدة واحدة تتوارى فى ظلها جميع الفوارق المعروفة فى العالم — فوارق الاجناس — وفوارق الالوان وفوارق الاوطان .

والحج مؤتمر للتعاون والتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتنفيذه — ثم توحيد النفوس وتبادل المنافع المتنوعة فى جميع المجالات فى السلع وفى المعارف وفى التجارب المختلفة بل فى تنظيم العالم الاسلامى تنظيما يكفل له السير السليم فى ظل تعاليم الاسلام وفى ظل الطاعات — وفى ظل الذكريات .. وذلك كله فى أنسب مكان .. وقد تنبه الى خطورة الحج فى جمع المسلمين وفى توحيد كلمتهم ووقوفهم أمام أعدائهم ... فقال (لن يهدأ بال الاوربيين ما دام للمسلمين أربعة : المصحف والازهر واجتماع الجمعة ووفد الله لحرمه) ويضع الخطة فى القضاء على المسلمين فيقول (متى توارى القرآن ومكة من أفق العربى فان العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها الا محمد وكتابه) وهو يقصد الحضارة الاوربية المادية التى تجعل من المسلم الذى يتخذها نبراسا له — تابعا للغرب فى أفكاره وفى قيمه وفى سلوكه وحينئذ يمكن استغلاله بالصورة التى يريدونها — ولكنهم يجدون العقبة فى القرآن الكريم وفى مكة موطن التقديس من المسلم — كما تنبهت الى ذلك الدكتورة لورا فاجليرى فى كتابها تفسير الاسلام فقالت (كل مسلم ملزم بالحج الى مكة مرة فى عمره على الاقل اذا تحققت فيه شروط معينة — والقوى العميقة الكامنة فى هذا الامر ذاته طبيعية يصعب فى العادة على العقل البشرى فهمها — ومع ذلك فالذى يمكن فهمه بسهولة من طبيعة تكشف عن حكمة كاملة — فلا

أحـــد يستطيع انكار الفائدة التى يحققها الاسلام من خــــلال التجديد السنوى لوحدة المسلمين فى مكان واحد يأتونه من كل بقــاع العالم عرب وفرس وأفغان وهنود ومن الملايو والمغرب والسودان وغير ذلك ٠٠ متجهين الى المعبد المقدس ابتغاء مغفرة من ربهم الرحيم ومنشئين فى الوقت نفسـه روابط جديدة من الحب والاخوة أثناء اجتماعهم لمثـل هـــذا الغرض)

والحج الى جانب هـــذا موسم تجارة فأصحاب السلع يجــــدون فيـه سوقا رائجة حيث تجيء الى البلد الحرام ثمرات كل شيء من شتى البلاد ــ حيث يتجمع الحجاج من كل فج عميق فى موسم واحـــد ــ فهو موسم تجارة تقــام فيه سوق عالمية فى كل عــام ــ وبهذا تكون التجارة من المنافع التى يشهدها الحجاج ٠

التربية بالذكريات الخالدة :

الحج موسـم عبـادة تصفو فيـه الأرواح وهى تستشعر قربها من الله تعالى فى بيته الحرام ــ ففى هـــذه البقاع المقدسة يستروح المسلم طيف ابراهيم الخليل أبينا الاكبر الذى سمانا المسلمين من قبل ــ وله عليه السلام سلوكه الواضح الذى يتجه به الى اللــه تعالى اتجاها كاملا اذ قال له ربه أســلم فقال على الفور (أسلمت للـه رب العالمين) البقرة ١٣١ ــ ولم يكتف بهـذا ــ بـل وصى بهـا بنيـــه اسماعيل واسحاق ويعقوب وقال لهم (يا بنى أن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون) البقرة ١٣٢ ٠٠ وفى البقاع المقدسة يستروح المسلم طيف اسماعيل عليه السلام وأمــه هاجر ــ امتثالا لأمر اللـه تعــالى ويتوجه بقلبه الخائف الى ربه هاتفا (ربنا أنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنــا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئــدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ابراهيم ٣٧

كما يستروح المسلم فى حجــه طيف السيدة هاجر وهى تتعجب

من أن يتركها زوجهـــا ابراهيم مع ابنها اسماعيل فى هـــذا المكان القاحل ـ وتسأل زوجهـــا ابراهيم عن السبب ـ وحين يسكت تسأله : الله أمرك بهـــذا ؟ وحين يقول : نعم تطمئن الى اللـــه تعالى وتقول فى لهجة الواثق المطمئن : اذن لا يضيعنا ٠٠ كما يستروح المسلم فى حجـــه طيف السيدة هاجر ـ وهى تبحث عن المـــاء لنفسها ولطفلها الرضيع فى تلك الصحراء الملتهبة حـــول البيت ـ ثم وهى تهرول بين الصفا والمروة ـ وقـــد نهكها العطش وأضناها الاشـــفاق على طفلهـا الرضيع ثم ترجع فى الجولة الســـابعة وهى فى ألم واشـفاق من عدم وجود المـــاء لتجد النبع يتدفق بين يـــدى الرضيع ٠٠ واذا هى زمزم ينبوع الرحمة فى هذه الصحراء القاحلة المجدبة ومع هذا فهى واثقة منـــذ البداية بأن الله لا يضـيعها ـ كمـــا يستروح الحاج طيف ابراهيم وهـو يرى الرؤيا فلا يتردد فى التضحية بفلذة كبده امتثـــالا لامر الله تعالى ـ وطيف اسماعيل وهـــو يقدم نفسه طـــائعا مختارا لينفذ أبوه أمر الله تعالى (قال يا بنى انى أرى فى المنـــام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعـــل ما تؤمر ستجدنى ان شـــاء الله من الصابرين) الصافات ١٠٢ ٠٠٠ وهـــل بعد هـذا يمتحن الانسان بأى بلاء ؟ وحقـــا ما يقوله القرآن الكريم (ان هـــذا لهو البـــلاء المبين) الصافات ١٠٦ ـ وقـــد تحللا من وسوسـة الشيطان بأن ألقيا فى وجهه بحصى الارض حتى لا يعود الى ذلك مرة أخرى ـ ثـم طيف الملك وهـــو يأتى بالفداء لاسماعيل تكريما له ولابيه ابراهيم وللآدمية كلها (وفديناه بذبح عظيم) الصافات ١٠٧ ويدرك الحاج أن الاسلام ـ بذلك ـ قضى على جميع الاساطير التى كانت سائدة فى الملل والنحل التى كان معتنقوها يعتقدون أن الالـــه يفيد مما يقـــــدم اليه من الضحايا ـ وجعل الاضحية مجرد مظهر من مظاهر تقـــوى الله وامتثال أوامره (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) الحج ٣٧ ٠

ويتذكر الحاج موقف ابراهيم واسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت فى خشوع ويهتفان (ربنا تقبل منـا انك أنت السميع العليم) البقرة ١٢٧ ـ كمـــا يتذكر موقف النبى صلوات اللـــه عليه وهـــو

يرفع الحجر الاسود ليطفيء فتنة كادت تؤدى بأهـــل مكة ـ ثم وهـو يصلى فى البيت الحرام فى حالات مختلفة ٠٠٠ ثم وهـو يطوف بالبيت الحرام ثم وهـو يفتح مكة ويؤمن جميع من فيها ـ ثم يعلن حبـــه لبلده الذى تربى فيـــه ويقول (والله انك لاحب بلاد الله الى الله وأحب بلاد الله الى ولولا ان قومك اخرجونى ما خرجت) وهو بذلك يرسم صورة لحب الوطن الذى لايتنافى مع العقيدة التى يضحى الانســــــان فى سبيلها بكل شيء ٠

وهذه المعانى تنبهت الى بعضها الدكتورة لورا فاجليرى فقالت فى كتابها تفسير الاسلام ٠٠ (ولمرة واحدة فى حياة المسلم على الاقل تختفى كل الفروق بين الغنى وبين الفقير وبين السائل والآمر ـ ففى خلال أداء مناســـك الحج يلبس كل فرد نفس الملابس المتناهية فى بساطتها ويترك كل متاعه خلفه ويردد الكل نفس النداء (الله أكبر) ويحيى الطقوس التى يتعين على الحجاج القيام بها مثل الطواف ببيت الله الحرام والاجتماع قرب عرفات والتضحية عند منى تحيى فى نفوسهم ذكرى الانبياء العظـــام أو آباء الماضى الذين كانوا فى نفس المكان ٠٠ وتعيد الى الحياة اعمال ابراهيم مؤسس الدين وابنـــه اسماعيل وزوجه هاجر ـ وتثير فى نفس الحاج الرغبـــة فى تقليدهم فى حب اللـــه وخضوعهم له) ٠

وفى هـذا المكان الطاهر يتذكر الحاج ان البيت أقيم للتوحيد من أول لحظة عرف الله مكانه لابراهيم (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا) الحج ٢٦ ـ وقـــد أمره اللـه أن يطهره من كل شيء لهدف محدود (وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) الحج ٢٦ ـ وبهـذا يأخذ المســـلم الحاج درســـا رائعا فى اســـلام الوجـه كاملا لله رب العالمين ـ فيكون هـــذا ركيزة للتربية الاسلامية الحقـــة التى تجعله يتمكن من تحقيق رسالته فى هـــذه الحياة باعتباره خليفـة لله فى أرضـــه يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل بين الناس جميعا ٠٠٠

تعظيم حرمات الله :

فى هـــذه البقاع المقدسة يطمئن المسلم الى اللـــه تعالى اطمئنانا كاملا ـ ويتجه اليه اتجاها رائعا يعظم حرماته فيكون فى ذلك الخير كل الخير له عند ربه لانه يتحرج من المســاس بهـا والضمير الذى يتحرج هـــو الضمير الذى يتطهر ـ والحياة التى تراعى فيها حرمات الله هى الحياة التى يأمن فيها البشر على أنفسهم من البغى والاعتداء ويجدون فيه أمنهم وسلامتهم واطمئنانهم فى هذه الاماكن المقدسة ٠

وحين يتم الله على حجاج بيته نعمة التوفيق لاداء ركن الحج ـ فيفيضون فيـــه من عرفات يذكروا الله عند المشعر الحرام حامدين له ما هداهم اليه ـ وحينئذ يتذوقون حذوة الطاعة ولذة القرب وأمل القبول ـ حينئذ يتصدون الى رمز الضلال ـ رمز الشـــيطان ليرجموه شفاء غليل من يضـــل السبيل وان الناظر الى انفعال الرامين وحركات الراجمين الذين جاءوا من كل فج عميق ليدرك الثأر الذى بينهم وبين الشيطان حتى ان بعضهم ليتخيل الرمز حقيقة فيرمى الرمز بشىء غير مشروع ـ ويظل بعد أداء النسك فى ســعادة غامرة لانه نفس عن نفسه بعض ما فيها من بغض دفين ٠ وذلك كله من لعنـــة الله تعالى على ابليس الى يوم الدين ـ ذلك لانه ـ لعنه الله ـ تحـــدى رب العزة ورفض السجود لآدم ونصب نفسه لاغواء آدم وذريته الى يوم الدين ـ ونبه رب العزة بنى آدم الى ذلك فقال (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) الاعراف ٢٧ ومن هنـــا كان رجم الرمز ومن هنـــا كان انفعال الرامين هـــذا الانفعال الذى لا نظير له فى هـــذه الحياة ٠

والاسلام حين جعل الاحرام من المواقيت ليشعر الناس بأنها دخلت فى حمى الله واقبلت على مكان غير عادى ـ فلابد وأن تخرج ممـــا اعتادته استحضارا للقداسة ـ وفى هـــذه الفترة يدخل الحاج فى سلام مع الوجود كله ـ فمن دخل هـــذه المنطقة أصبح فى حمى الله تعالى وكان آمنـــا على نفسه وماله وعرضـــه والحيوان والطير أيضـا

يشتركان فى هـــذا الامن (ومن دخله كان آمنا) آل عمران ٩٧ ـ وفى هذه الفترة يدخـــل الحاج أيضـــا فى سلام مع نفسه التى رضيت أن تمتنع عن كثير مما أحـــــل الله لغير المحرم فلا شهوة له فى زينة ولا فى طيب ـ ولا لغو ولا رفث ولا فسوق فى الحج مـــع أحد من الناس وهـــو بهذا يكون قد أدى النسك بالاسلوب الذى رسـمه الاسلام . وهو بذلك يستحق الثواب الجزيل يقول الرســـول صلوات الله عليه (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

والحاج يتجرد مما اعتاد من ثياب تشخص حالته وتنم عن تمييزه فلا أناقة ولا تكلف زى ـ مستبدلا بذلك كله لباسا غير مخيط ـ حتى يكون عبدا فى ركاب عبيد مندمجا مع الخلق حين يقبلون على الحق سبحانه وتعالى ـ وذلك كله استجابة للنداء الالهى ـ ثم هـــو فى سلام أيضا مع الناس فلا جدال ـ وفى سلام مع الحيوان فلا يرميه ولا يذبحه.

الاخـــاء الانسانى :

الاخاء الانسانى يزيد فى محبة الناس بعضهم بعضـــا ـ ويعطيهم الأمـل والطمأنينة والراحـــة النفسية وفى الاسلام لا يقف الاخـــاء عند حدود وطن أو جنس أو لون ـ بـــل هـــو لا يعرف حدودا أبدا .. من هنـــا كان الحج وسيلة لتعارف الناس الذين يأتون من جميـــع أنحاء العالم فيزداد بعضهم لبعض محبـــة فى الله ولتزيدهم محبتهم هـــذه ايمانا بالله ـ فأن وسيلة ذلك أن يجتمعوا من أطراف الارض فى صـــــعيد واحد وخير مكان يجتمعون فيه انما هو ذلك المكان الذى انبثق فيه نور المحبة ـ بيت الله تعالى بمكة ويجب أن تكون حيـاة المؤمنين ـ اذ يجتمعون فيـــه ويؤدون شعائرهم مثلا ساميا للايمان الخالص القصد فى التوجـه الى الله ـ يقـول العقـاد فى كتـابه (حقائق الاسلام وأباطيل خصومه) (اذا كان الاسلام دينا يدعو الناس كافة الى عبادة الله رب العالمين ـ فالحج هـــو الفريضة التى تتمثل فيهـــا الاخوة الانسانية على تباعد الديار واختلاف الشعوب والاجناس ـ وهى فى اصطلاح العرف الشامل بين الناس بمثابة صلة الرحم ـ وتبادل

الزيارة بين أبناء الاسرة الواحدة يجمعها الملتقى فى المكان الذى حددت معـــه الدعوة اليها ـ هو أجدر مكان فى بقاع الارض ان يتم فيـــه هـذا اللقـــاء ٠

فى هـــذا الصعيد تسقط كل الفوارق ويشعر الحجاج أنهم جميعا أمام الله سواء فيتوجهون بقلوبهم مستجيبين لدعوته مؤمنين بوحدانيته شاكرين لنعمته ـ فى هذا الصعيد العظيم تجدهم متساوين لا تعزلهم بيوت ولا تفرقهم مساكن مع الزحام الشديد ـ فى سلام ـ نشـــيده الرائع ـ لبيك اللهم لبيك ـ فى وحـــدة الزى منظر ما أروعه للناظرين ـ وهم مع تنوع الدعاء على كلمة سواء ٠٠٠ حسبهم أن ينظر اليهم ربهم ـ وليس فى قلوبهم ولا على ألسنتهم سواه ٠٠٠ والله الكريم ـ لا يضن عليهم باجابة الدعاء وتحقيق الرجاء ٠

وقد تنبه الى ذلك بادل شمنز الذى قال فى كتابه الاسلام قـــوة الغد العالمية (هنـــا فى مكة يجتمع المسلمون من كل أرجاء العالم ـ ومرة فى السنة أثناء الحـج الاكبر ـ يلتقون بعضهم مع بعض ـ بعد أن يطرحوا عنهم كل أثر أجنبى خارج المنطقة الحرام المضروبة حـــول مكة ينسون قومياتهم وأوطانهم ويتذكرون فقط حقيقة واحدة ـ انهم أخـوة فى الله تعالى ـ تجمعهم حقيقة واحدة وكتاب واحـــد ليس للفوارق الاقليمية مكان بينهم ـ وهـــم يد على من سواهم ـ فمكة هى المحـــل الذى يشعل العاطفة الدينية فى المسلمين ويبعث فيهم روح تعاليـــم دينهم المقدس ـ القرآن ـ وهى مركز الاشعاع الروحى والفكرى حوله تحوم افكارهم ـ ثم تنبعث قوة محركة لكل الطاقات فى أرجـــــاء العالم الاسلامى ـ وليس من السهل على غير المسلم أن يتفهم هـــذه الخاصية الفريدة من نوعها فى العالم ـ رغم أنهـا موجودة ـ مشاهدة فى كل جوانب الحياة ـ فينبعث الوعى والادراك بوحدة المصير فى العالم الذى يعيش فيه أكثر من مليون نسمة) ٠

خاتمـــة :

أمام نور هــذا الايمان يدرك الحاج ما فى الوجود من حق وخير وجمال ــ وما يجرى عليه الكون من سنن الله الخالدة وتنقشع أمامه أوهام الحياة ــ وبذلك يدرك أن ما يهتم بــه الناس ويعطونه قيمــــا ان هو الا باطل ٠٠ فالمـال ليس قيمة اسلامية ــ والحسب ليس قيمة اسلامية والوظيفة ليست قيمة اسلامية لكن القيمة الاسلامية تكمن فى التقوى (ان أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات ١٣ ٠٠ تكمن فى اسلامهم الوجـــه لله رب العالمين ٠٠٠ وهـــذا كله يدركه الحاج فى هــــذه الرحلة الروحية ٠٠ وهو الطريق الذى ضلت عنــــه البشرية كلها كما ضلت عنه المدنية الحديثة التى تدعى أنها بلغت الكمال المطلق

وبهذا يكون الحج قـــد أدى مهمته فى تربية المسلم التربية الكاملة التى تجعله يؤدى رسالته فى هــــذه الحياة اذا ما وعى الدرس كاملا ٠

الانسان فى ميزان التربية الاسلامية

تمهيـــد :

ما الانسان ؟ هـــل هـــو كائن مستقل عن مخلوقات اللـــــه على وجـــه الارض أم أنه خلقه فى سلم التطور وصـــل اليها بعـــد أجيال وأجيال كما تقول بذلك نظرية التطور ؟ وبذلك لا يتميز عن الحيوانات الاخرى الا ببعض الصفات التى اكتسبها خلال تطوره ٠

لقد تخبط العلم الغربى فى هـــذه النواحى ـ واتجـه عن طريقها اتجاهات مختلفة ولكنها فى مجموعها تعنى بالناحية المادية وحدهـــا لان الانسان مادة ـ وقامت فلسفات التربية على هـــذا الاساس ـ وقامت التشريعات القانونية على هـــذا الاساس وفهمت الحرية على هـــذا الأساس ٠٠ ونظرنا الى النتيجة فاذا بكل فرد يحاول أن يجمع المـال على قدر استطاعته غير مبـــال بالآخرين وأن يتمتع بقوته الجسمية وقوته المـالية وجاهه بلا حدود ـ وكان لا بد وان يحصل تصـــادم بين الافراد وبين الجماعات وتصادم بين الدول ـ كل يأخـذ لنفسه وكل يشبع نهمه فيصطدم الفرد بالفرد ويصطدم الفرد بالجماعة ـ كما تصطدم الجماعة بالفرد ـ وكما تصطدم الجماعة بالجماعة وكما تصطدم الدولة بالدولة وهـــكذا ٠٠ وبذلك فقد الفرد أمنـه وفقـدت الجماعات طمأنينتها وفقدت الـــدول استقرارها ، انتشرت الامراض الجسمية والنفسية والعصبية والعقلية ٠٠ وفقد الفرد سعادته ـ كما فقدت الجماعة سعادتها ـ وأصبح الجميع فى ضياع تام ٠

لكن الاسلام يبعث فى النفس المسلمة العزة والكرامة وذلك حين يحس الانسان المســـــلم بأن الله خلقه متميزا على سائر المخلوقات ونفخ فيـــه من روحــه وجعله خليفة له فى الارض يحمل رسالة السماء وجعل الملائكة تسجد له وفضله على كثير من مخلوقاته ، وسخر له ما فى

السموات وما فى الارض فالاسلام لذلك يبعث فى نفس المسلم العزة من غير كبر وروح الثقة فى غير غرور ، ويشعر المسلمين بالتبعة الانسانية الملقاة على كواهلهم فهم — من وجهة نظر الاسلام — أوصياء على هذه البشرية الحائرة وعليهم هدايتها الى دين الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) البقرة ١٤٣ .

ولقد بدأ الغرب يفيق من غفلته ويحس بأن الاراء التى كان يعتنقها غير صحيحة فى نتائج الدراسات العلمية الحديثة ، ولعله فى المستقبل القريب يسير فى الخط الصحيح حتى ينقذ نفسه من المتاعب التى يلاقيها — ومن نتائج الابحاث الحديثة التى غيرت مفاهيم الغربيين عن الانسان وجعلتهم ينظرون اليه على أنه كائن متميز من مخلوقات الله تعالى — بعض المقالات التى نشرت والبحوث التى ألقيت فى هذا الموضوع .

فقد ألقى البروفيسور « جورج شناينز » أستاذ الكيمياء الحيوية فى جامعة بيل الامريكية بحثا له فى أحد المؤتمرات عام ١٩٦٩ واستخدم فيه مصطلح سيسيو بيولوجى (علوم الاحياء الاجتماعى) وهو محاولة لدمج العلوم الاجتماعية بعلم الاحياء قال فيه (وقد بدأ العلم الجديد الذى حوله باحثون آخرون الى نظرية جديدة لتفسير الوجود الاجتماعى والبيولوجى للانسان يهدف الى ترسيخ حقيقة أكدتها الاديان السماوية — وهى أن الانسان متميز عن الكائنات الحية جميعها — قد يشترك معها فى بعض الصفات الفسيولوجية ولكنه يختلف عنها — ويتميز وحده بصفات أساسية بيولوجية ثم بالعقل وبالقدرة على صنع الادوات لاهداف محددة ، واختراع اللغة واستخدامها وبالتنظيم الاجتماعى .

حول الطبيعة البشرية :

فى عام ١٩٧٨ اصدر ادوارد نلسون أحد مؤسسى العلم

الجديد والاستاذ بجامعة بيركلى ثم هاروفارد كتابا بعنوان (حــــول الطبيعة البشرية) يقول فيه عن علماء البيولوجيا : ان علماء القرن الماضى كانوا يعتقدون بأن الانسان لا يتميز عن بقية الثدييات بيولوجيا الا ببعض الصفات الفسيولوجية التى اكتسبها من خـــــلال تطوره وارتقائه ـ كانتصاب القامة ، وتطور تركيب الاطراف الامامية ، واتساع فراغ الجمجمة الذى بدأ يسمح بنمو ومقدرة المخ ٠٠٠٠

وجاء علم القرن العشرين لكى يكتشف أن الانســــان نوع متميز منـــذ بدء الخليقة ، وان امتيازه واضح فى خلاياه التى تتضمن صفات خاصة به وحــــده ينقلها الى أبنائه وأجياله ـ وتتطور هــذه الخلايا حاملة خصائصه الوراثية (الجينات) تطورا خاصـــا رغم تأثره بما يكتسبه الانسان من معلومات وقدرات جديدة فى صراعه ضد الطبيعة ٠

وقال الكاتب عن علماء الاجتماع الوضعيين والتاريخيين كالماركسيين انهم يعتقدون بأن الانســــان توقف غالبـــا عن التطور البيولـــوجى والفسيولوجى ـ وان تطوره انتقل الى جهـاز المخ والجهاز العصبى نتيجة دخوله فى مرحلة تكوين المجتمعات : أى ان تاريخ الانســان أصـــبح تاريخا اجتماعيا فقط وليس تاريخا بيولوجيا ـ وان مخ الانســــان وقدرته العصبية وحدها هى التى تتغير مع مكتسبات العلوم والتكنولوجيا وأدوات الانتاج وأساليبها ـ ومع تسليمهم بانه ليس للانسان أى تميز بيولوجيا يفصله عن عالم الثدييــــات الحيوانى الا ببعض الصـفات الفسيولوجية تتجسد فى بعض المهارات التى تمارسها أعضاؤه ، والتناسق المتطور لجهازه العصبى ومركزه فى المخ ٠

وجاء العلم الجديد لكى يكتشف أن الانسان له صفات خاصـــه ثابتة ـ لا يلحقها أى تغير لانها صفات تحمل خلاياه الوراثية كأنهـــا بصمات أصابع شخص واحد لا تتغير طـــوال عمره ـ وأن المكتشفات الجديدة تضاف الى تلك الصفات الثابتة ولا تمحوها ٠

وقال الكاتب عن علماء الانثروبولوجى : ان أصحاب هــذا العلم

الجديد نسبيا كانوا يحاولون تفسير الوجـود الاجتماعى والتاريخى للانسان عن طريق تركيبـــه نظرية تجمع بين علماء الآثار وتاريـــخ التكنولوجيا وتاريخ العلم وتاريخ العقائد والفنون يربط بينهما تصـور فسيولوجى اجتماعى ـ وأنهم كانوا يفسرون التغيرات والاختلافات التى شهدها تاريخ البشرية على أساس تبادل التأثير بين تطـور استخدام الانسان لاعضائه ومهاراته ومعارفه بين التحولات الاجتماعية المختلفة صغيرة أو كبيرة فكانوا قادرين على الاحساس بالتمايزات بين الثقافات المختلفة ـ ولكنهم لم يضعوا فى اعتبارهم الخصائص الواحدة التى تكررت فى كل أنواع السلوك البشرى واللغات والثقافات ولدى كل الامم والحضارات والتى تكاد تكون من السمات التى يتميز بهـا النـوع الانسانى ـ ويظل يتميز بهـا أفرادا أو جماعات وأمما لـكى تفصله بشكل عام عن عالم الحيوان ـ وتنتج له الوضع المناسب للخروج من سجن الطبيعة وحدودها الى رحاب الحرية التى انتزعها اعتمادا على هذه الصفات الخاصـــة بـه وحده والتى تشترك فيها كل فصائله وأنواعه ـ أى كل الامم والحضارات والقوميات ويقول ويلسون (ان نظرية التطور الداروينية ـ نسـبة الى دارون ـ من أكثر علـوم القرن الماضى تأثرا بالنظرية الجديدة ـ أى أنها على ضوء هـذه النظرية لم تعد قادرة على تفسير سلوك الافراد رغم احتمال صلاحيتها لتفسير جانب من سلوك الجنس البشرى ككل ـ فالقول بأن صراع البقـاء يؤدى الى بقـــاء الاصلح قـد ينطبق على الاجناس بوجه عام ـ ولكنـه على المستوى الفردى كان يقضى بأن تختفى تماما القيم الاخلاقية التى يقوم عليها جزء من أسس أى مجتمع ـلكن الانسان المسلم متميز على غيره من بنى الانسان بأنه غير متورط فى عالم المادية التى تظهر فى سلوك طبقـة الاثراء التجارى البرجوازى أو فى سـلوك الماركسية التى تسجن الانسان الفرد من أجل المجتمع لان دينه يعنى بالفرد كما يعنى بالمجتمع ـ يعنى بالمـادة كما يعنى بالروح كما يقول الدكتور رشدى فكار ـ فالتوازن أساس اسلامى يسير المسلم على نهجـه وفى الاطار الذى رسـمه له خالق الانسانية .

فالانسان ـ فى العصر الحديث ـ أصبح معلوما من جوانبـــه

الاقتصادية والعضوية والانثروبولوجية من ذوى الاختصاصات فى هذه العلوم ٠٠ ومع ذلك فانسان هـــذه الحضارة تورط فى الماديات تورطا لا يسوغ له القيام بمهمة تخليص الأنسانية من ورطتها المادية ٠

ونحن نلاحظ أنه يوجد على وجــه الارض عشرات الملايين من أبناء الانسانية المتخلفة ولكنها ـ بحكم تخلفها ـ متحررة من ربقــة المادية ٠

والانسان فى المدينة الغربية الحديثة يقـــاس بالاجهزة الحديثة ومتوسط الدخل السنوى ـ وقد أصبح مملوكا للمادة مبهورا بها ـ مفتونا بالمـــال الى حـــد العبودية ـ وفى الشرق ـ حديثا ـ عشق الناس المـال وسخروه لشهواتهم ـ ولذلك فقد قست قلوبهم لانهم لم يلتزموا بما أمر به الله تعالى فشقى الغرب ويسير الشرق فى طريق الشقاء الا اذا رجع الى طريق الحق وعاد الجميع الى ايجاد التوازن المفقود بوضع أسس حضارة جديدة فى احدى كفتى التاريخ ـ حضـــارة ترفع الانسان المتخلف للمستوى الاجتماعى الذى يتمتع بـــه انسان حضارة هـــذه الاشياء اليوم ـ وترفع حضارة المادية الى المستوى الاخـــلاقى الدينى الذى تفتقده الانسانية فى وجودها ٠

ولكى يعالج المسلم المرض العالمى من الزاوية التى تنقصـــه فيجب أن يقدم لهـذا المريض ما يشفيه من فقره الروحى ولذلك المريض ما يشفيه من التدهور الأجتماعى ـ فالاسلام يرى ان المـــال وسيلة لا غاية ـ وصاحب المال له قيمة بمقدار ما ينفق ويتبرع فى أوجـــه الخير لا بما يكنز أو يستغل أى نوع من أنواع الاستغلال ـ وهنـاك أمور أسمى من المال ولها أثرها فى تحقيق السعادة للفرد والمجتمع كالعقيدة والاخلاق والعلم والشعور بالمسئولية وتحقيق انسانية الانسان ٠

ولابد من الاهتمام بالفضائل والاخلاق والاعمال الصالحة بالنسبة للفرد مع ربـــه ومع نفسه ومع مجتمعه ـ وبالنسبة للمجتمع مع خالقـه ومع أفراده ومع المجتمعات الاخرى ـ وما ذكر الايمان فى القرآن الا وذكر معـــه العمل الصالح ـ والعمل الصالح يشمل كل شيء فى هـــذه

الحياة يساعد المسلم على تحقيق رسالته سلبا أو ايجابا مع النفس أو مع الأفراد أو مع المجتمعات ــ بل ان الايمان يغيب عن الانســـان حينما يرتكب رذيلة وفي الحديث الشريف (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر شاربها وهو مؤمن) البخاري ٠

الانسان في نظر الاسلام :

الانسان في نظر الاسلام مخلوق متميز ــ خلقه من تراب ونفخ فيه من روحـــه وطلب من الملائكة أن يسجدوا له ، وعلمه الاسماء كلهـــا ولم يعلمها للملائكة ــ ووكل اليه خلافته في الارض يقوم بعمارتها ويحقق العدل فيها ــ وجعله قريبا منـــه يجيبه اذا دعاه وينصره اذا استنصره ويوضح الحديث القدسي الذي رواه البخاري مقدار اهتمام خالق الانسان بالانسان وذلك حين يقول (انا عند ظن عبدي بي وأنا معـــه اذا ذكرني ــ اذا ذكرني في نفســـه ذكرته في نفسي ــ واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منـــه وأن تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ــ وان تقـــرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ــ وان أتاني يمشي أتيته هرولة) هـــكذا يكون الانسان قريبا من خالقه يعامله بالرعاية والتدليل ــ وذلك حين يتجه الانسان اليه ــ وفي حديث آخر يخاطب رب العزة الانســـان فيبين له من هـــو ويوجهه الى التوجيهات التي تفيده في حياته وذلك حين يقول (ابن آدم خلقتك لنفسي وخلقت كل شيء لك ــ فبحقي عليك لا تشتغل بما خلقته لك عما خلقتك له ابن آدم خلقتك لنفسي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب ــ ابن آدم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتني فاتك كل شيء وأنا أحب اليك من كل شيء) ٠

والموت في الاسلام ليس نهاية الانسان بل انه محطة انتقال الى الابد الذي لا نهاية له الى دار الخلود الى حيث يقـــــال للمؤمنين (ســـلام عليكم طبتم فادخلوهـــــا خالدين) الزمـــر ٧٣ ــ ويرون ما هـــم فيـــه من نعيـــــم وتكـــريم فيقولون (الحمد لله الذي صـــــدقنا وعـــده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) الزمر ٧٤ ــ فالانسان في الاســـلام مزدوج الطبيعة ــ وهو لذلك متوازن لان الاسلام يتعامل مع النفس البشريـــة بضعفها وقوتها فلا تطغى ناحية على أخرى ــ والوجود الذي يقوم نظـام

الحياة فيه يقوم على أساس الحياة الشامل لانه من صانع الوجود والانسان .

والمسلم يتميز على غيره من بنى البشر لانه يحمل رسالة سامية هى تحقيق خلافة الله فى الارض وهذا التميز يأخذ طابع الشكل كما يأخذ طابع المضمون .

التميز فى الشكل :

يتميز الانسان المسلم بالرجولة والخشونة ومن هنا فان الاسلام يحرم كل ما يحد من هذه الرجولة أو يؤثر عليها ـ ومن ذلك أنه حرم على الرجال الاشياء التى تتحلى بها النساء كالذهب والحرير ذلك لان الاسلام دين الجهاد والقوة وهو لذلك يريد أن يصون رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال ولذلك فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس المعصفر يروى مسلم عن على رضى الله عنه قال (نهانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التختم بالذهب وعن لبس القسى « نوع من الحرير » وعن لباس المعصفر) وعن ابن عمر قال : رأى رسول الله عليه السلام على ثوبين معصفرين فقال (ان هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) رواه مسلم وقد روى الشيخان عن عمر رضى الله عنه قال : لا تلبسوا الحرير فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة) ورأى النبى صلوات الله عليه خاتما من ذهب فى يد رجل فنزعه وطرحه وقال (يعمد أحدكم الى جمرة من نار فيحملها فى يده فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله عليه السلام خذ خاتمك فانتفع به قال : لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم) البخارى ويروى ابن ماجة عن على رضى الله عنه أن رسول الله عليه السلام أخذ حريرا فحمله فى يمينه وأخذ ذهبا فحمله فى شماله ثم قال (ان هذين حرام على ذكور أمتى حل لاناثهم) واخرج مسلم فى صحيحه عن أبى عثمان قال كتب الينا عمر ونحن باذربيجان : يا عتبة بن فرقد انه ليس من كدك ولا من كد

أبيك ولا من كد أمك فاشبع المسلمين في رحالهم مما تشبع منـــه في رحلك واياكم والتنعم وزى أهـــل الشرك ولبوس الحرير) وكما يحافظ الاسلام على رجولة الرجـــل يحافظ على أنوثة الانثى حتى يتفرغ كل نوع منهما لرسالته ــ وحتى يبقى لكل نوع منهما خصائصه التي يستطيع بها ذلك ــ وهو يحرم على أى نوع منهما أن يتشبه بالآخر لان في ذلك افسادا للمجتمع الاسلامى يقول الرسول عليه السلام (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) والتشبه يكون في الكلام وفي الحركة وفي المشى وفي الملبس ــ وقـــد روى الطبراني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ممن لعنوا في الدنيا وأمنت الملائكة على لعنهم رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء ــ وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال) كما روى أبو داوود عن أبى هريرة قال (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسه المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجـــل) وروى البخارى عن ابن عباس قال (لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) .

والى جانب هـــذا فان الاسلام يحارب الترف الذى يهدد الامم بهلاكها ــ والترف مظهر للظلم الاجتماعى وفيه يقول الله تعالى (واذا اردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا الاسراء ١٦ ــ ولذلك فقد نهى رسول الله صـــلى الله عليه وسلم عن استعمال آنية الذهب والفضـــة لانهما من الرصيد العالمى للنقـــد فلا ينبغى استخدامها الا في الحدود المرسومة لهما قال عليه السلام (ان الذى يأكل ويشرب في آنية الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم) مسلم وروى البخارى عن حذيفة رضى الله عنـــه قال (نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نشرب من آنية الذهب وأن نأكل منها ــ وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليه) .

وفي تناول الطعام لابد وأن يتميز المسلم فيأكل بيده اليمنى ــ يروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تأكلوا بالشمال فان الشيطان يأكل ويشرب بشماله) وجلوس المسلم لابد وأن يكون مغايرا

لجلوس الذين لا يجلسون الجلسة الطبيعية يروى أبو داوود عن الشريك ابن سويد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (كنت جالسا هكذا ـ وقد وضعت يدى اليسرى خلف ظهرى ولكات على الية يدى ـ اللحمة التى فى أصل الابهام ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتقعد قعدة المغضوب عليهم ؟) ـ والرسول الكريم بذلك يبعد المسلم عن أن يجلس جلسة الكفار الذين غضب الله عليهم .

واليهود والنصارى لا يصبغون شعورهم ـ والتميز يقتضى أن يصبغ المسلمون يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم) والمشركون يحلقون لحاهم ويبقون شواربهم ـ وقد طلب النبى الكريم تميز المسلمين عن المشركين فى ذلك يروى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) .

والاسلام يحب نظافة الجسم والثوب والبيت والشارع وكل شىء ـ ومن هنا كان الوضوء والاغتسال وأخذ الزينة عند كل مسجد ـ ومع ذلك فهو ينفر المسلمين من أن يكونوا كاليهود فى عدم الاعتناء بأفنية منازلهم يروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم ـ جواد يحب الجود فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود) .

وبيوت الكفار عادة تكون فيها الصور والتماثيل اعجابا أو تقديرا أو زينة ـ وقد ينقلب هذا فى يوم من الايام الى عبادة أو ما يشبهها ـ ولذلك فان النبى الكريم يقول (ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه تماثيل) مسلم ثم يشدد على ذلك تشديدا واضحا حين يقول (ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور) متفق عليه .
وقددرج غير المسلمين على أن يقوموا تحية للقادم وتعظيما له وان يكثرون فى اطرائه و لثناء عليه وذكر محاسنه فنبههم النبى الكريم الى أن المجتمع الاسلامى ينبغى أن يكون متميزا على غيره من المجتمعات وان

يكون مقلدا لا مقلد فيقول النبى الكريم (لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضا) رواه أبو داوود ـ ويقول فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ولكن قولوا عبد الله ورسوله) ويقول ايضا (يأيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان وانا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعونى فوق منزلتى التى أنزلنى الله عز وجل) النسائى ٠

وصام رسول الله عليه السلام يوم عاشورا وأمر بصيامه فقـال الصحابة : يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود فقال عليه السـلام (فاذا كان العام المقبل ان شـاء الله صمنا اليوم التاسع فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وقد جعل الاسلام أعياد المسلمين مرتبطة بالشعائر الاسلامية وحين قـدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ووجد الانصـار يلعبون فى يومين قال : ما هـذان اليومان ؟ قالوا : يومان كنـا نلعب فيهما فى الجاهلية قال عليه السلام (قـد أبدلكم الله خيرا منهما يوم الاضحى ويوم الفطر) ٠

والاسلام يحرم معاشرة النساء وقت الحيض وحين نزلت الآيـة الكريمة (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النسـاء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) البقرة ٢٢٢ فارادوا اخراج النساء من البيوت فقال عليه السـلام (انما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم آمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم فلما سمع اليهود ذلك قالوا هـذا الرجل لا يريد ألا يدع شيئا من أمورنا الا خالفنا فيه)٠

وهكذا يحرص الاسلام على أن يكون المسلم متميزا فى لباسـه ومشيته وجلوسه وقيامه وكل حركاته عن جميـع بنى البشر ذلك لان المشابهة فى الظاهر تورث محبة وموالاة فى الباطن ـ كما أن المحبة فى الباطن تورث المشابهة فى الظاهر وفوق ذلك فان المشابهة فى الظـاهر سبب للمشابهة فى الاخلاق وقد تصل الى المشابهة فى المعتقدات ٠

والامة الاسلامية اليوم فى حاجة الى التميز بشخصية خاصة لا تتلبس بشخصيات الشرق ولا بشخصيات الغرب ــ والتميز بأهداف واهتمامات تطابق المفاهيم الاسلامية حتى يستطيع المسلم أن يؤدى رسالته التى خلقه الله من أجلها .

التمييز فى المضمون :

والانسان المسلم ــ كما يتميز فى الشكل ــ فانه يتميز فى المضمون أيضا ــ فالمسلم يحس بكرامته على الله وبمكانته فى الملأ الأعلى وبمركزه القيادى فى هذا الكون ــ وهذا كله يجعله يشعر بذاته لأنه يشعر بانسابه الى الله تعالى وارتباطه بكل ما فى الوجود فيحيا عزيز النفس ابيا بعيدا عن الشعور بالتفاهة والضياع والفراغ ــ فالعقيدة الاسلامية تجعل من المسلم انسانا كاملا وتعطى للحياة معنى ذلك لأن الانسان بلا عقيدة آلة تتحرك وهيكل فارغ وحب بلا روح .

ان النظرة المادية أنتجت شعور الانسان بالتفاهة والضياع ونظرته الى نفسه نظرة حيوانية بحتة والى جانب ذلك فان الانسان حينئذ يشعر بالكبر والغرور الذى يصل به الى حد تأليه نفسه ــ ويتصرف وكأنه آلة لا يسأل عما يفعل يقول جوليان هكسلى فى كتابه الانسان فى العالم الحديث : ان الانسان فى العالم الحديث أصبح هو الله المنشىء المريد) .

والاسلام يتميز بأنه يتعامل مع الانسان ــ مع طبيعته المزدوجة ــ فالاسلام من الله تعالى ــ والله تعالى هو خالق الانسان ــ وخالق الانسان أدرى بما خلق (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟) الملك ٣ وهى فطرة الله التى فطر الناس عليها ــ فالعقيدة الاسلامية تتميز بأنها لم تغفل الروح ولم تغفل المادة بل زاوجت بينهما فى وحدة متسقة وملتئمة ــ وقد أعطت لكل منهما حقه فى غير افراط ولا تفريط وغاية الانسان ومهمته واضحة فى الاسلام فقد خلق ليكون خليفة لله فى الأرض ــ وليحمل أمانة عمارة الأرض فهو مكلف مسئول (أفحسبتم

انما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون) المؤمنون ١١٥ ـ ولكن المادية الملحدة لم تعرف للانسان غاية لأنها لا تعترف بوجود اله ـ والنظـرة المادية للانسان تجعله يدور حول هواه وشهواته فيضخم هـذا الجانب على حساب الجوانب الأخرى وهذا يفضى الى هـلاك الانسـان بعـد شقائه ٠

يقول أحد الكتـاب الغربيين فى وصف الوجوديين الذين تدور فلسفتهم حول تحقيق الانسان وجوده وذاته فحسب (ان الوجودى مثله كمثل الكلب الذى يجرى دائما حول نفسه ليمسك بذنبه فلا هو يدرك ذنبه ولا هو يكف عن الجرى ـ وهى لعبة يلعبها الكلاب حينما يجـدون الفراغ فيلهون بما لا ونتيجة له) ٠

والاسـلام وجـه عنـاية بالغة الى الجـانب الانسانى ذلك لأن الشعائر ـ وهى الصـلاة والزكاة والصـيام والحج ـ لا تأخذ الا جانبا قليلا من القرآن والسنة ومن كتب الفقه ـ واطـول آية فى القرآن الكريم هى آية الدين فى سورة البقرة ـ والتداين جانب هام من جوانب التعامل الانسانى ـ ومع هذا فالشعائر فيهـا جوانب انسانية ـ فالصلاة تحقق المساواة بين الناس جميعا فى وقوفهم صفوفا متراصة كما تمثل تعليم الطاعة للقائد فى صلاة الجماعة وفى تنفيـذ الديمقراطية حينما يستفتح المأموم على الامام عند الخطأ ـ ثم ان الصلاة عون للانسان فى هذه الحياة والقرآن الكريم يقول (يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين) الحج ٢٨ ـ والزكاة تؤخذ من الغنى لترد على الفقير ـ وهى للغنى تذكرة وتطهير وللفقـير اغناء وتحرير ـ والصوم تربية لارادة الانسان على الصبر فى مواجهـة صعوبات الحياة وتربية لمشاعره على الاحساس بآلام غيره فيسعى الى مواساته ـ ومن هنا فقد سمى النبى الكريم شهر رمضان بشهر الصبر ـ والحج مؤتمر فيه منافع للناس من أوجه مختلفة ففيه تتحقق المساواة وفيـه التجارة وفيـه الانسلاخ من الدنيا والتقرب الى الله تعـالى ٠

وكل عمل يعمله الانسان فى هذه الحياة يبتغى فيه وجه الله تعالى فهو عبادة وبخاصة تلك التى تبنى المجتمع وتوطد آصرته يقـول النبى الكريم (أحب الأعمال الى الله سرور تدخله على مسلم تكف عنه كـربة

أو تقضى عنه دينا أو تطرد عنه جوعا — ولأن تمشى مع أخ لك فى حاجــة أحب الى من أن تعتكف فى هذا المسجد (مسجد المدينة) شهرا — ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه — ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا — ومن مشى مع أخيه فى حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تذل الأقدام — فالمجتمع الاسلامى هو مجتمع الحب والتعاون والتآلف وهــو بعيد عن الحقد والحسد سواء اكان ذلك بالنسبة للأفراد أم بالنسبة للجماعات يقول الرسول صلوات الله عليه (كل سلامى من الناس عليه صدقة — كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعــين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة — والكلمة الطيبة صدقة — وكل خطوة تمشيها الى الصلاة صدقة — وتميط الأذى عن الطريق صدقة) متفق عليه — وبين الرسول الكريم فى حديث آخـر بعض حقوق المسلم على المسلم فعن ابن عمر رضى الله عنه أن رســول الله صلى الله عليه وسلم قال (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربـة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة —) متفق عليه — وروى مسلم أن رسول اللــه عليه السلام قال (حق المسلم على المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه واذا دعاك فأجبه واذا استنصحك فانصحه واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا مات فاتبعه) •

والحب فى المجتمع الاسلامى أساس ولن يؤمن المسلم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لها — وفى الحديث الشريف (لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وبذلك يكره الأنانيات ويعمر القلوب بالحب والألفة والصفاء والطهر •

والانسان المسلم يحس بأن الله تعالى خلقه فى أحسن تقويم وصوره وسخر الكون كله لخدمته فأصبح المسلم يحس بأن الكون صديق له — وقد لفت نظره الى جمال الكون وما فيه — وقرر للانسان حقوقه الكاملة — حق الحياة وحق التفكير وحق الاعتقاد وحق التعبير وحق الكرامة وحق التعلم وحق الكفاية من العيش وحق الأمن من الخوف — ولم يجعــل شيئا من هذا منحة من أحد •

والمسلم يحس بأنه عضو هام فى المجتمع ـ وهو فيه راع ومسئول عن رعيته ـ والمسئولية عامة الرجل مسئول والمرأة مسئولة والابـن مسئول والابنة مسئوله والحاكم مسئول والمحكـوم مسـئول كل فى حدوده ... وشعور كل انسان بالمسئولية وبأنه عضو نافع فى المجتمع عضو متعاون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وبأن المسـلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر يريحه ويجعله يحس بكيانه وباهميته فى مجتمعه .

والاسلام جعل للانسانية مبادىء يسير عليها فالناس جميعا اخوة من أب واحد وأم واحدة (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) النساء/١ والاخوة شاملة للبشرية جميعا ـ والمساواة بين الناس مبدأ انسانى اسلامى فلا تفرقة بين عنصر وعنصر أو لون ولون أو جنس وجنس (يأيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات / ١٣ ـ فالقيمة الانسانية للجميع واحدة ولهذا قال عمر بن الخطاب لجبلة ابن الايهم الأمير الغسانى الذى لطم أعرابيا فأراد عمر أن يقتص منـه فقال له : أنا ملك وهو سوقة فقال له : ان الاسلام قد سوى بينكما .

واذا كان اليهود يرون أنهم قريبون من الله لأنهم يهود فيقولون (نحن أبناء الله وأحباؤه) فان القرآن الكريم يرد عليهم بقوله (قـل فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر ممن خلق) المائدة ١٨ والاسلام يرى أن الناس جميعا سواء لا فضل لواحد على آخر الا بالتقوى ـ والنبى الكريم يقولها واضحة (يا فاطمة بنت محمد اعملى صالحا لا أغنى عنك من الله شيئا) .

ومن أهم خصائص انسانية الاسلام أن يعمر المسلم الأرض بالأسلوب الذى رسمه الله تعالى (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيهــا) هود/٦١ ـ ونشر العدالة الكاملة فيها تحت أى ظرف من الظروف وفى أى مكان ومع جميع الناس ـ بل حتى مع النفس لأن الله تعالى سيحاسب على كل ذلك (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو

على أنفسكم أو الوالدين والأقربين أن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا النساء/١٣٥ ـ وقد حرم الاسلام الظلم على كل انسان في المجتمع وعلى المجتمع نفسه فعن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم) رواه مسلم ـ والاسلام يكره الظلم ويدعو المسلمين الى ازالته ويندد بالساكتين عليه بدعوى أنهم مستضعفون فى الأرض بل ويسميهم ظالمى أنفسهم ولكن هذا يكون على أساس الاسلام وتربيته وتشريعه لا على أساس الصراع الطبقى والحقد المذهبى ـ بل على أسس انسانية الانسان الذى كرمه الله تعالى ـ ولا بد وأن يستمر تكريم الانسان الذى خلقه الله فى أحسن تقويم (ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) النساء ٩٧ والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من خصائص الانسان المسلم حتى ان الصحابة رضوان الله عليهم لم يتصوروا أن يأتى يوم لا يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيه قائما فى المجتمع الاسلامى وذلك حين قال عليه السلام : كيف بكم اذا تركتم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ فقالوا وان ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : أجل والذى نفسى بيده وأشد منه سيكون) واذا كان بنو اسرائيل قد تخلوا عن أهم خصائص الانسانية وهى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فان الله تعالى قد لعنهم وبين ذلك فى قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) المائدة ٧٨/٨١ ـ واختار الله تعالى الأمة الاسلامية لتحقيق هذه الخصيصة الانسانية وجعلها خير أمة أخرجت للناس (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ ويوضح الرسول الكريم أهمية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى بقاء المجتمع سليما فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (مثل القائم فى حدود الله والواقع

فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا) ٠

ومن خصائص انسانية الانسان فى الاسلام ـ العلم ـ ذلك لأن المعرفة سلاح ـ وكلما أوغل الانسان فيها اكتشف من أسرار الكون ما يـزيده تعرفا على انسانيته والعلم بالنسبة للفرد والمجتمع امكان على تحقيق الرسالة ولذلك فان الله تعالى (يرفع الذين آمنوا والذين أوتوا العـلم درجات) وقد روى الترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنـه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال (فضل العالم على العابد كفضـلى عـلى أدناكم) ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله وملائكته واهل السموات حتى النملة فى حجرها وحتى الحوت لـ[illegible]ون على معلمى الناس الخير) كما روى الترمذى وأبو داوود عن أبى الدرداء رضى الله عنـه قال : سمعت رسول الله صلى عليه عليه وسلم يقول : من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ـ وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ـ وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ـ وان العلماء ورثة الأنبياء ـ وان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخـذه أخـذ بحظ وافر منه) ٠

وتحقيق انسانية الانسان هو مرتكز الحضارة الاسلامية وينبوع السعادة للفرد والمجتمع ـ ذلك لان الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله ـ والقرآن الكريم يمدح المسلمين حين يصفهم بأنهم خير أمـة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الى جـانب الايمان بالله ـ كما منحهم بأنهم حين يمكنهم الله فى الأرض فانهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ٠

وتحقيق انسانية الانسان يكون بأن يؤدى حق الله تعالى وحـق

النفس وحق الآخرين – فحق الله سبحانه وتعالى أن يفعل الانسان كل ما يأمره به وأن يتجنب كل ما نهى عنه ليحقق بذلك الخلافة فى الأرض وحق النفس يتلخص فى أن يحفظ الانسان نفسه روحيا وجسديا وعقليا ويؤدى ما لها ايجابا بالتربية وامدادها بالطاقة اللازمة – وسلبا بالبعد عن المفاسد والاشياء المؤذية لها – وحق العبادة يتحقق فى أن يصون المسلم دماءهم وأعراضهم وأموالهم ويحفظ عليهم كرامتهم وحرماتهم ويعاملهم اخوانا له فى الانسانية والآدمية – وأن يحب لهم ما يحب لنفسه وذلك يتلخص فى القاعدة التى تقول (عامل أعداءك بالعدل واخوانك بالرضا) وفى الحديث الشريف الذى رواه البخارى (ان لربك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا وان لأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه) .

وشخصية المسلم شخصية لا تتأثر بالرأى العام اذا كان مخطئا .. انها ترى بعين الله وفى الحديث الشريف (لا يكن أحدكم امعة يقول : انا مع الناس ان احسن الناس احسنت وان اساءوا اسأت ولكن وطنوا انفسكم ان احسن الناس أن تحسنوا وان اساءوا أن تتجنبوا اساءتهم) ومن هنا كان افضل الجهاد عند الله كلمة حق عند سلطان جائر .

والمسلم فى هذه الحياة له رسالة هامة يؤديها طوال حياته وذلك هو الجهاد – الجهاد ليدافع عن الدين كله – ويحمى أماكن العبادة كلها سواء أكانت اسلامية ام يهودية أم مسيحية – ويوضح ذلك القرآن الكريم فى قوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع صلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز) الحج ٣٩/٤٠ ويلاحظ فى هذه الآيات أنه قدم الصلوات والبيع على المساجد ذلك لان المسلم بطبيعة عقيدته سيدافع عن أماكن عبادته ولكنه قد لا يدافع عن بقية أماكن العبادة ولذلك فان الآية الكريمة قدمت الصوامع والبيع حتى يحس المسلم بأن الدفاع عنها من تمام رسالته .

واذا كان الناس فى كل المجتمعات الحديثة يقاتلون لتوسيع رقعة الأرض أو لارضاء كبرياء المجتمع أو لاستعباد الآخرين وقهرهم ونهب خيراتهم أو لتحقيق المصالح الخاصة والتكالب على متاع هـذه الحياة ويستخدمون الطاقات فى خدمة الصراع الذى يحدث بين الافـراد والجماعات والدول والشعوب التى تتصارع على الارض كلها — ويسعى بعضها الى سـحق بعض وتكون القـوى الانسـانية كلها فى خدمة الشـيطان .

•اذا كان الأمر كذلك فان الاسلام شرع الجهاد ليحارب كل هـذه الأشياء — يقاتل الطغاة الذين يسخرون شعوبهم من أجلها ويحرر تلك الشعوب من استبعاد الطغاة لها — وذلك بدعوتهم الى عبادة الله الواحد الاحد فى جميع الاتجاهات كما يتحررون من القيم الزائفة ومن العبودية لغير الله — وهذا يحقق معنى الآية الكريمة (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) النسـاء /٧٦ كما أن من مهمة المجتمع الاسلامى أن يقاتل ليحرر المستضعفين فى هذه الأرض ذلك لأن هدف القتال عندهم تحقيق رسالتهم فى هـذه الحياة بينما غيرهم يقاتلون لمعان جاهلية يقول الله تعالى (وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليـا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيـد الشيطان كا ضعيفا) النسـاء ٧٥/٧٦ — وحتى فى الهزيمة يتميز المسلمون عن أعدائهم فلا وهن ولا ضعف وهم الأعلون وفى مكان القيادة (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين يمسسكم قرح فقد مس القوم مثله وتلك الايام نداولها بين النـاس وليعلم اللـه الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) آل عمران ١٤٠ — ويقول لهم القرآن الكريم أيضا (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) النساء /١٠٤ .

ومعنى النجاح فى الاسلام يتغير عن معناه عند سائر الامم فهـو فى الاسلام يكون بأداء الواجب على أكمل وجه وبالنية — والله سبحانه

وتعالى يجازى المسلم على ذلك ـ لا على النتائج يقول جابر ابن سلمى وكان واحدا ممن قتلوا الشباب يوم بئر معونة : ان مما دعانى الى الاسلام انى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه فنظرت الى سنان الرمح حين خرج من صدره فسمعته يقول : فزت والله فقلت فى نفسى : ما فاز لقد قتلت الرجل قال : حتى سالت بعد ذلك عن قوله فقالوا : يعنى فاز بالشهادة فقلت : فاز والله ـ فهو لم يهتم بالحياة ولا بفوزه بدرجة علمية ولا بمكافأة مادية ولا بترقيته الى رتبة أعلى ولكن اهتمامه كله انحصر فى ارضاء الله تعالى ـ وهذا يوضحه قول الله تعالى (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) النساء/٧٤ ٠

خاتمـــة :

من ذلك يتضح أن الانسان فى الاسلام مخلوق متميز حاملا لرسالة الله تعالى ـ له جسمه وله عقله وتفكيره وله روحه ـ وهو فرد ولكنــه فرد فى مجتمع ٠

والانسان المسلم متصل بالله تعالى يعمل على اسعاد نفسـه كما يعمل على اسعاد غيره فى مجتمعه وفى المجتمعات الأخرى ـ وصلتــه قوية بخالقه يحس عن طريقها بالأمن والاستقرار والقوة والعزة والقدرة على ملاقاة صعوبات الحياة وعلى تحقيق رسالته ٠

والاسلام هو النموذج الحى للامن والاستقرار ـ الأمن من العوارض المادية والآفات الكونية والكوارث الواقعة بأن يأمن على نفســه وعلى عقيدته وعلى ماله وعلى عرضه وعلى حريته ـ ثم الأمن فى الآخرة من عذاب الله تعالى ـ والآية الكريمة الآتية توضح كيف يكون الانسان مع ايمانه بالله وادائه لرسالته فى أمن فى الدنيا والآخرة (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحـزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا والآخرة ولكم فيها

ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم) فصلت ٣٠/٣٣ ٠

والاسلام حريص على الانسان المسلم ـ حريص على مواهبه واستعداداته واتجاهاته يربيها وينميها وفى الوقت نفسه لا يكتبها ولا يتركها تتبدد هنا وهناك من غير فائدة ـ كما يحدث فى المجتمعات المعاصرة ـ الاسلام لا يكبت الطاقات لانها موهبة من الله خالق البشر ـ وكل ما وهبه الله تعالى للانسان فهو خير ينبغى أن ينميه ويستغله فى الخير ويشكر فضل الله عليه ـ والمسلم لا يبدد هذه الطاقات لأنها نعمة فهى تنفق فى المصلحة الخاصة وفى المصلحة العامة وفى تحقيق الرسالة ـ المسلم يوجه هذه الطاقات فى الخير وللخير ـ للفرد والأمة ـ وتكون الفائدة فى الدنيا وفى الآخرة ٠

والانسان غير المسلم يحس بأنه يعيش فى ضياع ـ لا يعرف لماذا جاء ولا الى أين ينتهى وينشد :

جئت لا اعلم من اين ؟ ولكنى اتيت
ولقد ابصرت قدامى طريقا فمشيت
وسابقى هائما ان شئت هذا او ابيت
كيف جئت كيف ابصرت طريقى ـ لست ادرى

لكن الانسان المسلم يعرف لماذا جاء ؟ والى اين يصير ؟ يعرف أنه انسان صاحب رسالة لنفسه ولمجتمعه ولدينه ـ يعمر الأرض ويقيم فيها العدالة ويحقق فيها غاية وجوده الانسانى ـ كما حدده الله سبحانه وتعالى خالق الانسان (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) الذاريات ٥٦ ـ والعبادة فى الاسلام تشتمل الحياة كلها بكل فكرها وشعورها وسلوكها ـ وعمارة الارض على منهج الله (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) الأنعام ١٦٢/١٦٣ ـ العمارة التى تقوم على أساس من القيم الانسانية والمبادىء الاسلامية ـ وما أصدق الدكتور هوكنج استاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الامريكية

حين يقول فى كتابه روح السياسة العلمية (انى أشعر بانى على حق حين اقرر بأن فى الاسلام كل المبادىء اللازمة للنهوض فى الحياة) وهـــذا عكس الفلسفات البشرية فهى متاثرة بقصور الانسان وملابسات حياته ـ فهى لذلك تقصر عن الاحاطة بجميع الاحتمالات فى الوقت الواحـــد وقد يعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدى بدوره الى بروز ظاهرة أخرى تحتاج الى علاج جديد لأن الفلسفات البشرية تقصر عن الاحاطة بالنفس البشرية وكل أطوارها واحوالها .

حقوق الانسان فى ظلال التربية الاسلامية

تمهيـــد :

فى العاشر من شهر ديسمبر عـــام ١٩٤٨ صـدر عن الجمعيـة العامة للامم المتحدة ما يسمى باعلان العالمى لحقوق الانسان وقـــد جاء فيه (ان للناس باعتبارهم آدميين حقوقا يجب على الجميع احترامها ومن هـــذه الحقوق ـ حق الحرية وحق المساواة وحق الملكية) .

ولكن هـل هـذا هـو أول اعـلان لحقوق الانسان قـد يكون هـذا بالنسبة للمجتمع العالمى أمـــا بالنسبة لبعض المجتمعات فقـد سبق شيء من هـــذا .

فمنذ قرنين كتب هيجل مؤلفـه الشهير « فلســـفة التاريخ » وتحدث فيـه عن حقوق الانسان ـ وكان يقصـــد بذلك حقوق الانسان فى المجتمع الاوبى فقط ـ وفى ١٦ من يولية عـــام ١٧٨٩ خلال الثورة الفرنسية أعلنتحقوق الانســـان عن الجمعية الوطنية الفرنسية ـ وقد فهمت أيضـــا على أساس أنه الانسان الغربى فقط ومن هنـــا فقـد استمر الاستعمار الغربى يستغل الدول فى العالم كله غير مراع الا حقوق الانسان الغربى فقط ـ وكأنه من طبقة أخرى غير بقية الشعوب .

وحتى الاعلان الذى جـــاء عن طريق الجمعية العمومية للامـــم المتحدة عـــام ١٩٤٨ تم بعد تقسيم فلسطين واعطـــاء جزء من أرضها الى الصهيونية ـ وكان المطلوب هـــو حقوق الانسان اليهودى فقط ـ ومن هنـا فقد كان من المقبـــول ـ حسب هـــذا المفهوم تشريـــد الفلسطينيين خارج أوطانهم .

والولايات المتحدة الامريكية أبرز أعضـــاء الامم المتحدة لم تعلن رسميا الغـاء التفرقة العنصرية ومنح الزنجى حق الانتخاب الا منـــذ عشر سنوات تقريبا ـ ومع هـذا فان الاعـلان تم من الناحية النظرية أمـــا الناحية التطبيقية فـــلا زال عشرون مليون زنجى يعانون من

العنصرية الرسمية والشعبية داخـــل الولايات المتحدة نفســـها فى جميع الحالات ــ ومن ذلك أنه لا يمكن للزنجى أن يرتقى فوق مساعـد الحاكم فى الولاية ــ وليس للذنوج سوى ستة عشر وظيفة سياسية مع ان عددهم اكثر من عشرين مليونا فهى اذن حقوق للانســـان الأبيض فقط ·

وحتى الدراسات العليا والجامعية فى الولايات المتحدة الامريكية غير محايدة ــ فهى تبرز غير البيض بأنهم قانعون بالأوضاع التى هـم عليها ــ ذلك لانهم وضعوهم فى اطـــار خاص ثم جـاءوا لهم بمقاييس خاصـــة قرءوا نتائجها بالاسلوب الذى يريدون ·

وقد أقرت هيئة الامم المتحدة ــ التى أعلنت حقوق الانســـان ــ كثيرا من المظالم التى تتعارض مع هـــذا الاعلان ــ الى جانب أن الدول الكبرى فيها احتفظت لنفسها بحق الفيتو ــ الاعتراض ضـــد أى قرار لا يوافق مصالحها أو ترى دولة من هـــذه الدول الكبرى أنه لا يوافق مصالحها ــ وليس هـــذا من العدل فى شىء ــ وليس فى حقـــوق الانسان فى شىء ــ اللهم الا اذا كان المقصود به عدل الدول الكبرى وحقوق الدول الكبرى ·

وقد مارست الـدول الكبرى أبشع أنواع الافتئـــات على حقوق الانسان ــ ومن ذلك ما فعلته فرنسا فى الجزائر عـــدة سنوات حتى أصبحت معروفة فى العـــالم كله بانها وطن المليون شهيد ــ ومن ذلك ايضا ما فعلته أمريكا فى فيتنام ــ وروسيا فى المجر وتشيكوسلوفاكيا ــ وانجلترا فى أفريقية ضـــد الشعوب الملونة وضـــد العالم الاسلامى ــ فالقتلى بالملايين والمشوهون كذلك ــ الى جانب الجوع والعرى والاضطهاد الذى ينتشر هنـا وهنـاك ــ ومـا تفعله الآن روسيا وكوبا والحبشة فى اريتريا حتى أصبح هنـــاك مائة ألف مليون مســـلم فى العراء يعانون من الشـــتاء القارس والجوع والعرى ــ وقد قصفت البوارج السوفيتية سواحل اريتريا ــ وشقت الطرق أمـام القوات السوفيتية والكوبية والاثيوبية لاخضاع هـــذا الشعب الفقير المناضل من أجل حريته ·

مشكلة قديمة :

وحقوق الانسان مشكلة قديمة اذ أن مجتمعا ما من المجتمعات فى قديم التاريخ لم يعط الانسان حقوقه ـ بل ان التفرقة والظلم والاستغلال كانت هى الاساليب الشائعة ٠٠ فالمجتمع الاغريقى قديما كان يتكون من المواطنين والاجانب والعبيد ـ والعبيد هم الطبقة المستغلة ولم يكن عددهم قليلا بل ان عددهم كان يزيد على عشرين ضعفا على عدد السادة ـ وكانت أعمال العمال كلها يدوية قاسية فهم للخدمة فقط ـ والديمقراطية كانت للاحرار فقط ٠

فاذا ما انتقلنا الى الدولة الرومانية وجدنا المناصب العليا قاصرة على النبلاء ـ وارتبط فى التعليم بالنظام الطبقى ـ فالتعليم العالى للنبلاء وحدهم ـ والقانون الرومانى المشهور بالعدالة فرق بين السادة والعبيد ٠

والديانة اليهودية ديانة عنصرية قومية لا تتصف بالشمول ـ وهى ذات تطلعات وتنبؤات يريدون تطبيقها بحذافيرها ان أمكنهم بالتعاون مع كل من يؤمن بالتوارة ٠

والمسيحية جاءت بالمحبة ـ ولنها تركت ما لقيصر لقيصر وما لله لله ـ ولكن قيصر حاربها ـ ولم يترك لمثلها أن تجنى ثمارها ـ بل انه فى كثير من الاحيان شوه رسالتها ـ وما أكثر ما قاست الانسانية من انتصار المسيحية على أيدى محاكم التفتيش التى انتشرت فترات طويلة فى بلاد كثيرة وحتى حرية الرأى لم تعرفها المسيحية ـ فالكنيسة على مدى التاريخ ستمنع الناس من ابداء آرائهم وكانت تحاسبهم على ذلك أشد الحساب ـ بل انها استعملت كل وسائل التعذيب ـ حتى القتل ـ فى شمال أوربا لتدخل أهلها المسيحية ـ ولازال الناس يتحدثون عن محاكم التفتيش وما صنعته فى أوربا وفى الاندلس لتنصير المسلمين ـ بل ولازال المسيحيون يقومون بهذا العمل فى تنصير المسلمين فى أندونيسيا وفى الفليبين وغيرها ـ مستخدمين كل

أنواع الترغيب والترهيب – مع أن المسلمين على مـــدى التاريخ أنقذوا المسيحيين من الظلم الواقع عليهم فى كل البلاد التى فتحها المسلمون – وحين دخـــل المسلمون القدس تركوا للنصارى كل شىء وكتب عمر بن الخطاب لهم أمانا وعهدا – وأبى أن يصـــلى فى كنيستهم حتى لا يطمع فيها أحـــد من المسلمين – وعامل المسلمون المسيحيين معاملة كريمة متبعين قول الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان اللـــه يحب المقسطين) الممتحنة ٨ – وأهل الكتاب لهم معاملة المســـلمين تماما – وغير أهـل الكتاب لهم هـــذه المعاملة أيضا – اللهم الا فى شيئين : نكاح نسائهم وأكل ذبائحهم وفى ذلك يقول الرسول الكريم (سنوا بهم ســـنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم) .

والمذاهب الحديثة فى المجتمعات المختلفة تسير على النهج القديم فى التفريق بين الانسان والانسان فى الحقوق المختلفة فالماركســـية أغرقت العالم فى بحر من القهر الاستبدادى وما اتبعه من تعذيب وقتل وغسيل للمخ فى البلاد الشيوعية نفسها – ثم انتقلت الى البلاد الاخرى فأغرقتها فى بحر من الدمـــاء وأشاعت فيها الفوضى – ورأينا الدماء التى تسيل فى شرق آسيا وفى أفريقية بفعل الماركسية – فهى تمنع حرية الكلمة وحرية الرأى وحرية التفكير وحرية المعتقد – ولقـــد أعلنت الشيوعية فى روسيا – وعـــدد المسلمين هناك خمسين مليونا – وما زالت بهم فى التعذيب والتنكيل والتغريب حتى وصـــل عددهم الى عشرين مليـــونا وقـد أصـــبحوا أغرابا عن كل معانى الحرية – والشيوعية دائما تستخدم كل الاساليب – ضـــد حرية الانسان فالتجسس أسلوب أساسى عندهم فى كل مجالات حياتهم – وما أكثر الكتب التى ألفت فى ذلك ، وما أكثر المعتقلات التى فتحت ، ولا تكاد أى مجموعة فى دولة شيوعية أو أية دولة تجد فرصـــة للمطالبة بالحرية الا وطالبت بها – وان كانت هـــذه المطالبة لا تأتى بنتيجة – ولعـــل آخر هـــذه المطالبات – ما حـــدث فى ٦ من يناير عام ١٩٧٩ اذ ظهر ملصق جديد فى بكين – ولعلها أكثر البلاد ملصقات – يقولون عنـــه :

انه أدى الى حدوث دوى هائل لدى الاوساط والدبلوماسية ولدى المراقبين السياسيين ـ وقـــد أعدته جماعة أطلقت على نفسها اسم (عصـــبة حقوق الانسان الصينية) لاول مرة وبشكل قوى وملح وعلمى باطلاق حرية التعبير والافراج عن المعتقلين الذين تعرضوا للسجن بسبب ممارستهم لحرية التعبير والغاء أجهزة البوليس السرى بالصين ٠

وطالبت الجماعة فى الملصق الذىظهر علىحائط الديمقراطية فى بكين واستلفت نظر جموع كثيرة من أبنـــاء الشعب الصينى وبعض الاجانب بنقل جثمان الزعيم الراحـــل ماوتسى تونج من ضريحه المقام فى قلب بكين وتحويل الضريح الى قاعة تذكارية ـ وأكـــد الملصق أن الصين مرت بفترة تختلط فيها المضحكات بالمبكيات من خلال سنوات منذ بدء الثورة الثقافية ٠

والاسلام حرم أساليب التجسس وما يتبعه والقرآن الكريم يقول (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضـــا) وشبه هـــذا بمن يأكل لحم اخيه ميتا (أيحب أحـــدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا ؟) الحجرات ١٢ ٠ وأموال الناس ودماؤهم نهب مشـــاع فى الدول الشيوعية بينما هى حرام فى المجتمع الاسلامى وفى خطبـــة حجة الوداع قال النبى عليه السلام (ان دماءكم واموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هـــذا فى شهركم هذا فى بلدكم هـــذا) ٠

الوجودية :

والوجودية تنادى باطلا بدعوى الارادة والحرية ـ وهى تريـــد جرف الانسان الى غاية من الحرية المطلقة غير الملتزمة بأى اطـــــار اخلاقى مثـــالى ـ غاية تسودها الفوضى وتظهر انعكاساتها السلبية على كيان الاسرة وعلى علاقات الناس بعضهم ببعض ـ وعلاقة الناس بالدولة ـ ولقـــد كان خصـــــاد ذلك موجات الهيبز المتحللة التى تسود أوربا ٠

البراجماتية :

وهى فلسفة تؤله الفرد على حســـاب المجموع ـ وتضع معايير

للتقدم والنجاح – ولا تلقى بالا لعذاب المجتمع في سبيل صعود الفرد حتى تصــل بالنظام الاقتصادى الراسمالى الى مرحلة الاحتكار والاستبداد والقهر المستمر تحت اردية الحرية – ونتائج هــذا ما نشاهده من مظاهر التفسخ الاجتماعى التى تظهر دلائلها الآن فى أمريكا وتدفع بالمئات الى الانتحار الجماعى .

التحليلية او الوضعية المنطقية :

هذه النظرية تسود الآن شمال غرب اوربا وهى فلسفة اغرقت نفسها فى التحليلات اللغوية وكبلت العقل البشرى بقيود الجزئيــات على حساب النظرة الشاملة التى تستوعب الحلول واسعة المــدى لمشكلات الانسان .

ولو سالنا انفسنا لماذا قامت الحرب العالمية الثانية ؟ لوجدنا ان السبب الاساسى هــو دعوى النازية الفاشــية التى كانت ترى ان الالمان من عنصر خاص يفضل الامم ويجب أن يســود عليها بالقهر ان لم يكن بالرضا .

او ليس من العجيب أن تستمر مسالة المساواة بين أفراد البشرية موضع أخــذ ورد وعدم اقتناع حتى الآن ؟ ولقــد نشرت اليونسكو عام ١٩٥٢ بيانا قام باعداده جماعة من علماء الوراثة والاجناس الذين لهم شهرتهم على المستوى العالمى وقد جاء فيه :

١ – ان الجنس البشرى جنس واحد ينتمى الى أصل واحــد مشترك .

٢ – ان الفروق الطبيعية بين الاجناس البشرية ترجع الى تنوعات فى كل من الوراثة والبيئة .

٣ – أنه لا يوجد دليل على وجود أجناس نقية – فعمليات التهجين فى الجنس البشرى ما زالت مستمرة منذ وقت طويل جدا .

٤ ـ ان تكافؤ الفرص امـــام القانون لا تقوم اطـــلاقا كمبادىء اخلاقية على فكرة أن البشر متساوون فى المواهب ٠

وبعد أكثر من خمســــة وعشرين عاما ـ وفى عام ١٩٧٨ نظمت اليونسكو مع جامعة الزقازيق ندوة عن حقوق الانسان وقـــد جـــاء فيها توصيات تتلخص فى :

١ ـ تغيير السلطات الاستثنائية التى تمنحها كثير من الدساتير للحكومات فى حالة الطوارىء والظروف غير العادية ٠

٢ ـ ادخال دراسة حقوق الانسان فى كافة المستويات التعليمية ٠

٣ ـ أن تشمل المناهج تاريخ حقوق الانسان والفلسفة التى تقوم عليها وأوجه القصور فيها ٠

٤ ـ اعلان المساواة بين العامل العربى والعــــامل الاوربى فى الحقوق والمرتبات والتامينات والحريات ومع هـــذا فـــلا زال بعض الناس فى العالم المتحضر ينشرون مفاهيم مؤداها ان هناك أجناســـا متميزة على أجناس أخرى ٠

واسرائيل نفسها قامت بتاييد دول العالم المتحضر كله ـ وقـد قامت على أساس عنصرى فاسرائيل تعلن على العالم كله انهـــا عنصر متميز بالذكاء والعلم والحضارة ـ كما تعلن أن العرب عنصر معـــوق للحضارة ـ كالزنوج تماما ـ وانها ستقضى عليهم وتريح العالم من شرهم ـ وهى تتبع القول بالعمل وتحاول تنفيذ هـــذه الافكارر ـ وهى مؤيدة من الدول الشرقية والغربية على السواء ٠

ان كل المذاهب الحديثة تدعو الى ســـلام الانسان مع الانسان ـ وحتى الآن لم تستطع تحقيق هـــذه الدعوة ولا زالت المؤتمرات تنعقد ولا زالت التوصيات تصدر ـ ومن ذلك المؤتمر الذى نظمته الامانة العامة للمؤتمر الاسلامى فى يونية عام ١٩٧٨ بالنيجر ـ ثم ندوة حقوق الانسان

التى عقدت بالقاهرة فى الفترة من ١٤ – ١٦ من شهر ديسمبر عام ١٩٧٨ وقد قامت بتنظيمها جامعة الزقازيق بالتعاون مع اليونسكو ٠

ولعل آخر هذه الجهود ما نشرته مجلة نيو تايمز – من أن منظمة دولية جديدة بدأت فى شهر يناير عام ١٩٧٩ بمجموعة من الاطباء الدانمركيين والتى اتسع نطاقها بعد تشكيل منظمة تحمل نفس الهدف من فريق الاطباء ببوسطن ٠

ويقول الدكتور مايكل نيلسون : رئيس هذه المنظمة التى تشكلت فى بوسطن : ان منظمتنا قد تشكلت كرد فعل لزيادة استخدام عدد من الدول للتعذيب كوسيلة لمعاقبة خصومها وبدرجة جعلت التعذيب يصل الى صورة وبائية – وتقوم هذه المنظمة بعمل دراسات حول الآثار النفسية والجسدية للتعذيب على من يتعرض له ٠

وفى رأى الدكتور ويلسون أن هناك بعض الآثار التى يصعب على الاطباء الذين يقومون بهذه الدراسات تحديدها مثل – الكوابيس التى تقتحم أحلام هؤلاء الاشخاص أثناء نومهم أو الحروق داخل الاماكن الحساسة من الجسم – ولكن الاطباء سيحاولون حصر الآثار الناجمة عن التعذيب عندما يقومون بدراستهم على أول مجموعة من ضحايا التعذيب تضم ٢٥ شخصا معظمهم من أمريكا اللاتينية ٠٠٠ ويقول الدكتور ويلسون ٠ ان الهدف النهائى من هذه الدراسات هو وضع الملامح البشعة لبعض الحكومات التى تمارس التعذيب أمام أنظار المنظمات القومية والدولية حتى تشكل قوة ضغط قادرة على وقف تعذيب الانسان فى كل مكان ٠

وهكذا تبدو الصورة فى نهاية القرن العشرين قاتمة الى درجة محيرة فبينما يجمع العالم كله من الناحية النظرية على المساواة بين الناس ووجوب العدل وما الى ذلك من حقوق الانسان الا أن تطبيق يسير فى اتجاه آخر بعيد كل البعد عن المساواة والحرية والعدالة – بينما

الاسلام حين يرعى حقوق الانسان يرعى أولا حقوق الضعفاء يقـول الرسـول الكـريم (ابغـونى الضعفاء فانمـا تنصرون وترزقون بضـعفائكم) رواه أبـو داوود – بل انـه يطلب الدفاع عنهم والقتـال فى سـبيل حمايتهم (ومـا لكم لا تقـاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنسـاء والولدان الـذين يقولون ربنـا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) النسـاء ٧٥ ويحذر الرسول الكريم من أن يقف أحـد المسلمين موقفا يضرب فيـه رجـل ظلما بأن اللعنة ستنزل على من حضره ولم يدافعوا عنـه كما روى الطبرانى – كما يحذر من الظلم بصفة عامة فيقول الرسـول الكريم (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة) رواه مسـلم وينذر القرآن الكريم الظالمين بأنه لن يكون لهم يوم القيـامة حميم ولا شفيع يطـاع وينادى الرسول الكريم بأعلى صوته فى حجـة الوداع قائلا (ألا أن دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربـكم كحرمة يومكم هـذا فى شهركم هـذا فى بلدكم هـذا) ثم يقول : لأهل بلغت ؟ فيقولون نعم فيقول : فيبلغ الشـاهد منكم الغائب) البخارى .

واذا كانت المذاهب المختلفة تدعو الى سلام الانسان مع الانسان – فان الاسلام يدعو الى سلام الانسان مع الوجود كله – سلام الانسـان مع الانسان–وسلام الانسان مع الحيوان –وسلام الانسان مع النبات– سخر له الارض وما عليها – ومن هنـا وجدنا الحقوق غير قاصرة وسلام الانسان مع الجماد – لأن كل هـذه الأشياء مخلوقة لله – يقول قد فرغ من هـذا كله منذ أربعة عشر قرنا وزاد عليه كثيرا – أربعة عشر قرنا وزاد عليه كثيرا – ومن هنـا وجدنا الرسول الكريم أن تثبت حقوق الانسان فان الاسلام قـد فرغ من هـذا كله منذ على الانسان – واذا كانت الدول المتحضرة فى العصر الحديث تحاول والانسان خلقه الله سبحانه وتعالى ليكون خليفة له فى الارض وقـد ألا هل بلغت ؟ فيقولون : نعم فيقول : فليبلغ الشاهد منكم الغائب) ومن هنـا وجدنا الرسول الكريم يقول (فى كل ذات كبد رطبة صدقة) وما حديث المرأة التى عذبت فى هرة لها حبستها حتى ماتت جـوعا

عنـا ببعيد ، وكذلك حديث الرجل الذى سقى الكلب من البشر حين وجده عطشان فغفر الله له ٠

بل ان الاباحة فى ذبح الحيوان انما هى مرهونة بمصلحـة الانسان ـ فالاسلام يمنع من عقر الحيوان الا للاكل ـ ومن هنـا كان النحر باسم الله تعالى الذى أباح لنـا هـذا الذبح للاكل ـ ولذلك كان جعل الطائر هدفا للعب أو للتسلية غير جائز على الاطلاق ٠

والاسلام يحرم على المسلم أن يطـأ بقدمه كسرة خبز أو ما يؤكل مما يفيد الانسان أو غيره من مخلوقات الله تعالى ـ لأن فى ذلك امتهانا للنعمة التى حماها الله تعالى ـ فاحترام النعمة والمحافظة عليها سببه حاجة مخلوق من مخلوقات الله تعالى من ناحية ـ وتقدير لجهـد عامل من ناحية اخرى ـ والى جانب ذلك فيه ابتعاد عن الاسراف ومنـع للفساد ٩

ولو قارنا هـذا بما يحدث فى أمريـكا مثـلا لوجدنا البون شاسعا ـ ومن ذلك ما ذكرته الاحصاءات الامريكية الى أن ما يلقى فى القمامة فى عام واحد بالولايات المتحدة يكفى العـالم الثالث الجائع لمـدة عام كامل ٠

وحتى الجماد فى الاسلام له حقوق ـ ذلك لأن الاسلام دين البناء وعمارة الارض ونشر المعانى والقيم الالهية فيها ـ وقـد سمى النبى صلوات الله عليه عمامته السحاب تكريما لهـا ـ ولكنهم فى الغرب يهدمون ـ ومن ذلك أنهم حين يريدون اظهار الفرح فى عيد الميـلاد مثـلا فانهم يحطمون الزجاجات والكئوس ٠

الاسلام يبنى والحضارات الحديثة تهـدم ـ وتلك هى الخلفية الثقافية لكل ما يقومون به فى هـذه الحياة ٠

واذا كانت الحضارات الحديثة تفتقر الى العدالة فان الاسـلام

يطلب الرحمة ـ لا العدالة فقط ـ الرحمة لجميع المخلوقات فى هـــذه الحياة والرحمن يرحمهم الرحمن ـ والرسول صلوات الله عليه يطلب من المسلمين جميعـــا أن يرحموا من فى الارض حتى يرحمهم من فى السماء ٠

الاسلام وحقوق الانسان :

منذ أربعة عشر قرنا أعلن الاسلام حقوق الانســـان كاملة ـ والاسلام حين يعلن هـــذه الحقوق فانما يعلنها بأسلوبه الخـاص ـ ثم يطبقها التطبيق السليم ذلك لان هـــذا الاعلان صادر من رب الناس جميعا وهو أدرى بهم وبما يصلح لهم لأنه خالقهم ـ ثم انه ليس بينـه وبين أحد منهم صلة الا العمل الصالح ٠

والمسلمون حين يطبقون هـــذا فانما يطبقونه من داخـــل النفس أولا لانهم يتقربون به الى اللـه تعالى وهـو أعـلم بما يسرون ومـــا يعلنون ٠٠ أما الاعلانات العالمية وغيرها فان نالذين يقومون بهـــا هم ناس لهم خلفياتهم الثقافية والحضارية التى ينطلقون منهــــــا ـ وهم ان استطاعوا أن ينطلقوا أحيانا انطلاقا سليما من الناحية النظرية فان هذا الانطلاق لا يلبث أن ينحرف فى التطبيق بما تقتضيه مصالحهم الخاصة أو على الاقل يتعثرون فى تطبيقه تعثرا طويلا بحيث لا تظهـــر آثاره واضحة على امتداد التاريخ فى كافة المجتمعات ٠

وحقوق الانسان كلها فى الاسلام تبدأ من وحدانية اللـــه تعالى الذى خلق البشر وكرمهم وفضلهم على جميع مخلوقاته ـ ورسم لهم المنهج الذى يسيرون عليه لتحقيق رسالتهم فى هـــذه الحياة ـ وطلب منهم أن يطيعوا الله ورسوله وأولى الامر منهم فى الحدود التى رسمها الاسلام ـ وكان هـــذا هو الاعلان الاول لتخليص البشرية مما ران على الانظار من سلطان الكهنوت والوساطة بين الله وخلقـــه ومن صفات القداسة التى ادعاها الملوك والرؤساء ومن انحطاط العقل وترديه فى الاعتقـاد بالوهيه حجر أو بقر أو نجم أو شمس أو غير ذلك فنادى الناس جميعا

ان هـــو الا نذير وبشير للناس جميعا فمن شـــاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر ـ فأساس التفاضل فى الاسلام العمل الصـــالح لا الغنى ولا المواطنة ولا الحب والنسب ولا غير ذلك من معـــانى الجاهلية ـ وان كانت الدول الاسلامية فى العصر الحاضر متأثرة بالمفاهيم القومية البعيدة عن الاسلام الى حـــد كبير وهو جزء من الثقافة وجزء من الحضـــارة المستوردة ـ وكل انسان مسئول عن عمله وكل نفس بما كسبت رهينة بألوهية حجر أو بقر أو نجم أو شمس أو غير ذلك فنادى الناس جميعا (يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) النســـاء ١ ومحمد الرسول صلوات الله عليه طلب من أصحابه الا يعاملوه معاملة خاصـــة قـد تتحول فى يوم من الايام الى لون من ألوان التقديس فيقول (لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فانما أنا عبد اللـــه ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله) ويبين الرسول الكريم لهم أنـــه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا يملك موتا ولا حياة ولا نشورا وانـــه لا يعلم الغيب ولو كان يعلم الغيب لاستكثر من الخير وما مســـه السوء ولا تزر وازرة وزر أخرى ـ وهـكذا يجد المسلم نفســـه فى ظـــلال الاسلام ـ وحتى النبى عليه السلام حين طمع فى أن يؤمن بعض أشراف قريش فتستفيد الدعوى منهم ولم يلتفت الى عبد الله بن أم مكتوم عاتبه رب العزة على هـــذا عتابا قاسيا بقوله (عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى يخشى فأنت عنه تلهى) سورة عبس ـ وكان بعد ذلك يلقاه مرحبـــا به قائلا : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى وطلب رب العزة من النبى عليه السلام أن يصبر نفســـه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجـــه (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهـــه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينـة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) الكهف ٢٨ .

حرية العقيدة :

والاسلام يعلن حرية العقيدة للناس جميعا فيقول فى كتابه الكريم

(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) البقرة ٢٥٥ ويبين مهمة النبى الكريم فى قوله (ان أنت الا نذير) فاطر ٢٣ ـ ويطلب من الرسول الا يحزن على الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم (يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) المائدة ٤١ ويعاتب نبيه الكريم لشدة حرصه على ايمان الناس حتى يكاد يهلك نفسه فيقول (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) الكهف ٦ ـ ثم يقول بعد ذلك (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف ٢٩ وفى النهاية طلب منه أن يعلن للناس جميعا أنه بشر مثلهم يوحى اليه (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) الكهف ١١٠ .

وهو يدعو الى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل قومه بالتى هى أحسن فيقول (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) النحل ١٢٥ .

والاسلام مع المجتمعات الاخرى دعا الى الحوار الهادىء السلمى الذى يحفظ كرامة الانسان كما يحفظ لكل انسان حقه فى المناقشة وابداء وجهة النظر ـ وقد طلب البدء بنقاط الالتقاء لانها تسهل مهمة الحوار بين الاطراف الاخرى (قل يأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) آل عمران ٦٤

والاسلام طلب من كل داعية أن يكون هادىء الطبع لين العريكة وفى ذلك يقول الله تعالى لنبيه (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من

حولك) آل عمران ١٥٩ ويطلب منه ان يعفوا عن اخطائهم وان يستغفر لهم .

ولقد حرم الاسلام القتال من أجل الاكراه في الدين ضمانا لحرية الاعتقاد - ولكنه أعلن الجهاد من أجل حرية كلمة الخير والحق - وهذا ما لم تفعله آية دولة من الدول أو منظمة من المنظمات وحتى على مستوى الاسرة لكل فرد فيها حرية العقيدة - ومما يدل على ذلك أن رجـــلا من الانصار من بني سالم بن عوف وكان له ابنان قد تنصرا في الجاهلية ثم قدما الى المدينة في نفر من النصارى فلزمهما أبوهما وقال لهما : لا ادعكما حتى تسلما - فاختصما الى النبي الكريم فقال الرجل: يارسول الله أيدخل بعضي النار وأنا أنظر ؟ فنزلت الآية الكريمة (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) البقرة ٢٥٦ - والاسلام يهتف (قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضـــل عليها وما انا عليكم بوكيل) يونس ١٠٨ .

والاسلام أقام الحرية على دعامتين الدعامة الاولى حرية التفكير والدعامة الثانية حرية الرأى فأما حرية التفكير فان الاسلام يحث عليها ويطالب بها - وذلك بأن يسير الناس في الارض وينظروا فيهـــا ثم يفكروا في مخلوقات الله وفي دلائل عظمته فقد يكون هـــذا سببا في ايمانهم فيقـــول (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) الروم ٢٠ كمـــا يقول (أو لم ينظرون في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى أن يكون قد اقترب اجلهم) الاعراف ١٨٥ - كمـــا يقول (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى الســـماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) الغاشية ١٧ - ٢٠ - وقد نعى على الذين يتمسكون بما وجدوا عليه آباءهم وقالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قال : (أو لو جئتكم باهـــدى مما وجدتم عليه آباءكم) ؟ .

وأما حرية الرأى فتظهر في ان يقول كل انسان رأيه في حرية

تامة ويظهر هـــذا فى التشاور وفى الخطابة وفى أجهزة الدعاية والاعلام وما الى ذلك ٠

وفى معركة بدر قال الحباب بن المنذر : يا رسول الله أرأيت هـــذا المنزل أمنزل أنزله الله ليس لنـا أن نتقدمه أو نتأخر عنـه ؟ أم هـــو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال عليه السلام بل هـــو الرأى والحرب والمكيدة فقال عليه السلام رأيه بصراحة : فان هـــذا ليس بمنزل ــ هكذا يقول الحباب فى منتهى الوضوح لرسول الله : ان هـذا ليس بمنزل ــ يقول رأيه ويأخذ بـه النبى عليه السلام ويغير فى أماكن المعركة بما قال الحباب ٠

ومن ذلك ما قالته امرأة لعمر بن الخطاب حين أراد أن يحـدد مهور النساء : كيف تفعل هـذا وقـد قال الله تعالى (وان أردتـــم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخــذوا منه شيئا) النساء ٢٠ ــ فلا يملك عمر أن يقول : أصابت امرأة وأخطـأ عمر ٠

بل ان رجلا من عامة المسلمين يقول لعمر بن الخطاب والله لا نسمع ولا نطيع وذلك حين يقول عمر أيها الناس اسمعوا وأطيعوا ويســأل عمر عن السبب فيعرف أن عمر يلبس لباسا طويلا وهو رجل طويل لا يكفيه نصيبه الذى أخذه ــ وحين يطمئن الرجل الى أن أمير المؤمنين أخذ جلباب ابنه عبد الله فأضافه الى لباسه يقول الرجل : أما الآن فاننا نسمع ونطيع ٠

والاسلام يطلب أن يقول المسلم كلمة الحق فى أى موطن ويجعل أفضل الجهاد أن يقول الرجل كلمة حق عند سلطان جائر يخشى منـه على نفسه فيقول عليه السلام (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) رواه أبو داوود ــ وذلك يدل على مـدى أهمية كلمـة الحق فى كل وقت وفى كل زمان ٠

ولكن الاسلام مع ذلك — يطلب أن تكون كلمة الحق فى اطارها السليم الذى يبنى ولا يهـــدم والذى يخدم المجتمع الاسلامى بـــل والمجتمع الانسانى كله يقول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا اللــه وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) الاحزاب ٧٠ وأن يكون الرأى فى لفظ حسن وأعصاب هادئة لان المسلم ليس بالسباب ولا اللعان ولا الفاحش البذىء كما يقول الرسول الكريم — والمؤمنون الذين يرضى الله عنهم من صفاتهم أنهم يقولون قولا طيبا (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) الحج ٢٤ .

وحرية الرأى فى النهاية لهـا آثار كثيرة فهى تؤثر فى كيـــان الفرد كما تؤثر فى كيان المجتمع فيها يثق الفرد فى نفسه ويثق أفراد المجتمع بعضهم ببعض — كما يثق الحاكم فى الامـة وتثق الامـة فى الحاكم ويسعى الجميع للبناء البناء السليم المتكامل .

المساواة :

والمساواة بين الناس جميعا مشكلة حارت البرية فيها — ولـــكن الاسلام حلها فى سهولة ويسر وذلك حين خاطب الناس جميعا وبين لهم أنهم من أب واحد وأم واحدة واذا كان قـــد جعلهم شعوبا وقبائل فذلك ليتعارفوا — لا ليطغى بعضهم على بعض — ولا ليستعبد بعضهم بعضا — وهـذا يقتضى المساواة التامة فى الحقوق والواجبات بين أفراد البشرية (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شــعوبا وقبائل لتعارفوا —ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) الحجرات ١٣ .

وفى فتح مكـــة نادى النبى صلوات الله عليه قريشا مذكرا لهم بنعمة الله عليهم اذ ابعد عنهم التفاخر باحساب الجاهلية فقال (يا معشر قريش : ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء) .

وقد أصبح الناس فى الاسلام نوعان : نوع بر تقى فهـــو كريم

على الله ونوع فاجر شقى فهو هين على الله ـ وكان مما قاله رسـول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع (أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ـ كلكم لآدم وآدم من تراب ـ ان أكرمكم عند اللـه أتقاكم) .

وقد وعى المسلمون الدرس جيدا وطبقوه تطبيقا رائعـا فى جميع مجالات الحياة ـ وحين قال أبو ذر لرجل : يا ابن السوداء وقال له النبى الكريم : (طف الصاع طف الصاع ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالعمل الصالح) أدرك أبو ذر ما وقع فيه من خطـأ وسارع بالاعتذار الصادر من القلب حتى انه قال للرجل : ضع قدمك على خدى ـ يريد أن يكفر بذلك عن خطئه .

والشعائر الاسلامية كلها تعمق هـذه المعانى فى نفوس المسلمين جميعا ـ فصلاة الجماعة والصيام والحج ـ كلها تعمل عملها فى تعميق المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامى .

وفى الولايات المتحدة الامريكية لاتزال الفروق قائمة بين المواطنين على أساس اللون أو الجنس وهى قمة الديمقراطية والحضارة فى العصر الحديث ـ فصاحب البشرة البيضاء أسمى منزلة وأعلى قـدرا من صاحب البشرة السوداء ـ والا مساواة بين الاثنين أمـام القانون ولا فى التمتع بالحقوق وان كان الاثنان يحملان الجنسية الامريكية ـ والقانون يحمى هـذا التمايز ويقره ـ بـل ان بعض الولايات الامريكية تنص دساتيرها على أن النكاح من شخص ابيض وآخر زنجى يعتبر نكاحا باطلا ـ وتنص على أن كل من يطبع أو ينشر أو يوزع ما فيـه حث للجمهور أو مجرد اقتراح فى هـذا السبيل يعتبر عمله جريمة يعاقب عليها القانون بغرامة لا تتجاوز خمسمائة دولار أو بالسجن مـدة لا تتجاوز ستة أشهر أو بهاتين العقوبتين .

وبلغت المساواة ذروتها حين يقول الرسول الكريم (سلمان منـا

أهل البيت) ولا يجد عمر بن الخطاب ما يمنعه من أن يقول : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا ـ وهو يقصد بلالا ـ كما يقول حين حضرته الوفاة (لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته) وقد أنتجت المساواة الاطمئنان والمحبة التي سادت المجتمع الاسلامي فأصبح المسلم يحب لاخيه ما يحب لنفسه ـ كما أصبح التكافل بين أفراد المجتمع الاسلامي كاملا من جميع النواحي ٠

العــــدل :

العدل بكل جوانبه أساسي في الإسلام : العدل واجب بالنسبة للفرد مع نفسه وفي ذلك يقول الله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) القصص ٧٧ ويقول الرسول الكريم لاحد الصحابة (ان لبدنك عليك حقا) البخاري ـ كما أن العدل حق بالنسبة للمسلم على المسلم ذلك لأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه) البخاري ـ كما أنه حق بالنسبة للناس جميعا والله سبحانه وتعالى يقول (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) النحل ٩٠ ٠

والعدل في الاسلام واجب على كل فرد وواجب على الجماعة ـ والله سبحانه وتعالى يأمر بذلك (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) النساء ٥٨ كما أنه سبحانه وتعالى يخاطب المؤمنين جميعا أن يكونوا قوامين لله شهداء بالقسط تحت أي ظرف من الظروف ولو كان مع أناس يكرهونهم ـ فالعدل لله سبحانه وتعالى (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ـ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون) المائدة /٨ ٠

والعدالة الاسلامية لا تعرف العواطف فحتى لو كان الخصم قريبا او صاحبا او والدا او غنيا او فقيرا فالقاضي او الشاهد لا شأن له بذلك والله أولى بالجميع (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط

شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) النساء ١٣٥ .

ويعرض القرآن الكريم مشهدا من مشاهد يوم القيامة يبين مدى خسارة الظالم في الدنيا فيقول لاصحابه (الدورون من المفلس ؟ فيقولون على حسب فهمهم : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار فيصحح النبى عليه السلام هـذا المفهوم بقوله (المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقـد شتم هـذا وقذف هـذا وضرب هـذا وسفك دم هـذا - فيعطى هـذا من حسناته وهـذا من حسناته فاذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه - أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار) رواه مسلم - ولذلك فان النبى الكريم كان يقول (من كانت عنده مظلمة لاخيـه من عرضـه أو من شيء فليتحلل منـه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم - ان كان له عمل صالح أخـذ منه بمقدار مظلمته - وان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) رواه البخارى - وقد وعى المسلمون هذه المعـانى جيدا ولذلك فانه حين قال لهم (انصر أخاك ظالما أو مظلوما - سالوه متعجبين : يا رسول الله ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ - مع أن هذا المعنى قبل الاسلام كان لا يثير سؤالا لأن معناه كان واضحا ومطبقا عندهم فقال عليه السلام (ان تأخذوا على يده فذلك نصره ظالما) .

فالعدالة اذن من أسس المجتمع الاسلامى - ولقد طبقت هـذه المعانى تطبيقا رائعا شهد له الاعداء والاصدقاء على السواء - فالنبى الكريم رهن درعـه عند يهودى وحين طالبه اليهودى طالبه فى غلظة قائلا انكم يا بنى عبد المطلب قوم مطل - فهم عمر بأن يؤدبه على هـذا التعدى على الرسول فقال له النبى عليه السلام فى هدوء يا عمر انا وهو كنا احوج الى غير هـذا منك .. تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء) - ولم يفكر النبى الكريم فى احـراج اليهودى بما يملك من سلطان .

ويسير المسلمون على هذا المنهج رافعين راية العدالة المطلقة -

ولقد تعجب من ذلك جعد بن هبيرة فقال لعلى بن أبى طالب : يا أمير المؤمنين يأتيك الرجلان أنت أحب الى أحدهما من أهله وماله — والآخر لو استطاع أن يذبحك لذبحك — فتقضى لهذا على هذا — فلهزه على رضى الله عنه وقال ان هذا شىء لو كان لى لفعلت — ولكن انما ذلك شىء لله ·

وحين جاء يهودى وأمير المؤمنين على بن أبى طالب يختصمان فى درع الى شريح القاضى — ولم يكن عند أمير المؤمنين بينة ولا شهود — حكم لليهودى — فقال اليهودى : هذه أحكام الانبياء — ثم اعترف بأن هذا الدرع لامير المؤمنين سقطت منه فأخذها — وأسلم اليهودى بعد ذلك فما كان من أمير المؤمنين الا ان وهب الدرع لليهودى ·

خاتمة :

ترى لماذا نجح الاسلام فى اعطاء كل فرد فى المجتمع حقوقه الانسانية كاملة ؟ بينما فشلت المجتمعات كلها فى القديم والحديث — فى تحقيق هذه المبادىء على مستوى عام ·

سؤال صعب ولكن لابد من الاجابة عليه — لعل السبب فى ذلك أنه أولا أوامر صادرة من الله سبحانه وتعالى لا وصايا أو أوامر تشريعية مقررة بنصوص تشريعية لضمان تنفيذها بقوة الضمير النابع من داخل المسلم امتثالا لاوامر الله أولا وبقوة القانون ثانيا — وقد جعل الاسلام تقدير العقوبة لرجال السلطة والقضاء كلما انتكت هذه الحقوق — وهو مالم يصل اليه نص من نصوص الاعلان العالمى لحقوق الانسان ولا نصوص الميثاق الدولى الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للانسان — فهى لا تخرج عن كونها توصيات أدبية ·

وقبل هذا كله فالمسلم يعلم أن له رسالة فى هذه الحياة وهى تحقيق خلافة الله فى الارض وهى خلافة قائمة على أساس التساوى الكامل بين الناس جميعا — وفى الوقت نفسه خلافة ليس فيها وساطة

بين العبد وربه تحت أى ظروف (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان) البقرة ١٨٦ ـ خلافة ملتزمة بمبادىء شريعة الله التى تحقق المصلحة العامة للناس جميعا ـ والقانون وحده لا يصل الى كل انسان ولا يمكن ان ينفذ الا فى ظروف خاصة ومن هنا فقد كان الاحسان أساسيا فى الاسلام ومعناه أن يعبد الانسان ربه كأنه يراه فان لم يكن يراه فان الله يراه كما ورد فى الحديث الشريف الذى رواه البخارى ـ ومن هنا أطلق الاسلام على الدعوة الاسلامية تعبيرا دقيقا يدل على مـــدى ملاءمته للمجتمعات فقد أطلق على دعوته ـ الدعوة الى الحياة ـ الحياة الحرة الكريمة ـ الحياة التى يحقق فيها المســلم رسالته على هـــذه الأرض يقول الله تعالى (يأيها الذين أمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لمـــا يحييكم) القلم ٢٤ ـ فقد اعتبر الاسلام حـــل تلك المشكلات الانسانية الحيوية ملازما لدعوة الله فى الارض ـ والايمان بالله رب العالمين ـ وقد تنبهت الى ذلك الدكتورة لـــورا فاجليرى فقالت فى كتابها تفسير الاســـلام ٠٠ (تحررت الروح من التعصب ـ وتحررت ارادة الانسان من الروابط التى طالمـــا ربطتها بارادة الآخرين) ٠

الاحساس بالتفوق العقائدى عند المسلم هـــو سر بقـــاء الامة الاسلامية وعصمتها من الفناء ـ رغم وقوعها تحت النفوذ الســـاحق لخصمها الشرس الذى يملك من وســـائل التغريب ـ بل والافناء والتدمير ـ ما لم يتح لمنتصر على طوال العصـــور ٠

ولن يعطى الانسان حقوقه فى هـــذا العالم الممزق الا اذا اتبع شريعة الاسلام وطبق تعاليمها ـ حينئذ يتغير وجـــه المجتمع ويحس كل فرد من أفراد الانسانية أنه قد ولد من جديد وعاش حيـــاة ملؤها السعادة والاطمئنان ٠

تكيف المسلم فى ظلال التربية الاسلامية

تمهيد :

يقصد بالتكيف فى علم النفس العملية الديناميكية التى يهدف بها الشخص الى أن يغير سلوكه ليكون أكثر توافقا بينه وبين نفســـه من ناحية ، وبينه وبين البيئة التى يعيش فيها من ناحية أخرى وبذلك يكون قادرا على تكوين العلاقات المرضية بين الفرد وبين بيئته ، وذلك يعنى التآلف والتقارب والتفاهم واجتماع الكلمة ٠

ولكى يكون الانسان متوافقا بينه وبين نفسه لابد وأن يكون قادرا على أن يتعامل معها وأن يعرف كيف يسعد بهـــا وكيف يسيطر عليها ــ وفكرة المرء عن نفســـه هى النواة الاساسية التى تقوم عليها شخصيته وهى العامل الاساسى فى تكيف الشخص الاجتماعى أيضا ٠٠ والصورة الذهنية التى يكونها المرء عن نفســه ذات أبعاد ثلاثة :

١ ــ فكرة المرء عن قدراته وامكاناته ٠

٢ ــ فكرة المرء عن نفسه فى علاقاته بغيره من الناس ٠

٣ ــ نظرة الفرد الى ذاته كما يجب أن تكون ٠

والصورة الذهنية بأبعادها الثلاثة تؤثر بطريقة مباشرة فى حياة الفرد وتحدد الاسلوب الذى يحقق له التكيف والمواءمة مع كل جانب من جوانب البيئة المادية والاجتماعية والنفسية ٠

ويقصد بالبيئة كل المؤثرات والامكانات والقوى المحيطة بالفرد التى يمكنها أن تؤثر على جهوده للحصول على الاستقرار النفسى والبدنى فى بيئته وهى تشمل البيئة الطبيعية كما تشمل البيئة الاجتماعية ٠

فالبيئة الطبيعية :

تشمل كل ما يحيط بالفرد من مسكن أو ملبس أو طعام أو غير

ذلك مما يحيط بالفرد من أشياء مادية وطبيعية وكل ما يلزمه ويحتاج اليه من مواد وأدوات تساعد على الحياة والكفاح فى سبيل الاستمرار والبقـــاء مثل الطعام والملبس والسكن فهى تمثل جوانب هامة طبيعية تؤثر على نمو الفرد وقدرته على التوافق ومقدار ما يبذله من جهـــد فى سبيل تحقيق أكبر قـــدر من السعادة لنفسه ولاسرته ٠

والبيئة الاجتماعية :

تشمل المجتمع والعلاقة بين الافراد بعضهم مع بعض ـ كمـــا تشمل العادات والتقاليد والقوانين التى تنظم علاقة الافراد بعضهم مع بعض ـ وهى علاقة قـــد تقوم على التعاون أو التنافس ـ على المحبة أو التنابذ ٠٠ فالانسان يتفاعل مع المجتمع يأخذ منـــه ويعطيه ـ وقد أدت طبيعة العلاقات الاجتماعية بين الافراد الى وجود نوع من الشعور الاجتماعى المشترك بين أفراد الجماعة الواحدة يتجلى فى تضامن أعضاء الجماعة تجاه المهمات المشتركة والمسئوليات العامة ٠

والبيئة بالنسبة للفرد أما جسمية وأما نفسية : فقد أثبت العلم الحديث وجود ظاهرة التكيف فى الجسم ومن أمثلة ذلك أنه عند ما يصاب جزء من الجسم بعطل فان باقى أجزاء الجسم تسرع الى التكيف على الظروف الصعبة الجديدة فيزداد نشاط الاجهزة الجديدة كلها بحيث يعوض أى نقص قـــد حدث وقد ثبت أن القلب يتضخم الى أكثر من ثلاثة أضعاف حجمه ليواجه أزمة فى الجسم ـ وانه اذا توقفت كليـة عن العمل فان الكلية الأخرى تسارع الى عمل مضاعف حتى تصل الى عمل الكليتين ـ ويشمل التكيف كافة الوظائف العضوية والاجهزة الهضمية أو العصبية ٠

والبيئة النفسية للفرد تعنى أن يكون الفرد قادرا على أن يتعامل معها وأن يتعلم كيف يسعد بها ويسيطر عليها ٠

والتكيف يجب أن يكون عملية ايجابية مستمرة تواجه مطالب الظروف المتغيرة لان الحياة فى تغير مستمر وهى لذلك تتطلب من الفرد

ان يكون مرنا ازاء القيم الجديدة ما دامت لا تتعارض مع معتقداته وأخلاقه التى يكون أساسها اسلاميا ، والا انهار كل شيء ـ انهار الانسان من كل جوانبه وبالتالى انهار المجتمع الذى يمثله ٠

أبعاد التكيف :

التكيف اما شخصى واما اجتماعى ا فالتكيف الشخصى معنـــاه أن يكون الفرد راضيا عن نفســـه وأن تكون حياته خالية من التوترات والصراعات النفسية التى تقترن بعناصر القلق والضيق والشعور بالذنب ويساعد على ذلك أن يدرك الفرد ما زود به من امكانات بدون حط من قدرها وزيادة فيها وأن ينجح فى تحقيق آماله طبقا لامكاناته وان يكون راضيا عن هـــذا النجاح ٠

والانسان غير المتكيف مع نفســـه فرد يعانى حربا تدور رحاها بين جوانب نفســـه ـ والتى تستنفذ قدرا كان يجدر أن يستغل فى أشياء أخرى ـ ولذلك فاننا نرى الشخص غير المتكيف مع نفســـــه قليل الحيوية سريع التعب عاجزا عن المثابرة وبذل الجهـد والانتاج ٠

ورضا الفرد عن نفســـه يجعله يقبل على عمله فى همـــة وفى الوقت نفسه يكون سعيدا به مما يزيد فى كفايته الانتاجية ويقلل من حوادث العمل ـ وعـدم الرضا ينتج عنـه سوء التكيف وبذلك يظهر العجز والملل وينساق وراء أحلام اليقظة ويصبح من الصعب عليـــه أن يتكيف وفقا للمعايير التحكمية فى العمل أو متطلبات صاحب العمل٠

والتكيف السليم لا يتحقق الا اذا كانت حياة الفرد خاليـــة من الازمات والاضطرابات النفسية المختلفة الا اذا كان الفرد قادرا على مواجهة المشكلات بطريقة موضوعية ينعم فيها بحياة مستقرة هادئة يشـــعر فيها بالرضـــا والاقبـــال على العمل والانتاج ـ وهـــذه أيضا خصـــائص الشخص الناضـــج الســـوى فالناضج هو الشخص الذى تزداد ارتباطه بالحياة قوة ودســـامة وباستمرار لان اتجاهاته تشجع على نموها ـ والانسان الناضج هـو الذى تتوافر فيه صفات أهمها ان يحسن استخدام وقت فراغه وأن يروح عن نفسه فى ظل النظم الســـائدة وأن يؤمن بالتعاون والعمل لخير

الجماعة وتقبله لها وان يعرف قــدر نفســه وأن يحس بالسعادة فى كل عمل يقوم بــه نحو نفسه ونحو مجتمعــه ونحو قيمة ثم هــو الذى ينظر الى كل ما يحيط به نظرة موضوعية يخطط وينظم ويعمل فاذا وفق شكر الله واذا لم يوفق حمد الله وتمثل بالآية الكريمة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) البقرة ٢١٦ ٠

والتكيف الاجتماعى :

هو قدرة الفرد على أن يعقد صلات اجتماعية راضية مرضية مــع من يعاشرونه أو يعملون معه من الناس ـ صلات لا يغشاها الاحتكاك والتشكى والشعور بالاضطهاد ـ ودون أن يشعر الفرد بحاجة ملحة الى السيطرة أو العدوان على من يقترب منه أو برغبة ملحة فى اطرائهم له او فى استمرار عطفهم أو طلب المعونة منهم ٠

والمتكيف مع المجتمع أقدر على ضبط نفسه فى المواقف التى تثير الانفعال فهو لا يثور ولا يتهور لاسباب تافهة ولا يعبر عن انفعــالاته بصورة طفلية فجة ـ هــذا الى قدرته على معاملة الناس له بصورة واقعية لا تتأثر بما تصوره له أفكاره واوهامه عنهم ـ ولذلك يوصف المتكيف بانه ناضج انفعاليا ٠٠ يقــول المفكر الاشتراكى الفرنسى (اندريه فيليب) ان الصراع هــو المظهر الرئيسى لكياننا الاجتماعى وان أى صراع فى المجتمع ينعكس على الافراد ويسبب لهم الضيق والقلق والآلام والتأزم النفسى) وهو يوضح بهــذا الصراع فى المجتمعــات الرأسمالية وأثره الواضح فى أفراد المجتمع وبالتالى فى المجتمع كله ٠ وأندريه مورا فى كتابه فن الحياة يقول (ان العمل نشــاط ينقــذ الرجل من نفسه ـ والكسل يجعله فريسة للاسف الذى لا ينفــع وللمجالات المنطوية على المخاطر ـ ان العمل وقانا من الملل والرذيلــة والفقر ـ فالشعب المشغول بعمل يؤمن بقيمته ويؤديه بمحض رغبته هــو شعب سعيد حقا) وهو يهدف بذلك الى أن العمل فى حد ذاته قيمة ونعمة كبرى يسعد بها الفرد ولكن على أن يكون بعيدا عن صراعات

الحياة قريبا من التعاون فيحس كل فرد بالاطمئنان النفسى الذى يريحه ويجعله راضيا عن مجتمعه ٠

والانسان بطبيعته حريص على الحياة شغوف بها شديد الحنين نحوها كبير الشوق اليها فاذا تجاوز هـذا كله وبدا يحطم كل هـذا التاريخ فان المسألة تحتاج إلى وقفة تأمل اذ أن معنى ذلك أن الانسـان بدأ يفقد تكيفه مع نفسـه أو مع مجتمعه أو معهما معـا ـ وحين تصبح الميول الانتحارية ظاهرة من ظواهر المجتمع فان هـذا الموقف يحتـاج الى وقفة لمراجعة الظروف التى تدفع الى هـذا التغيير فى حيـاة الانسان وفى علاقته بالحياة الا فان النتيجة هى الامراض النفسـية والعقلية التى يترتب عليها التخلخل داخل المجتمع ـ ففى الاحصاءات التى قام بهـا مكتب الاحصاء الامريكى عـام ١٩٦٨ (ان الانتحار قد أصبح سابع أسباب الموت في الولايات المتحدة الامريكية) وعلماء الاجتماع يقولون (ان الارقام قـد أصبح سـابع أسباب الموت فى الولايات المتحدة الامريكية) وعلماء الاجتماع يقولون (ان الارقام الحقيقية ترتفع عن الإرقام المذاعة بمقدار الثلث لان ظروف الانتحار تكون عـادة ظروفا شاذة ندفع الى اخفائها) ٠

وسجلت الاحصاءات انه فى الاعمار من ٢٠ ـ ٣٠ سنة فان الحالات الانتحارية تضاعفت ثلاث مرات عما كانت قبل عـام ١٩٦٤ وبهذا يصبح الانتحار هو السبب الثالث للوفاة فى ربيع العمر ٠٠٠ أما الشروع فى الانتحار فانه يمثل عشرة أضعاف الانتحار الفعلى وعلى هـذا الاساس فى التقدير فان خمسة ملايين من الامريكيين يشرعون فى الانتحار كل عام ـ وقد ذهب الاستاذ ادوين شبندو وان مؤسس علم الانتحار الى الاعتقاد بأن ادمان المخدرات والخمر والبدانة المفرطة والاكثار من التدخين صور للانتحار ـ وعلى أساس هـذا الاعتبار فانه يرى ان أربعة أضعاف العدد الذى يشرع فى الانتحار أو ينفذه لديهم ميـول انتحارية ، وبهـذا يرتفع عدد الذين لديهم ميول انتحارية الى عشرين مليونا يمثلون ١٠٪ من الامريكان وهى نسبة مفزعة ـ ولذلك فقد ألف الرئيس الامريكى كارتر لجنة خاصـة الكتبه المباشرة لبحث مشاكل

الصحة النفسية والعقلية واختار قرينته لرئاستها الشرفية ـ وطبقا لما نشر فى مجلة بوراس نيوز أندول بيوت فان الاحصاءات التى جمعتها هذه اللجنة تقول (ان الاحصائيين فى الامراض العقلية وحدها قد استقبلوا فى عام ١٩٧٥ نحو ٦٧ مليون حالة وهذا الرقم لايمثل سوى ٢١ من مجموع الـ ٣٢٪ مليون أمريكى الذين ترددوا على العيادات النفسية والعقلية سواء أكانت فى المستشفيات العامة أو لدى الاطباء الخصوصيين ـ وقد ثبت ان ٧٥٪ تقريبا من مجموع الحالات النفسية والعقلية فى عا ١٩٥٥ كانت تتردد علىأ المستشفيات العامة ـ أما الآن فان ٧٩٪ تقريبا من مجموع الحالات تردد على العيادات الخاصة أى أن الوضع انعكس تماما رغم زيادة عدد الحالات لاكثر من أربعة أضعاف فى خلال عشرين حالة عاما فحسب .

وفى السويد أذاعت وزارة الشئون الاجتماعية عام ١٩٧٣ تقريرا خطيرا اكتشفت فيه أن ٢٥٪ من سكان السويد مصابون بأمراض عصبية ونفسية وأظهر التقرير أن ٣٠٪ من مجموع النفقات الطبية فى فى السويد ينفق فى علاج الامراض العصبية والنفسية ، وأن ٤٠٪ من مجموع الاشخاص الذين يحالون الى المعاش قبل سن المعاش بسبب عجز عن العمل تماما هم من مرضى العقول ـ وقال التقرير :: ان هذه الحقائق تؤكد أن هناك خطأ ما فى العلاقة بين الفرد والمجتمع .

نعم هناك أخطاء كثيرة اذ أنه لا توجد صلة بين العبد وربه فلا يجد ما يستمسك به ولا ما يشعر بأنه يشد أزره ويسدد خطواته وليس هناك أمن بين الانسان وبين نفسه ولا بينه وبين مجتمعه فالقيم ـ هناك ـ كلها مادية ـ والاسلام يرى أن المادة على أهميتها أمرها هين ـ والرسول الكريم يبين ذلك فى قوله (من بات آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) والانسان هناك لا يحس بالاخوة والمحبة ولا بالتعاون والتضامن ـ الاشياء التى تجعله يحس بالامن والهدوء النفسى .. وفى المجتمع الاسلامى يحس المسلم بأنه أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وهو يسعى فى حاجته ويحس بأنه ومن معه فى المجتمع كالجسد الواحد اذا اشتكى منه

عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ، وكالبنيان المرصوص يشـــد بعضــه بعضا ـ والمسلم اذا وقع له ما لا يريده فانه يستريح فانه يستريح بقوله : قـــدر الله ما شاء فعل ـ وان غلبه أمر قال : حسبنا الله ونعم الوكيل وان أصابته مصيبة قال : انا لله وانا اليه راجعون ـ ثم يدعو : اللهم انى عبدك احتسبت مصيبتى فأجرنى عليها وأبدلنى خيرا منها) وهكذا مما يجعله يحس بالراحة والاطمئنان ٠

عوامل التكيف :

من عوامل التكيف قدرة الفرد على أن يكون متلائما مع نفســـه ومع القيم والاهداف التى ارتضاها والى درجة معقولة من التكيف مع الجماعة التى يعيش فيها وأن يترتب على ذلك شعور الفرد بتقبله لذاته وتقبل الآخرين له مع الشعور بالسعادة والارتياح فيما يقوم بـــه من تصرفات وسلوك يقول فرانكل (ان للانسان قدرة على أن يحيـــا من أجـــل قيمة ومثله العليا وهو أيضـــا يستطيع الموت فى سبيلها) ومدى نجاح الفرد يظهر فى التزامه بالقيم العليا المستمدة من الرسلات السماوية وقدرته على السمو والالتزام بالاهداف والقيم السامية ـ وذلك يجعله يحس بأنه متميز عن غيره من بنى الانسان فيعمل وينجح فى تحقيق أهدافه الخاصة مع الالتزام بقيمة الدينية التى لا تتعارض مع مصالحة ولا مع مصالح الانسانية ٠

ومن عوامل التكيف أن يكون الانسان قادرا على توجيه حياته توجيها ناجحا ، وأن يشبع حاجاته بطريقة لا تعوق اشباع الحاجات المشروعة للآخرين ـ وأن يتوفر لدى الانســـان العادات والمهارات التى تسير له اشباع حاجاته الملحة ، وأن يعرف نفسه ويتقبلها ٠

ومن عوامل التكيف : أن يكون الانسان مرنا ـ بمعنى أنـــه يستجيب للمؤثرات الجديدة استجابة ملائمة ـ والمطلوب المرونة القوية وهى التى يتكيف فيها الشخص مع البيئة الجديدة دون أن يغير من طبيعته وشخصيته الاصلية ـ لا المرونة التى يتقبل فيها الفرد قيم البيئة الجديدة ومثلها تقبلاً يؤدى به الى أن يكر شخصيته الاصلية ٠

مظاهر التكيف السليم :

للتكيف السليم مظاهر يراها الناس ويحس بهـــا صاحبها منها : الراحة النفسية : بمعنى أن الشخص يستطيع مواجهة العقبات ويحل المشكلات بطريقة يرضاها لنفسه ويقرها المجتمع وبذلك لا يحس بالتعب النفسى أو الاكتئاب أو القلق الزائد أو عدم الاقبال على الحياة ... وهذا ما يجعله يستطيع الصمود حيال الازمات والشدائد وضروب الاحباط المختلفة دون ان يختل ميزانه ويشوه تفكيره ودون أن يلجـــأ الى أساليب ملتوية غير ملائمة لحل أزمته .

ومنها الكفاية فى العمل والانتاج في حـــدود ذكاء الفرد وحيويته واستعداده اذ أن العمل له صلة وثيقة بالاهداف التى تكمن وراء السلوك الانسانى فعن طريق العمل يطمئن الانسان على حاضره ومستقبله الى جانب أنه وسيلة للتأثير فى البيئة التي يعيش فيها ويحقق لنفســـه مركزا مرموقا فى المجتمع الذى ينتمى اليه .

ومن مظاهر التكيف السليم أيضا : اتخاذ أهداف واقعية وبذل الجهد والعمل المستمر فى سبيل تحقيق هـــذه الاهداف والقدرة على ضبط الذات وتحمل المسئولية وعلى تكوين علاقات مبنية على الثقـــة المتبادلة وعلى التضحية وخدمة الآخرين والبذل والعطـاء ، ومنها الشعور بالسعادة حين يواجـــه مشكلاته بالحكمة ويصبح الشـــعور بالذنب عنده عاملا يتحدى أمانته مع نفسه ومع الآخرين ... ومنهـا أن يكون الفرد سليم الجسم اذ أن الامراض قـــد يكون سببها عـــدم التكيف كالقلق والخوف والشعور بالذنب وذلك قـد يؤدى الى اضطرابات عضوية خطيرة كارتفاع ضغط الدم وأمراض المعـدة حتى لقد قال أحـــد علماء الطب (ان أمراض المعدة لا تأتي مما تأكله بل مما يأكلك) .

الاسلام والتكيف :

أثبتت الدراسات النفسية أن القيم الروحية والتعاليم الدينيـــة تجنب الفرد الوقوع فى الخطأ وبالتالى تخفف من حـــدة التوتر الذى

يسببه له تصارع الدوافع والاتجاهات ـ وما قد يؤدى اليه من مشاعر الذنب الناتجة عن ارتكاب الاخطاء ٠

والانسان يشعر بالامن النفسى حينما يسلك سلوكا مقبولا نابعا من قانون أخلاقى يستند الى الدين ففى ضوء هذه القيم يعيش الفرد فى اطار نفسى وفكرى يستمد منه دائما أنماطا سلوكية سليمة وبالتالى تكيفا سليما ٠

والفرد الذى يتمسك بنظام من القيم يتمسك فى الوقت نفسه باطار يحدد أساليب سلوكه ـ ويجد الفرد سندا قويا يلجأ اليه اذا ضاقت به الامور ـ وشعوره بهذا السند المتين يكون أمرا باعثا على الاطمئنان النفسى والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء ٨٢ ـ فالقرآن شفاء من القلق ومن الحيرة ومن الاضطراب ذلك لان المسلم يحس بأن الله معه يرعاه فيحس بالراحة والاطمئنان والامن ويجد ويبعد لك عند اليأس والقنوط لان اليأس والايمان لا يجتمعان فى قلب مؤمن كما يقول النبى صلوات الله عليه والى جانب ذلك فالاسلام له قيمه البعيدة عن قيم الناس فالمال والجاه ليس لهما أهمية فى الاسلام ـ والمسلم اذا أراد شيئا فى هذه الحياة فعليه أن يسأل من فضله (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله) النساء ٣٢ ٠

والاسلام يجعل المسلم يحس بكيانه وأهميته منذ البداية لانه خليفة الله فى الارض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل والامن بين الناس ، وحين يحس بأن ما حوله فى الكون صديق له وقد سخره الله له (خلق لكم ما فى الارض جميعا) البقرة ٢٩ فهذا يجعلة فى راحة نفسية تجعله أقدر على التكيف مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه [illegible]

والفرد بمجرد دخوله الاســـلام عن اقتناع وفهم وتدبر يكون قوى التكيف سريع الاستجابة لكل المواقف التى تتمشى مـع الاســـــلام وتعاليمه ، ومن ذلك ما حدث للذين كانوا يشربون الخمر حين نزلت الآية الكريمة (يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟) المـائدة ٩٠ ـ ٩١ ـ فقالوا فور سماعهم هـــذه الآيات الكريمة انتهينا ربنا وكسروا زقاق الخمر وأراقوا مـا فيها على الارض ٠

ولكى يكون الانسان متكيفا مع المجتمع الذى يعيش فيــه فان المطلوب منــه أن يكون هادىء النفس أو على الاقل ـ ألا يكون سريع الثورة عند الغضب ـ وما أكثر مواقفه ـ بـل يملك نفســه يقول الرسول الكريم (ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب) ٠

وحين يحس المسلم بأن باب الله مفتوح أمـــامه دون وساطة فانه يستريح نفسيا ويكون أقـــدر على التكيف مع نفسه ومع مجتمعـه (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعـــوة الداعى اذا دعان) البقرة ١٨٦ ـ فيلجأ الى الله ويطلب ما يريد ٠

والاسلام يقوى التكيف لدى المسلمين بالاهتمام بالوسائل الدافعة المتمثلة فى القدوة الحسنة والبيئة الصالحة والترغيب والملاينة قـال الله تعالى لنبيه الكريم (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران ١٥٩ ـ وفى استخدام الوسائل المانعة كالتهديد أو العقـــاب عند الضرورة ـ لأن الافراط فى العقاب أو اللوم قد يفضى بالفرد الى حالة من اليأس أو عـــدم الاكتراث وبذلك يصبح العقاب معطلا ٠

والتربية الاسلامية لم تتخذ من الوعظ سبيلا الى التربية الخلقية بـــل انها اتخذت وسائل موضوعية من الملاحظة والانصهار والمقارنة

بما يساعد الفرد على التبصر وما يناسبه من قيم لتصبح أساسا للسلوك عنده فى الحياة وبالتالى تحقق لونا من ألوان الانسجام والتوافق ٠

وقد ترتب على التكيف الذى حدث فى المجتمع الاسلامى الاول أن دخـــل الناس فى دين الله أفواجا لانهم وجدوا فى صاحب الدعوة الرجل الذى يعرف قيمة نفسه ويسير فى سلوك سليم وهـــذا هـــو التكيف الشخصى ، والذى يعرف قيمة غيره ويتجاوب معهم تجاوبا كريما فى حدود دينه ومثله ــ وهـذا هو التكيف الاجتماعى وهو الذى يقول (المؤمن هين لين ولا خير فى من لا يألف ولا يؤلف) ٠

والقرآن الكريم يدعو الناس جميعا ــ ولا سيما المسئولين الى التكيف الاجتماعى ــ مع أفراد المجتمع الذى يعيشون فيـــه ويقول لنبيه الكريم (وانك لعلى خلق عظيم) نون ٥ ٠

خاتمة :

تحرص التعاليم الاسلامية والقيم الروحية على تجنيب الانســـان الوقوع فى الخطأ ــ وتعمل على تخفيف التوتر الى أقصى حـــد يسببه له تصارع الدوافع والاتجاهات ــ وما قـــد يثير فيه من مشـــاعر الذنب الناتجة عن الاخطاء ــ والانسان يشعر بالامن النفسى عندما يســـلك ســـلوكا معينا مقبولا لا يستند الى الدين ٠٠ والمبادىء الاسلامية تعتبر محددة للسلوك وموجهة للتفكير ــ وهى لذلك أعظم ركيزة أساسية تقوم عليها أساليب التكيف ــ وبقدر ما يستند سلوكه وتفكيره على هـــذا النظام بقدر ما يكون أقـــدر على التكيف النفسى السليم ــ وهـذا الفرد يتمسك أيضا باطـار مرجعى يلجأ اليـــه باستمرار واذا ضاقت بـه الامور وحالت دونه الظروف ٠

والمجتمع الاسلامى يقوم على التعاون والتناصح والمودة ــ ومن هنـا كانت فيه الراحة النفسية وبالتالى التكيف النفسى ٠

وقد استطاعت **التربية الاسلامية بالمنهج الربانى** ان تحرر نفوس من دخل الاسلام على الانقياد لهذه المشاعر القوية ولانقياد لهـــذا السلوك ـ جـــاء **الاسلام ليربط القلوب بالله وليقيم موازين القيـــم** الاخلاقية يميزان **الله ـ وليخرج المسلمين الى مجال الاخلاق والتعامل** مع الاصدقاء ومع الاعداء **على السواء ـ ووصلت سعادة الافراد والجماعات** الى درجة **تهفو اليها نفوس الناس فى عصرنا الحاضر فى** الشرق وفى الغرب على السواء ٠

المسلم المعاصر فى خلال التربية الاسلامية

تمهيـــد :

يكثر فى هذه الأيام الحديث عن المعاصرة والتربية المعاصرة والمسلم المعاصر ـ وبعض هذه الكتابات تأخذ الموضوع من زاوية غربية وبعضها يأخذها من زاوية شرقية وبعضها يحاول أن يوضح النظرة الاسلامية ـ وان كان ذلك جد قليل فى وطننا الاسلامى ٠

والعصر الحديث ـ مشكلاته كثيرة ومعقدة ـ والمعرفة فيه متنوعة والتقدم التقنى فيه هائل وتحركات الانسان أصبحت فيه سريعة حتى ان الانسان ليكاد ان يكون قد نسى نفسه وسط هذه التيارات المختلفة وذلك التغير السريع ٠

والتربية الاسلامية تربية متكاملة تحرص على الفرد وتحرص على المجتمع وتحرص على القيم المادية والقيم الروحية وتحرص على الأخلاق كما تحرص على سعادة الفرد وعلى سعادة المجتمع فى اطار الاسلام ـ وهى فى النهاية تحرص على أن تخرج المسلم الفاهم الواعى المتطـــور الذى يستطيع ان يحقق رسالته التى أعده الله لها وهى عمارة الأرض واحقاق الحق وابطال الباطل ونشر العدالة والأمن فيها ٠

وقد وجدنا بعض علماء التربية المسلمين فى العصر الحديث ينقلون عن الغرب تربيته بمفاهيمها وقيمها وتصوراتها ويريدون أن يطبقـوا هذا كله على أبنائنا المسلمين ـ بل ولقد طبقوه بالفعل على مدارسنا ـ ولعل السبب فى ذلك هو جهلهم بالاسلام وبالتربية الاسلامية ونحـــن نعلم أن فاقد الشىء لا يعطيه ٠

وبعض علماء التربية الغربية لا يعترف بالدين ويرى أنه خرافة

ـ وتقوم تربيتهم على هذا الأساس والاسلام ـ دين ثابت نؤمن به ونعتز بانتسابنا اليه ونعمل على تطبيقه فى حياتنا ـ وبعضهم يؤمنون بالدين ولكنهم يؤمنون به داخل الكنيسة فقط ولا يمكنونه من قيادة حركة الحياة عندهم وذلك لأنهم جربوا قيادة الكنيسة فوجدوها فاشلة ولاقوا المتاعب المختلفة من هذه الناحية ذلك لأن الكنيسة كان لها السيطرة التامة على كل شئون المسيحيين ـ والاسلام ليس فيه رجال دين وانما فيه علماء دين ـ وعلماء الدين ليس لهم ميزة فى الاسلام على غيرهم فهم لا يحرمون حلالا ولا يحللون حراما وليس لهم جنة ولا نار ولا صكوك غفران بل انهم مسئولون امام الله عن كل ما يعلمونه فى الدنيا كأى مسلم ـ وان كان حسابهم يزيد بمقدار علمهم ـ ويمكن لأى انسان يدرس الاسلام دراسة وافية أن يكون عالم دين ـ وكل عالم من علماء الدين الاسلامى يناقش فيما يقول وينظر فى مدى مطابقة ما يقوله لكتاب الله وسنة رسوله ـ وهم ـ يفتون فى الأمور الدينية طبقا لما جاء فى القرآن فى السنة فان لم يجدوا اجتهدوا وقاسوا واستحسنوا ـ وليس لهم حينئذ ان يجبروا أحدا على قبول فتاواهم ٠

العصر الحديث والتربية والغربية :

والعصر الحديث يتميز بالمعرفة الواسعة التى تتضاعف بين فترة وأخرى ـ وبوسائل المواصلات السهلة التى جعلت العالم كله وكأنه قطر واحد وبوجود أجهزة الدعاية والاعلام من اذاعة وصحافة وتلفاز وبذلك تقاربت المسافات وعرفت الأخبار والمعلومات فى سرعة عجيبة ـ وتقدمت وسائل التقنية التى يستخدم بعضها لفائدة البشرية ويستخدم بعضها لاهلاكها أو لتقسيمها الى وحدات متصارعة بهدف الربح المادى أو السيطرة أو هما معا ٠

كما يتميز العصر الحديث بوجود أزمة نفسية سببها فقدان فهم الطبيعة البشرية ذلك لان الفلسفاتالتربوية فى الشرقوالغرب تناولت الانسان من جوانبه المادية وحدها فحدث اختلال فى كل أنواع التربية ، ولقى الانسان المعاصر ألوانا من التعب فى صغره وفى كبره على السواء ـ وأصبح فاقدا القدرة على التكييف مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش

فيه ـ وسبب ذلك أن الغرب أهمل الناحية الروحية لوجود عـــداء بين المفكرين وبين الكنيسة فى العالم المسيحى ، وهذا العداء قد استشرى حتى أدى فى النهاية الى العديد من الفلسفـــات الوضعية التى تركت بصماتها بوضوح على التعليم ، وقد عمل الاستعمار الأوربى على تلقين هذه القيم الوضعية السائدة فى دولة للدول التى يستعمرها فتســهل بذلك مهمتهم فى استغلاله والسيطرة عليه ـ وقد حدث هذا فى الدول العربية والدول الاسلامية وفى الهند وغيرها ـ وهذه الدول بعـد أن استقلت ورحل الاستعمار عنها لم تتغير فى انتماءاتها ولا فى أفكارها بعد الاستقلال ـ لأن الاستعمار قد بنى أسسها التربوية على قواعـــده وأعد من يقوم بالسير على هذه الأسس من أبناء الأمة وهو يقف وراءهم يمدهم بالعون والمساعدة الأدبية والسياسية بل والعســـكرية اذا لزم الأمر ٠٠ والى جانب ذلك فان البلاد الاسلامية تستورد الكثر من عناصر الحياة بعضها من الشرق وبعضها من الغرب ، ســـواء أكان ذلك فى التجارة أو الصناعة أو العمارة أو الأزياء وأساليب الترويح وتقـــديم الطعام وما الى ذلك من الزينة والاسراف فيها والاهتمام بملابس الشهرة والتبرج والتزين ، وهذا هو الأسلوب الغالب على العصر ـ وهـــذا من الأسباب التى تجعل البلاد الاسلامية تأخذ مع هذه العناصر كثيرا من أساليب الحياة وبالتالى كثيرا من الأفكار التى لا تتسق مع التربيـــة الاسلامية (من تشبه بقوم فهو منهم) وقد كان من المفروض أن تكون ثمار التقنية الحديثة وسائل يستخدمها المسلم ليحقق الأهـــداف التى يعتنقها لا أن تكون هى الأهداف التى يسعى اليها الى تحقيقها والا فان الأمر يكاد يكون كارثة حين تكون هى الأهداف التى يعمل المسلم عـلى الوصول اليها لأن المسلم له قيمه وأخلاقياته الاسلامية الخاصة ٠

وقد ظهر أن المبالغة فى الاعتماد على أجهزة الضغط الآلى قد يسلب من الانسان كثيرا من حريته الشخصية وقدراته الذاتية ومهاراته ويجعل من تلك الاجهزة نوعا من القيود التى تحد من انطلاقه فى التفكير والابداع فى وقت يعتبر تحقيق الشخصية الفردية والمجتمعات وتنميـة الملكات

الشخصية والقدرة على الابداع من بين الأهداف الرئيسة للعملية التربوية ـ والآلية تفقد الانسان الرعاية العاطفية والمشاعر الانسانية .

والمسلم مطالب بأن يعيش بقيمه وأخلاقه التي قررها الله تعالى حتى يستطيع أن يحتفظ بشخصيته التي تمكنه من أداء رسالته في هذه الحياة .

مشكلات المسلم المعاصر :

جاءت المدنية الى البلاد الاسلامية وجاءت معها وسائلها وقيمها وأخلاقياتها وأساليب تربيتها وكان من أثر ذلك أن تغير الكثير من مظاهر حياتنا الخاصة والعامة كما تغيرت نظم الادارة والحكم والقانون وبالتالي تغير نظامنا التعليمي وحل محله تعليم جديد يهتم بالناحية المعرفية وحدها ولا يهتم بالروح ولا بالعواطف والسلوك والاتجاهات .. وأفقدنا هذا القدرة على التحكم في حاضرنا لانه نما في كثير من جوانبه في بيئة غير بيئتنا ، وأصبحنا تابعين لغيرنا في مجال الحياة الفكرية والاجتماعية ، وشلت ارادتنا وقلت مقاومتنا شيئا فشيئا حتى يمكن أن نقول انها توقفت وترتب على ذلك ـ أننا اهتممنا بالقشور وتركنا اللباب ، واعتنينا بالمظاهر وتركنا اللباب ، واعتنينا بالمظاهر وتركنا الجوهر ، وأصبنا من جراء ذلك بانفصام في شخصيتنا ، وأصبح هناك ازدواجية في المجتمع بين الضمير ومستوى الأداء ـ بين القول والعمل ـ بين الايمان والسلوك ، بل وأصبح المسلمون يفهمون الاسلام كما يفهم المسيحيون المسيحية ـ فالاسلام خاص بالصلاة والصيام وبقية الشعائر ـ أما القيم والأخلاق وما الى ذلك فهي بعيدة عن اسلام المسلم ـ مع أن العبادة في الاسلام شاملة لكل شيء يقوم المسلم بعمله ما دام يهدف بذلك الى تحقيق رسالته في هذه الحياة يقول العالم الفرنسي الدكتور دى بروجسى (ان الخطر الكامن في المدينة المادية البحتة يمكن تلخيصه في أنه موجه الى هذه المدنية نفسها ـ هذا الخطر هو الاختلال وعدم التوازن المتوقع حدوثه اذا لم تجد الحياة الروحية لها طريقا الى جانب المدنية المادية لتعيد الى الحياة الانسانية توازنها الذى تفتقر اليه .

وينظر المسلم المعاصر الى المجتمعات حوله فيجدها قد تخلت عن الدين وعن قيمه ذلك لأن العداء بين المفكرين والكنيسة فى العالم المسيحى قد أدى الى بروز العديد من الفلسفات الوضعية التى تركت بصماتهـــا بوضوح على الفكر وعلى التعليم ، ولكن هذا لم يحدث بالنسـبة للدين الاسلامى ـ ومع ذلك فان المسلم المعاصر نظرا لأنه يرى الثقافة الغربية تنتشر هنا وهناك وتترك آثارها على كل ناحية فانه يتأثر بهــذه الأفكار الغربية شعوريا ولا شعوريا ـ وهذا هو الذى يجعل بعض المفكـرين يسأل : هل علاقة الانسان بالحياة قد فهمت فهما واضحا ؟ هل الحياة للمتعة مع الاحساس بالتقدم المادى فقط أم يجب أن يخشاها الانسان ويخافها فينسحب من المشاركة فيها ؟ هل يجب أن يحتمل الحيـاة فى هدوء يتسم بالفضيلة والأخلاق فى مواجهة كل الأحـداث أم يجب أن يقبلها على أنها شر فوق طاقة الانسان) ؟ وفى الغرب يقولون فشـل التعليم الدينى فى أداء رسالته وهم يقصدون بذلك التعليم الكنسى ـ ولكن الدين الاسلامى به شمول يعجز البشرية قاطبة عن الاحاطة بـه لأنه نظام شامل للحياة كلها ـ ونحن نقصد بالتعليم الدينى فى الاسلام صياغة المعارف الانسانية كلها من تصور اسلامى صحيح وحبذا لو قلنا عنه : التعليم الاسلامى ليظهر تفرده من أول لحظة ٠

وينظر المسلم المعاصر حوله فيرى اهتمام الأفراد والجماعات قاصرا على النواحى المـادية وحدها وبذلك أصبح الانسان خطرا على نفسه باستخدام المهدئات والمخدرات وما يؤدى به الى الأمـراض النفسـية والعقلية ـ وخطرا على المجتمعات من حوله ، ويكفى ما نراه من الحروب المستمرة التى يستخدم فيها أكثر الآلات خطرا ، ويكفى مخزون القنابل الذرية لدى الدول العظمى ـ وما نراه من انتشار تلوث أخطار البيئـة وانتشار الصواريخ عابرة القارات ثم عدم كفاية المواد الغذائيـة وذلك يهدد بانتشار المجاعات وفناء البشرية ، وقد أصبحت السياسة مناورات لا أخلاقيات ـ ولم يعد النصر للحق وأصبح من المسلمات أن الغـاية تبرر الوسيلة ـ وبذلك أصبح الانسان كطائر يطير بجناح واحد وفى هذا ما فيه من الأخطار التى تصيب الانسان فى الصميم ٠

وينظر المسلم المعاصر الى مظاهر الحياة حوله فيجد أنها تسير بسرعة هائلة ــ وهكذا كل منتجات التقنية التى لا يكاد الانسان يقدر علـى مسايرتها ــ ثم ينظر الى تقنية التعليم فيجد أنها جد بطيئة وعاجزة عن مسايرة التطورات الاجتماعية المتسارعة ــ كما يجد أن التعليـم قد عجز عن استخدام نتائج البحوث العديدة التى يقدمها للمجتمع فى تطوير ذاته وفى نقل هذا القدر الهائل من المعارف وأصبح هناك مذاهب للتربية تجعل الانسان فى حيرة دائمة فالمذهب المثالى يرى أن تكـون التربية للتربية بينما المذهب الارادى يرى أن يكون هدف التربية تغيير المجتمع ، والمذهب الحتمى الآلى يرى أن تكون التربية خاضعة بطريقـة حتمية لعوامل التنمية ــ بينما يرى المذهب الهدمى أن التربيـة المعاصرة هى أصل الفساد المتفشى فى المجتمع ــ وكل هذه المذاهب تنظر للانسان من زاوية المادية وحدها ، ولعل هذا هو الذى جعـل توماس كارليل يقول (ان الحضارة آخذة فى الانهيار لأن علوم الجماد قاضتنا الى أرض ليست لنا فتقبلنا هداياها بلا تبصر ولا تمييز ــ وأصـبح الفرد ضعيفا متلصصا فاجرا غبيا قادر على التحكم فى نفســه ومؤسساته) كما جعل الكاتبة الفرنسية مدام سنت بوانت تقول : (انى أتهم المدنية الغربية بأنها قصرت عن القيام بالمهمة التى تزعم أنهـا ألقيت على عاتقها ــ اعنى مهمة نشر تعاليم الانسانية وتعميمها على وجه الأرض والتى تؤدى الى الاتحاد) .

ولعل من مشكلات المسلم المعاصر أن يرى أن فساد القيم ينعكس على النظم التعليمية ذاتها فالرأسمالية والشيوعية خاليتان من القيـم الدينية والأخلاقية ــ ولذلك فقد انحطت أساليب الصراعات بينهمـا الى أدنى المستويات ــ وأصبح من سمات هذا العصر فقدان القدوة الحسنة التى لها آثارها الواضحة فى كل ناحية من نواحى الحياة ــ وأصبحنا نرى الاضطرابات والعنف والكبت والأمراض النفسية تعم كثيرا مـن الدول ، وذلك تعبير نفسى عن معارضة الطلاب للنظم التعليمية وانعكاس لعيوبها المختلفة وأصبح التعليم بذلك فاقـدا للفهم الصحيح لطبيعة النفس البشرية .

لقد تخلت المجتمعات المعاصرة عن الدين كأساس للأمة وأصبح الخوف من الارتباط بأية قيمة أخلاقية أو دينية من سمات المعاهد التعليمية المعاصرة مع أن التعليم ينبغى أن يضىء حياة الانسان بتعريفه بنفسه وبحقيقة وضعه فى الكون والغاية من وجوده فيه وعلاقته به وبكل من فيه وكيف يستطيع القيام برسالته أثناء حياته ثم مصيره بعد انتهاء هذه الحياة ـ وحين كان هذا موجودا كان التعليم يؤدى رسالته كاملة سواء أكان ذلك بالنسبة للفرد أم بالنسبة للمجتمع ٠

وقد أصبحت النظم التربوية الموجودة الآن متحجرة وتحتاج الى تغيير ـ وهذا يفتقر الى فلسفة تربوية صحيحة عاجزة عن التطور السريع ٠

ومن أسباب حيرة المسلم المعاصر اقتصار نظم التعليم المعاصر على نقل المعلومات وبذلك فقدت المدارس دورها التربوى فى اكتساب المهارات والأخلاق والسلوك السليم ـ وفى تكوين الاتجاهات والعواطف وأصبح هدف الطلاب من تعليمهم فى المدارس النجاح بأية وسيلة ليحصلوا على الشهادة وبالتالى ليحصلوا على الوظيفة المناسبة لهذه الشهادة ـ وقد أصبحت النظم التعليمية المعاصرة منقطعة عن الحياة وعن المجتمعات ٠

المسلم المعاصر والتربية الاسلامية :

والتربية الاسلامية تهدف الى تكوين الانسان الصالح الذى يقوم برسالته على الوجه الأكمل والتى تمكنه من تحقيق خلافته لله فى الأرض طبقا لتعاليم الله الذى استخلف الانسان لعمارة هذا الكون بينما تقوم التربية الغربية بتربية المواطن الصالح الذى يصلح لأداء واجبه فى مجتمعه فقط ـ وهو بذلك يكون مواطنا صالحا فى مجتمعه فقط بينما يكون غير صالح فى بقية المجتمعات ـ ومن هنا كانت أساليب الاستعمار والتفرقة العنصرية وما الى ذلك مما يتفق مع تربية المواطن الصالح ـ ولذلك فان التربية الغربية بكل مدارسها كانت تهدف الى تلقين الفرد

القيم السائدة فى الدولة ـ والى اعداد الشباب ليكونوا فى خـدمة الاستعمار ـ استعمار الهند أو الدول الاسلامية أو غيرها ـ ومن سوء الحظ ان الدول العربية والاسلامية أسست نظمها التعليمية بعد رحيل الاستعمار على هذه الأسس التى برعوا فيها ـ ومن هنا تمزقت الروابط بين الدول العربية والاسلامية بسبب التربية الغربيـة ـ وهذا كله لا يتفق مع تربية المسلم الصالح الذى يجعل المسـلم ـ بمفاهيمه وأسلوبه ـ صالحا لكل المجتمعات يحقق العدل والمساواة ، ويحب الناس جميعا وبذلك يتحقق الخير للانسانية كلها يقول لورد استل (لقد أسسنا بنيانا ظاهره النبل والتناسق ولكننا أهملنـا المتطلبات الرئيسية اللازمة لتنظيم داخليته لقد وضعنا التنظيم الدقيق للوعاء وزخرفنا ظاهره وبدا جميلا نظيفا باطنه سلب واغتصـاب وتطرف اننا لم نستخدم ما عندنا من علم وقوة على مر الأيام الا للمتاع الجسدى ولكننا تركنا الجانب الروحى ضعيفا قاصرا) ٠

والتربية الاسلامية تهدف الى تربية المسلم التربية التى تجعله قادرا على التحكم فى نفسه وضبط تصرفاته والايمان بالمثل الاسلامية العليا التى يحيا لها ويموت فى سبيلها جاعلا شعاره (قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له) الأنعام/١٦٢ ٠

والتربية الاسلامية ليس لها أسلوب واحد فى تحقيق أهدافها ـ اذ أن الذى يهم هو الاطار الاسلامى وتحقيق الهدف الاسلامى بالاسلوب الاسلامى بحيث يوجد المناخ الذى يتربى فيه المسلم التربية التى تجعله يؤدى واجبه الاسلامى ويحقق ما أمر الله به ٠

ثم هى التى تجعل لدى المسلم القدرة على الاستفادة من أقصى ما يصل اليه الانسان من الاستفادة التى تمكنه من أداء رسالته والتى تجعله ينتج أفضل ما يصل اليه الانسان ـ الاستفادة التى تمكنه يفيد هذه البشرية ويحقق هدف الاسلام السامى ٠

والانسان اذا صلح فكره ووضحت أهدافه أمام عينيه وسار على

فلسفة الاسلام فى هذه الحياة فانه يستطيع أن يتعامل مع التقنيـة الى أبعد الحدود ـ ويصلح ما يستخرجه منها ليكون سائرا على النهج الذى يحقق هدفه فى الحياة ـ وان لم يصلح فكره ولم تتضح أهدافه ولـم يسر على هدى الاسلام ضاع وضاع مجتمعه أو أصيبوا بحيرة تجعلهم يفقدون أثمن ما فى الحياة ٠٠ يفتقدون الأمن والراحة والهدوء النفسى والاطمئنان ٠٠ فالعلم بكل جوانبه لابد وأن يكون فى خدمة الانسانية فهو فى رأى الاسلام للبناء لا للهدم فان استخدم العلم للهدم فان من صلاحيات المسلم ـ بل ومن واجباته ـ أن يقف أمام هذا التيار حفاظا على الحق ودفاعا عن العدل والخير (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين) البقرة ٢٥١ ـ يقـول المبشر الألمانى هويوم (لقد عشت فى ظل نظم مختلفة ودرست كثـيرا من النظريات والفلسفات فانتهيت الى أن الاسلام لا يدانيه فى كماله أى من هذه النظم ٠٠ ان للشيوعية مظاهرها الخلابة وكذلك الشـأن فى الديمقراطيات العلمانية وفى النازية ولكن ليس فى أى منها نظام متكامل لحياة طيبة كريمة ـ انه الاسلام وحده هو الذى يقدم هذا النظام المتكامل وهذا ما يدعو الأخيار الى اعتناقه) ٠

والمسلم يريد أن يعيش حياته بقيمه وأخلاقه التى قررها الله لـه مع اسقاطه لكل القيم والأخلاق الواردة عن الغرب ثم انه يريد أن يتعرف على النواميس الكونية التى أودعها الله له هذا الكون المادى ليستخدمها فى ترقية الحياة وفى استنباط خامات الارض وارزاقها واقواتها التى اودعها الله فيها وجعل تلك النواميس الكونية أختامها ، ومنح الانسـان القـدرة على ذلك ـ وحينئـذ يحس بأن عمله كله عبادة لله تعالى وبأنه قد حقق غاية وجـوده الانسـانى ـ وهذا التعرف يحتاج الى بحوث وتجارب وايجاد للتقنية واستخدامها ـ ولقد كان المسلمون هم الذين أنشأوا المنهج التجريبى وغـيره مـن البحوث العلمية التى تدين لها علوم الغرب اليوم ٠٠ يقول بريفولت (انه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحـدة من نواحى الازدهـار الأوربى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون فى نشـأة

تلك الطاقة التى تكون ما للعلم الحديث من قوة متمايزة ثابتـــة وفى المصدر القوى لازدهاره أى فى العلوم الطبيعية وفى روح البحث العلمى ٠

ونحن فى حاجة الى احداث نظام تربوى اسلامى متكامل بحيث تصير كل أمور الحياة من منطق الاسلام نريد منهجا يكون متمشيا مع تعاليم الاسلام وقائما على العقيدة الاسلامية والخلق الاسلامى والتربية الاسلامية المعاصرة التى نريدها لابد وأن تحترم الماضى ــ وفى الوقت نفسه تعيش الحاضر ــ تحترم الانسان وتؤمن بكرامته (ولقد كرمنـــا بنى آدم ٠٠ الاسراء/ ٧٠ ــ واذا كان الغربيون لا يمكنون دينهـــم من قيادة الحياة ــ فان ذلك يرجع الى انهم قد جربوا قيادة الكنيسة فوجدوها فاشلة ، ونحن قد جربنا قيادة الاسلام لحياة المسلمين وغير المسلمين فنجحت نجاحا شهده الأعداء والأصدقاء على السواء ــ والقرآن الكريم يقول (يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمـــر منكم) النساء/ ٥٩ وطاعة أولى الأمر محصورة فيما أمر الله به ــ ويوضح هذا تتمة الآية الكريمة (فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) والتطبيق العملى فى قول أبى بكر (أطيعونى ما أطعت الله فيكم فان عصيته فلا طاعة لى عليكم) ٠

والتقدم الحضارى الاسلامى روح تكمن وراء الانجـــاز المـادى والفكرى فاذا تطورت الروح أو تغيرت تغير العالم من حولها ، والآية الكريمة (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد/ ١١ تبين ذلك ونلاحظ تعبير : أنفسهم ــ فهو الذى يحدث التقدم الحقيقى الذى يتكامل فيه الظاهر والباطن وغاية هذا التعبير أن يتطابق القــول والعمل وأن يتحول الايمان من القلب الى انجازه فى واقع الحياة وأن يعيش الناس القيم الاسلامية ثم يطبقونها على أنفسهم أفرادا وجماعات ولا يكفى أن ينحازوا لواحد منها ٠

والاسلام لا يرفض التقدم المادى ولا الاستمتاع به ما دام ذلك فى

الاطار الاسلامي (قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) الأعراف ٣٢ بل يحث عليه ويطلب أن يشارك أبناءه فيه أو أن يقوموا به ما دام ذلك يساعدهم على تحقيق رسالتهم ــ ومقياس نجاح التربية ــ أية تربية ــ هو الأثر الذى نلمسه فى نجاح الذين تربوا فى تحقيق هدف التربية أو مدى الاقتراب من الهدف ٠٠ وثمار التقنية ليست هدفا للمسلم ــ ولكنها قد تكون وسائل تعينه على تحقيق ما أمر الله به من كرامة للانسان وشعوره بمسئوليته وقدرته على تحمل الأمانة التى يقول الله فيها (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان) الأحزاب/٧٢

خاتمة :

خلق الله الانسان وجعله خليفة له وسخر له الأرض وما عليها وأصبح تحت يده المواد الخام والمال وفى يده العمل والادارة والانتاج ٠٠ وأهم من ذلك الانسان الذى سيتولى تحقيق التقدم والمدنية والحضارة ومدى وعيه وروحه واستعداده وتمسكه بقيمه ودرجة ابداعه وما الى ذلك من العوامل التى تحقق النصر ــ ومن هنا جعل الاسلام طلب العلم طوال الحياة (اطلب العلم من المهد الى اللحد) كما طلب من المسلم ان يطلب العلم من أى مكان (اطلب العلم ولو فى الصين) ويأمر المسلم أن يسأل ربه المزيد من العلم (وقل رب زدنى علما) طه/١١٤ ويؤكد الفرق وعدم المساواة بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب) الزمر/٩ ومر النبى صلوات الله عليه بمجلس يذكرون فيه الله وبمجلس يتعلمون فيه العلم فانضم الى مجلس العلم وقال (انما بعثت معلما) وقد أحاط هذا بسياج متين من الخلق فقد مدح الله نبيه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) القلم ــ ٤ وبالتالى بين الرسول الكريم أهم أهداف الرسالة بقوله (انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ٠

واذا كان الفكر الغربى المعاصر يفصل الدين عن العلم ، ويفصل

العلم الديني عن العلم المدني فينكر بعض رجال الدين ويعترف بعضهم به ولكنه يضعه في اطار محدد هو الكنيسة فان الاسلام ليس فيه هذا الفصل - فالعلم من الدين وهو يسير في تحقيق أهداف الاسلام وهذا يمكنه من قيادة حركة الحياة بالنسبة للفرد المسلم وبالنسبة للمجتمع المسلم على السواء وفي ذلك يقول الله تعالى (الذين ان مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) الحج/٤١ والاسلام لا يقبل أن يستورد نظما غريبة عنه فتحدث آثارها السيئة في الأفراد وفي الجماعات على السواء - هو يقبل التقنية الحديثة ولكنه لا يقبل الأفكار ولا الآراء ولا القيم المصاحبة لها لأن له أفكاره وآراءه وقيمه الخاصة التي تكون شخصية المسلم التكوين الذي يمكنه من أداء رسالته في هذه الحياة كما هو حادث في مجتمعاتنا الاسلامية الحديثة - يقول بريفولت (انه على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة فان المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون في نشأة تلك الطاقة التي تكون ما للعلم الحديث من قوة متمايزة نامية وفي المصدر الأقوى لازدهاره أي في العلوم الطبيعية وفي روح البحث العلمي) ٠

لقد أنشأ المسلمون الحضارة الاسلامية الرائعة التي نعمت بها البشرية قرونا طويلة ولعل من الانصاف أن نقول : ان البشرية لا تزال تنعم بعلومها واكتشافاتها وبحوثها كما يعترف الغرب نفسه بذلك - وقد فعل المسلمون ذلك عبادة لله وقياما بوظيفتهم في هذه الحياة وجعلوا بذلك أمتهم في مكان الريادة للامم كلها فكانت بذلك خير أمة أخرجت للناس ، وكانت حضارتها خير حضارة عرفها التاريخ بالنسبة للانسانية كلها وذلك لانها حققت كل الجوانب للفرد وللمجتمع على السواء ٠

والاسلام دين عالمي في نظرته للفرد وللأمة وفي علاجه للمشكلات ، ولايرضى باقامة الحواجز التي نشأت في العصور المختلفة لانه دين

يهدف الى جمع البشر كافة تحت راية واحـــدة ، وهـــو بالنسبة لهـذا العالم الذى مزقته الاحقـــاد والتنافس بين أممه المختلفة ـ رســـالة الحياة والامل فى مستقبل عظيم مزهر ٠

وقد تنبه الى ذلك برناردشو حيث يقول (لقـــد درست حيـاة هــذا الرجل العجيب ـ يقصـــد النبى محمدا عليـــه السلام ـ وفى رايى أنه يجب أن يسمى منقذ البشرية دون ان يكون ذلك عداء للمسيح وانى لاعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى منفردا حـكم هــذا العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حـــل جميع مشاكله بأسلوب يؤدى الى الســـلام والسعادة التى يفتقر اليها الجميع) ٠

وهكذا يستطيع المسلم أن يعمل فى ظـــلال التربية المعاصرة محققا بذلك أهدافه فى اسعاد الفرد وتحقيقه لامنه وذاتينه ـ وفى اســـعاد المجتمع الاسلامى وتحقيقه لطمأنينته وشخصيته ورسالته ، وفى اسعاد المجتمع الانسانى كله حينما يسير على هـــذا المنهج القويم ٠

غسيل المخ وموقف الاسلام منه

غسيل المخ اصطلاح حديث يقصد به ازالة الافكار العقدية الموجودة عند فرد أو جماعة واستبدالها بأفكار أخرى عن طريق الضغط الجسمى أو النفسى الذى يجعل الجهاز العصبى للانسان فى حالة توتر وحساسية شديدة أو تثبيط حاد بحيث تصبح خلايا المخ للانسان عاجزة عن الاحتفاظ بما اختزنته من عادات وأفكار ، كما تصبح متقبلة لعادات جديدة وأفكار جديدة وانعكاسات غريبة قد يتصادف حدوثها فى تلك الحالة ٠

وقد تنبه الى ذلك العالم الروسى بافلوف الذى كان يجرى تجاربه على الكلاب والقطط والذى كان يعنى بدراسة الانعكاسات الغريزية بما فيها من جوع أو عطش بالنسبة للظروف الصناعية التى يجابهها ٠

وساعده على تثبيت هذه النتائج ما لحظه فى الحرب العالمية الاولى اذ أصيب بعض المقاتلين بتهيج عصبى أفقدهم توازنهم وأصبحوا فى حالات ذعر أو ذهول أو أعراض جسمية غريبة ، وهذا الانهيار تسبب عنه غسل تلك العادات والمعانى الحضارية المكتسبة التى تعلموها كالشجاعة وأطلق على هذا المرض عصاب الحرب ٠

وقد لحظ بعض المعنيين بهذه الدراسات فى غارات لندن أثناء الحرب العالمية الثانية أن التهديد المتكرر المتواصل على هذه المدينة قد أوصل عقول بعض العامة الى حالة غسيل مخ ٠٠ فأصبحوا فى وضع يتقبلون فيه الايحاء ويصدقون الاشاعات التى تنتقل من فم الى فم واستنتجوا من هذا أن ما يغسل المخ قد يكون عوامل فردية أو عوامل مجتمعة مثل الصدمات النفسية المفاجئة والتهديد المستمر والمواقف الشديدة المرعبة والارهاق العصبى المستمر الناتج

من السهر المتواصل أو النوم المتقطع أو الجوع أو العطش أو الآلام الجسمية أو النفسية التى لا هوادة فيها ثم مفعول بعض الادوية الخاصة ... وهكذا أصبح غسيل المخ نظرية علمية مخططة يمكن استخدامها بأساليبها المختلفة التى قد تقوم على أنواع من الدعاية أو الضغوط النفسية والجسمية حتى تؤدى الى الغرض المنشود منها .

غسيل المخ قديما :

قلنا ان غسيل المخ تعبير حديث ، ولكن مضمونه قديم ، وقد كان غسيل المخ يستعمل قديما فى البيئات البدائية وذلك فى حلبات الرقص والاناشيد والزار وما الى ذلك ، ففى هذه الحالات يصبح الانسان أشد تقبلا واستسلاما لتعاليم رئيس القبيلة أو الرئيس الدينى أو غيره وفى حالات الزار يصبح الانسان صاحب العقل البسيط حساسا يتقبل الايحاءات التى قد تنتهى بالشفاء من مرض بسيط أو حالة هستيرية والانسان وسط الجماهير يكون أكثر تقبلا للافكار منه منفردا .

وعلى مدى التاريخ نجد فى مراكز الشرطة ألوانا من غسيل المخ تستعمل لحمل المتهمين على الاقرار بشىء فعلوه أو بشىء لم يفعلوه ولكنهم يظنون أو يقتنعون بأنهم فعلوه .

وفى عصر العباسيين وجدنا الحسن الصباح يستخدم غسيل المخ عن طريق الحشيش وكان غير معروف فى هذه الايام وكان الضحايا يتعاطون الحشيش فاذا ما خدروا دخل بهم الى حديقته وجعلهم يأكلون مما فيها ويتمتعون بجمالها ثم يخدرهم ويذهب بهم الى مكانهم الاول فيصدقون أن ما رأوه هو الجنة حقيقة وهم يصدقون الحسن الصباح فيما يقوله وبذلك أمكنه أن يؤثر فيهم وأن يطوعهم لخدمة أغراضه غير المشروعة من غير أن يفكروا تفكرا خاصا - أو يقفوا عند حد وبلغ بهم الامر أنهم كانوا يقتلون كل من يأمرهم الحسن الصباح بقتله .

الاسلام وغسيل المخ :

المبدأ الاول فى الاسلام الاقناع فهو يرفض أن يكون الدخول

فيه عن غير هذا الطريق (لا اكراه فى الدين) البقرة /٢٥٦ وقالهـــا للرسول واضحة صريحة (أن أنت الا نذير) فاطر ٢٣ ـ وعاتب الله نبيه الكريم حين خشى على أمتــه عـذاب النار بقوله (فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهـــذا الحديث أسفا) الكهف ٦ ـ وقال له فى آية أخرى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يونس ٩٩ ـ وفى آية ثالثة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) الكهف ٢٩ ٠

والاسلام يرى أنه دين الفطرة وكل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمـا قال النبى الكريم ٠٠٠ وهــو لذلك يرفض الاكراه واستعمال العنف ويدعو الى الاقناع عن طريق المناقشــة الهادئة ولذلك فقد طلب من نبيه ان يدعو الناس الى الاسلام بالحجة والموعظة الحســـنة وأن يجادلهم بالتى هى أحسن ويحـدد له حـدود رسالته (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصـــحاب الجحيم) البقرة ١١٩ ـ ومدحه بقوله (ولو كنت فظـــا غليظ القلب لانفضوا من حولك) آل عمران ١٥٩ ٠

وفى بداية الدعـوة الاسلامية أخـــذ الاسلام يربى أصحابه على المبادىء الاسلامية تربية سليمة قائمة على الاقتناع والفهم ولذلك فلـم يحدث أن ترك واحـــد منهم الاسلام تحت أى ضغط جسمى أو معنوى وقـــد وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم حتى ألقى أحدهم عبده الحبشى بلالا على الرمل تحت الشمس المحرقة ووضع حجرا على صـــدره وتركه ليموت ولم يزد على أن يقـول أحـــد احـد ٠٠ ومات ياسر وسمية والدا عمار بن ياسر ولم يرتدا عن دينهما وكان المسلمون من غير الموالى يضربون وتوجـــه اليهم أشـــد صور المهانة الى جانب ما كانوا يسمعونه من هجر الكلام أينما ذهبوا ، واستمر الامر على ذلك طويلا فلم يزدهم الا حرصــا على دينهم بـــل انهم كانوا يبتهجون بالاذى والتضحية فى ســـبيل عقيدتهم ايثـــارا لمـــا عند الله من ثواب عظيم ٠ ثم بدأت مرحلة المقاطعـــة حيث علقت صحيفة فى جوف الكعبة تسجل وتؤكد الا ينكحوهم ولا ينكحوا لهـم ولا يبيعونهم ولايبتاعون منهم شيئا ولقـد كانت هـــذه سياســـة

(المقاطعة والتجويع) على حـــد التعبير الحديث • التى استمرت ثلاث سنوات كاملة لاقى فيها المسلمون ما لاقوا ولم يزدهم ذلك الا اعتصاما بحبل اللـه حتى اقتنع المشركون أنفسهم بأن هـــذا ظلم مبين لا ترضاه المروءة وتأباه الرجولة والاخلاق العربية •• ثم بـدأت مرحلة الدعاية الهجومية حيث ارسلت قريش سفهائها فتناولوا الرسول الكريم بالأذى واتهموه بالكهانة والسحر والجنون ولكن ذلك كله لم يزد المسلمين الا ثباتا على عقيدتهم •• ومع ذلك كله فان النبى الكريم كان حريصـــا أشـــد الحرص على أن ينـــاقش الكفار مناقشـــة هادئة فاذا قالت طائفة منهم : انا وجـــدنا آباءنا على أمـــة وانا على آثارهم مقتـــدون قال لهم أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه اباءكم وهو ينعى على الذين لا يستخدمون عقولهم فى التفكير أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض ؟ •

ويرى الاسلام أن الذى يعبد الله حق العبادة هو العالم الفاهم الواعى الذى يقـــدر عظمة الله فى خلقـه (انما يخشى الله من عباده العلماء) فالذى يؤمن عن اقتناع لا يمكن أن يغسل مخـــه من عقيدته مهما استعملوا معه من وسائل التعذيب النفسى والجسمى بل ان هذه الضغوط لا تزيده الا ثباتا على عقيدته وايمانا بأنها العقيدة الحقيقيـــة الصادقة والا لما لقيت كل هـذه المقـاومة بـل الا الاسلام لا يرضى بالايمان الظاهرى اذ لابد أن يدخـــل القلب الايمان الـذى يصـــدقه العمل (قالت الاعراب آمنـــا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أســـلمنا ولـما يدخل الايمان فى قلوبكم) الحجرات ١٤ •

فى غزوة الاحزاب :

وغزوة الاحزاب تعطينا صورة واضحة عن مجموعتين من الناس : المجموعة الاولى مجموعة ضعيفة الايمان أمكن تحت الضغط النفسى أن تتأثر أفكارها وأن تتغير وأن يغسل مخهـــا والمجموعة الثانية قوية الايمان وقد وقفت فى نفس الظروف ثابتة فلم تتأثر ولم تتغير ورأت أن ما هـــم فيـه من شـدة وضع طبيعى لا غرابة فيـه وزادهم ذلك ايمانا وتصديقا •

بدأ الاستعداد للقتال وأصبح موقف المسلمين بالغ التعقيد اذ أن المشركين أمامهم واليهود خلفهم والمنـــافقون بقيادة عبد اللـه بن أبى (ويبلغون ثلث الجيش) فى وسطهم يثبطون العزائم ويحطمون روح المسلمين المعنوية وأصبحوا فى حـــالة لا يمكن أن يدرك قسوتها الا من يواجـــه مثـل هـذه الظروف وقـد وصفتها الآيات الكريمة فى صورة تبين الهول الذى روع المسلمين والكرب الـذى شملهم والذى لم ينج منـه أحـــد ·· تقول الآيات الكريمة (اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصـــار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللـــــه الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) الاحزاب ١٠ ـ ١١ وبلغ من شـــدة الهول أن الرسول الكريم نفســـه ما قـدر على صلاة ظهر ولا عصر ولا مغرب ولا عشاء واخذ الصحابة يقولون : يا رسول الله ما صلينا فيقول لهم صلوات الله عليه وأنا والله ما صليت ··· فلم يختلف الشعور بالكرب والهول فى قلب عن قلب وانما الذى اختلف هو استجابة تلك القلوب وظنها بالله وسلوكها فى الشـــــــدة وتصوراتها للقيم والاسباب والنتائج فأما ضـــعاف الايمان والشخصية فقـــد تأثروا بهـذا الموقف ·· ذهبت الافكار التى لـم تثبت وحلت محلها أفكار أخرى فهول الموقف قـد أزاح عنهم ذلك الستار الرقيق من مظاهر الايمان وروع نفوسهم ترويعـــا لا يثبت له ايمانهم المهلهل فجهروا بما فى نفوسهم (واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) الاحزاب ١٢ ـ أما المنافقون فهــذا هـو وضعهم الطبيعى ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فالمقصود بـــه ضعف العقيدة ولذلك فقـــد أثر فيهم موقف الشـــدة فقالوا ما قالوا وهم لضعف ايمانهم على استعداد للتأثر بأى ضـــغط جسمى أو نفسى فيرجعون سراعا عن ايمانهم (ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سـئلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بهـــا الا يسيرا) الاحزاب ١٤ ـ وما ترددوا الا قليلا فهى عقيدة لا تثبت للاختبار ولا تقف امام الصعوبات ·

وفى الصورة المقابلة نجد الجماعة المؤمنة القوية الايمان تثق بالله وبأيمانها وبنفسها فى مواجهة القبائل وفى لقـــاء الخطر الذى يزلزل القلوب المؤمنة فتتخذ من هـــذا الزلزال مـــادة للطمانينة والثقـــة

والاستبشار واليقين تقول الآيات الكريمة فى وصف هـــذه الجماعة (ولمـا رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) الاحزاب/٢٢ ذلك لانهم يؤمنون بأن الرســـالات لا بد وأن تقابلها صعوبات ومشـــقات حتى يتبين الصـــادق من الكاذب وحتى ينـــال الصـــادقون أجـرهم عنـــد الله (احسب الناس أن يتـــركوا ان يقـــولوا آمنـــا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن اللـه الذين صـــدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت ٢ ـ ٣ ـ حقيقـة انهم بشر ـ وللبشر طاقته والله سبحانه وتعالى لا يكلف نفســا الا وسعها وعلى الرغم من ثقتهم بنصر الله فى النهاية الا أن الهول الـذى كان حاضراً يواجههم ويزلزلهم زلزالا شـــديدا ويزعجهم .. وضاقوا بهـــذه الشدة والخطر المحدق بهم الـذى يجاوز الطاقة الكامنة ولكنهم مع ذلك كانوا مستمسكين بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها وهى التى حمتهم من السقوط ومن القنوط وجعلتهم متمسكين بدينه بل أشد تمسكا بـــه (ولمـا رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هـذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتســـليما) واستمروا فى المعركة وصدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات على الاســـلام والدفاع عنـــه (فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) الاحزاب٢٣

على أن الشىء الذى يلفت النظر فى هـــذه المعركة : أن النبى الكريم حين وجـــد شـدة الضغط على المسلمين أراد أن يخفف عنهـم بعض ما هم فيه من شدة فبعث الى عيينة بن حصن والحارث بن عوف قائدى غطفان ليعطيهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما ويتركا المعركة وكان اليهود قد وعدوهم ثمار خيبر ســـنة ان نصروهم ... فجرى بين النبى وبينهما الصـــلح حتى كتبا الكتابة ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصـــلح فلما أراد النبى أن يفعل بعث الى ســـعد بن معاذ زعيم الاوس وسعد بن عبادة زعيم الخزرج فاستشارهما فى ذلك فقـالا له : يا رسول الله أمر تحبـــه فنصنعه أم شىء تصنعه لنـــا ؟ قال عليه السلام : بـــل شىء أصنعه لكم واللهما أصنع لكم ذلك الا لانى رأيت العرب قـــد رمتكم عن قوس واحـــدة وكالبوكم من كل جانب

فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم الى أمر ما) فقال سعد بن معـــاذ : يا رسول الله قد كنا وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون أن يأكلوا منـــا تمرة الا قرى أو بيعا أفحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا بك وبه نعطيهم اموالنا والله ما لنا بهـــذا حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم يقولون هـــذا والاعداء يحيطون بهم احاطـة السوار بالمعصم وليس أمامهم الا الفناء المنتظر ، ولـــكن العقيدة القوية جعلتهم يقفون هـذا الموقف الخالد معتزين بالله ورسوله ولـــذلك قال له النبى الكريم : فأنت وذاك) وتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها ثم قال ليجهدوا علينا ٠

على المستوى الفردى :

الاسلام يعنى فى تربيته بحماية المسلم من التأثر بما يقـــال ويطلب منـــه أن تكون له شخصيته المستقلة التى يميز بهـا الخبيث من الطيب فلا يكون أمعـه بين الناس يقول : أنا مع الناس ان أحســـنوا أحسنت وان أساءوا أســـأت بـل يتخذ أسلوب القوى الفاهم صاحب الشخصية السوية القوية السوية فان أحسن الناس فليحسن وان أساءوا فعليه أن يتجنب اساءتهم كمـــا يقول النبى الكريم ثم يطلب منـه ثانيا أن يبحث عن الحقيقة وان يأخذ وجهـــة النظر المقابلة فلا يصـــدق كل ما يقال بـل عليه أن يدقق النظر وأن يبحث عن الحقيقة (يأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) الحجرات ٦ ـ ويطلب منـــــه ثالثا أن يبتعد عن تتبع أسرار الناس (ولا تجسسوا) كما يطلب منـه أن يتجنب كثيرا من الظن الذى لا دليل عليه ولا بينة (يأيها الـــذين آمنـوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم) الحجرات ١٢ ـ ونحن نلاحظ فى حياتنا أن بعض الناس يصدقون كل ما يقـــال حتى ولو كان من يقال عنهم ما يقال معروفا لديهم بصفات تخالف ما سمعوا عنه ٠٠ ومن الناحية المقابلة فان بعض الناس لا يصدقون ما يقال لهم رغم ان كل الدلائل تدل على صدق ما يقال ٠٠ وسبب ذلك الحب الاعمى فالانسان اذا أحب انسانا ما حبا أعمى فانه لا يصدق عنه اى شىء حتى ولو كانت الدلائل كلها تشير الى غير ذلك وفى الوقت نفسه يصـــــــدقون كل ما يقـــول حتى ولـــو كانت الدلائـــل كلها

تكـــذب مـــا يقـــول وقـــد يكون هـــــذا الحب الاعمى من أب أو أم أو ابن أو ابنـة وقـد يكون من رجـل أو امرأة وما أكثر ما يحدث في حياتنا اليومية من المشكلات والخسائر نتيجة غسيل المخ الـذى يقع من هـــذا النوع وقد يكون الرجـــل زوجـــا أو عاشقا وقد تكون المرأة زوجـــة أو عاشقة وقد يكون الرجـــل زعيما تسلط الاضواء عليه وتعقد حوله البطولات ويمنع عنـــه النقد ٠٠ انها سياسة الاذن الواحدة التى تجعل الناشئة فى بعض البلاد يقدسون الزعيم ولا يقبلون فيه نقدا تحت اى ظرف من الظروف وهكذا تعمل بعض الدول بهذا الاسلوب الذى يجعل الشباب لا يستخدمون عقولهم ويضحون بأقرب الاقربين اليهم ، وقد يسيل الدم بركا فى ســـبيل هـذا المبدأ الذى لا يقوم اعتناقه على التفكير أو الاقتناع بل عن طريق هذا اللون من غسيل المخ ٠

وقد يستخدم التنويم المغناطيسى أو بعض الادوية التى تخــدر الانسان فيوحون اليـه بمـا يريدون وهـو فى حـالة لا يسيطر فيها على نفسه بأشياء تثبت فى ذاكرته ويمحون منه المعلومات التى يريدون محوها ، وقد يستخدم هـــذا الاسلوب بعض رجـال الشرطة وقـــد يستخدمه بعض الحكام مع معارضيهم وقـد يستخدمه بعض أصـحاب العقائد الذين لا يثقون فى عقائدهم ، وقـــد ســـارت بعض المذاهب على استخدام هذا الاسلوب فى نشر مذهبه ، واخترعوا اساليب جديدة قائمة على هـــذا الاساس وقد الفت كتب ونشرت أبحـــاث فى الاسس وفى التطبيقات وتم هـــذا فى كثير من الدول التى اعتنقت هـــذا المبدأ وما زال هـــذا الاسلوب يستخدم حتى عصرنا الحاضر ٠

وفى عصرنا الحديث استخدم غسيل المخ فى ميدان العــــلاج النفسى ، وهـذه ناحية انسانية مقبولة لان المقصود منـه فى هـــذه الحالة محاولة اشفاء المريض لا استغلال عقله ٠٠ وذلك عنـــدما يصـــاب رجل فى معركة بصدمة القنبلة مثـــلا ويصبح فى حالة اضطراب عصبى هستيرى حـاد كالشـــلل الوقتى أو فقدان الذاكرة أو العمى ، وهنا يقوم الطبيب المعالج بعملية سريعة وناجحة للعلاج

النفسى وهى رد الفعـــل المعاكس أو التطهير السريع وذلك بأن يحقن المصاب بمادة معينة تهدىء من تهيج واضطراب خلايا مخـــه ، وعندما يكون المريض بين النوم واليقظة يعـــاد على ذاكرته ما جرى له من حوادث فى المعركة ذاتها فيستعيد ذكرياتها ويعيشها مرة أخرى بمخاوفها ورعبها وتوترها ، ويكون سرد الحالة المؤلمة بمثابة غسيل المخ من التجارب القاسية التى مرت به وينتج عنـــه شفاء سريع ٠

على المستوى الجماعى :

وعلى المستوى الدولى ومستوى الجماعات تقوم الدول الاستعمارية باستعمال هذا الاسلوب اما عن طريق الدعاية المخطط لها والمدروسة بعناية كبيرة ، واما عن طريق الضغوط الجسمية والنفسية المتنوعة فى البلاد التى تستولى عليها الجماعات التى تقع بين أيديها ٠

والعالم كله أخذ جانبا من هـــذا الاسلوب لنشر ما يريد ابتغاء كسب مادى ذلك هـو أسلوب الدعاية والتكرار الذى يؤثر فى كثير من الذين ليست لديهم خبرة تمكنهم من تمييز الجيد من الردىء أو ضعف شخصياتهم الذى يجعلهم كثيرى التردد فقامت الاعلانات التجارية على هـــذا الاساس وخصصت للدعاية مبالغ طائلة وهى ضامنة العائـد المجزى ، كما ان كل دول العالم اهتمت بالدعاية المخطط لها القائمة على أسس علمية ودراسات نفسية لنشر أفكارها بين الدول المخالفة لهـــا فى وقت السلم وتزداد فى وقت الحرب وتفننوا فى هـــــــذه الاساليب فقد يأخذون جانبا من الحقيقة وينسجون حوله الاكاذيب وقد يأخذون الحقيقة من زاوية أخرى يشوهونها وقـــد يعمدون الى كذبة يكثرون من ترديدها حتى يصدقها الناس وهكذا ــ وقـــد تكتشف هذه الاكاذيب بعد وقت قصير او طويل وقد لا تكتشف ابدا لان الناس ليس لـــديهم المعلومات الكافية أو لان الاعـــلانات تستهويهم فيستمر تصـــــديقهم لها وفى جميع الحالات او جلها تكون الكذبة قد ادت الغرض منها ٠

العــدو الصهيونى :

واستخدم العدو الصهيونى أسلوب الدعاية على أوسع نطـــاق فى الدول الغربية كلها وحاول أن يثبت بعض المعانى مثـل : ان العرب لا يحسنون استخدام أساليب العلم والتقنيه ، وأن العدو اليهودى سيبقى دائما متفوقا ووصل بهم الامر الى حـــد أن قالوا ان العرب يمثلون فى الشرق الاوسط الزنوج فى أمريكا وان الصهيونية ستحاول أن تريح العالم منهم بالقضاء عليهم ٠٠٠ تقول هـــذا لشعوب معلوماتهم عن العرب سطحية أو لشعوب لا معلومات لديهم اطلاقا عن العرب ٠٠ وقـــد صدقت الشعوب هـــذه الدعاية وبخاصة وأنها لا تجد ما يقابلها من اظهـــار الحقائق من الجانب العربى ٠٠ وقـــد نجح هـــذا الاسلوب فترة طويلة حين كان العرب غير متنبهين الى خطورة هـــذه الدعاية فلم يقابلوها بدعاية مثلها تكشف ما فى الدعاية الصهيونية من زيف ، ولا بعمل جـــاد يبين طيب عنصرهم ٠٠ فلما كانت معركة العاشر من رمضان وهزم العدو الصهيونى ووقف العرب موقفـا موحـدا ضـــده وقرروا ما قرروا بشـــأن البترول الذى هـز أركان الدنيا ، وبـــدأ العـــرب ينشرون صـــدقهم على العـــالم ، بـــدا مفعول الدعاية الصهيونية يقـــل شيئا فشيئا وبـــدأ العالم يحس بأكاذيب الصهيونية فلا يصدقها وحتى فى البـــلاد المنحازة تماما الى الكيان الصهيونى أصبحوا على استعداد لسماع وجهـــة النظر العربية ويعتبر هـــذا تحولا كبيرا بالنسبة للعالم كله ٠ وفى الارض المحتلة تستخدم الصهيونية مع العرب المقيمين فيها أنواعا من الضغوط النفسية والجسمية حتى تحقق بذلك غسيل المخ الذى تريده ، ومثـل هذا الاسلوب استخدم مع الاسرى العرب فى الحروب المختلفة على أمـــل أن تجند من بينهم فى ميدان الجاسوسية من يستطيع أن يفيدها ٠

من الذى يغسل مخــه ؟ :

اثبتت الدراسات والتجارب أن الانسان المثقف الواعى الفاهم صاحب الشخصية القوية والمبادىء القويمة لا يمكن أن يغســل مخــه

مهما حدث له من وسائل الاغراء أو التعذيب : أما الانسان الجاهل صاحب الشخصية المهتزة فانه يكون عرضـــة للتأثر السريع أو البطيء اذا ما وضع تحت الضغوط الطبيعية أو الصناعية الجسمية أو النفسية ٠ وبين هذه الفئات يكثر الدجالون الذين يظهرون بالمظهر الديني أو بانهم أطباء متجولون يتمكنون من تحـــويل أفكار البسطاء وجعلهم يؤمنون بفوائد عقاقيرهم أو ما يقومون به من أعمال ٠٠الخ ٠٠ ويتقبل الناس عليهم ويتأثرون بهم تأثرا قد يفقـــدهم كل ما يملكون ولكنهم مع ذلك يكونون فى حالة نفسية طيبة قـد تؤدى بهم الى الشـــفاء من بعض الامراض الخفيفة ، وقـد يصادف حدوث حـل مشكلة من مشكلاتهم فيظنون أن السبب هـــو الدجال وينسجون حوله الاساطير التى تثبت قواعـده وتتقـــوى مركزه وتجعـل الناس يأتون اليـــه زرافات ووحدانا يلتمسون عنده الشفاء والامن والسعادة ٠

دلالة غسيل المخ :

وغسيل المخ له دلالتان : الدلالة الاولى أن الفكرة غير مقبولة وليس لها مميزات تجعل الانســـان السوى صاحب العقل السليم يقبلها ومن هنـــا يلجأ أصحاب القوة الى الضغوط النفسية أو الجسمية لفرض أفكارهم ، والدلالة الثانية : أن الذى يغســـل مخـه هـو صـــاحب الشخصية الضعيفة المهزوزة ومعنى ذلك أنه لا يصلح لأن يكون صاحب رســـالة أو دعـوى لانه فى حقيقة الامر غير مقتنع بهـا ثم هـو ليس الشخصية القوية الذى يحمل رسالة يبشر بها ويتحمل فى ســـبيلها المشقات والمتاعب انما هو اضافة عددية أو أداة لتنفيذ ما يريدون فاذا ما خرج من هـذا الاطار فان أفكاره ستتغير تبعا للبيئة الجديدة التى وجـد فيها وقد يصبح اداة لتحطيم مذهبه القـــديم ٠

والقرآن الكريم يبين لنا هاتين الدلالتين فى صورة رائعـــة فى موقف فرعون والسحرة وموسى فقد أحضر فرعون السحرة ليتحـــدى بهم رسول الله موسى ، ويأتى السحرة معتزين بفرعون فهو الههم الذى يعبدون ، وحين جاءوا الى موسى راح بعضهم يحمس بعضا ، وأخـذوا ينشرون الدعاية أن موسى وهارون يريدان الاستيلاء على مصر وتغيير

عقيدة أهلها الامر الذى يستلزم مواجهتهم يدا واحـــدة بـلا تـردد ولا نزاع وقد جاءوا ليوم المعركة الفاصلة (ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى) ··· جاءوا ليحافظوا عـلى كيانهم ووظائفهم ودينهم وهم يعرفون مهنتهم وقوتهم فألقوا حبـــالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون ··· وخيل الى الجميع أنها حيات تسعى حتى أن موسى الرسول أوجس فى نفسه خيفـة فأمره الله تعالى بألقاء العصا فاذا هى تلقف ما يأفكون : هنا يستخدم السحرة عقولهم وتفكيرهم فهذا الذى يرونه لا يمكن أن يكـــون من صـــنع البشر ··· وهنا حدث تحول هائل فى مشاعرهم ووجداناتهم وأيقنوا أن موسى نبى حقا ··· لمس الايمان قلوبهم فتحولوا فى لحظة من الكفر الى الايمان القـــوى (فألقى السـحرة سـجدا قالوا آمنـا برب هـارون وموسى) طه /٧٠ ·

وقف الطاغية فرعون يعجب لهذا التحول الخطير ولا يملك الا أن يتهمهم بأنه كبيرهم الذى علمهم السحر فهذا سبب ايمانهم ولذلك أخذ يهددهم ويتوعدهم بالعذاب يسلطه على أجسامهم وأبدانهم حين عجز عن قهر قلوبهم وأرواحهم ويقول لهم (فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل) طه/٧١ ولم يهمهم شىء لأنهم آمنـــوا عن اقتناع وفهم وتقدير للحقائق التى ظهرت أمامهم واضحة جليـــة بل والأعجب من هذا أنهم وقفوا يتحدون فرعون الطاغية الذى كان منذ لحظات الها لهم يدافعون به عنه ويطلبون رضاه كما يطلبون منـــه المكافأة بعد النصر فيعدهم بما يطلبون وبأكثر مما يطلبـون فيقـول لهم : نعم وانكم مع الأجر لمقربون ··· وقفوا يتحدونه فى هـــدوء وثبات انهم لا يهتمون بالعذاب لأنهم آمنـــوا عن اقتناع البينات التى رأوهـا فهم لا يلغـــون عقولهم ولا يكفرون بالبينـــات التى رأوهـا ولا يؤثرونه عليهـا (لن نؤثرك على ماجاءنا من البينـات والذى فطـــرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيـــا) طه/٧٢ ···
وهم بهذا ينقلبون الى قوة ايجابية فيعطونه درسا لأن سلطانه مقيـــد بالدنيا وما أهونها عليهم ، وما يملكه من العذاب أيسر من أن يخشـاه

قلب متصل بالله ويأمل فى الحياة الآخرة فهى خير وأبقى (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى) طه /٧٣ ٠ ثم ينقلبون الى دعاة للرسالة الجديدة التى آمنوا بها عن اقتناع ويعطونه درسا فى الايمان بالله وأثره وفائدته مبينين له ما فى الآخرة من نار لمن كفر وجنة لمن آمن ٠٠٠ هؤلاء الذين كانوا بالأمس عبيدا ضعافا يرفعهم اليوم ايمانهم الى أن يقولوا للملك الطاغية (انه من يأتى ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) طه ٧٤/٧٥ ٠

ولقد صبر مؤمنون ابتلوا بأعداء لهم طغاة قساة شريرين أرادوهم على ترك عقيدتهم والارتداد عن دينهم فأبوا وتمتعوا بعقيدتهم فشق الطغاة لهم شقا فى الأرض وأوقدوا فيه النار وكبوا فيه جماعة المؤمنين فماتوا حرقا على مرأى من الجموع التى حشدها المتسلطون لتشهد مصرع الفئة المؤمنة بهذه الطريقة البشعة لكى يتلهى الطغاة بهذه الطريقة البشعة بمشهد الحريق (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) البروج/٨ ٠ وكان فى امكان المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل كفرهم أو اظهار كفرهم ، ولكنهم آثروا أن ينصروا عقيدتهم ولهم عند ربهم الجنة ولأعدائهم عذاب الجحيم ، ولذلك خلدهم الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم وسماهم أصحاب الأخدود ٠

والاسلام لذلك يرفض أسلوب العنف رفضا باتا ويعمل على تربية الفكر الحر والاختيار النابع عن اقتناع ذلك لأن الانسان حين يدرس موضوعا ما دراسة وافية ويناقشه مناقشة منطقية ثم يقتنع به فانه يدافع عنه وذلك شىء مطلوب بل هو قمة الانسانية ان يدرس عقيدة ثم يعتنقها ويدافع عنها ويعمل بها ولذلك فان الاسلام قد نعى على الكفار التقليد الأعمى الذى لم ينبع عن تفكير أو اقتناع (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون) ولذلك كان الرد عليهم أيسيرون على نهج آبائهم حتى ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ؟ حتى ولو جاءهم بأهدى مما وجدوا عليه آباءهم ؟

خاتمـــة :

والاسلام يقوم على أساس تكوين شخصية المسلم فيعمل عـــلى ايجاد بيئة صالحة له : بيئة بشرية وبيئة مادية وبيئة اجتماعية فحياته قائمة على التفكير السليم واستخدام العقل والفهم والمناقشـــة والتدبر فهو يعمل كل شيء بعد أن يقتنع به اقتناعا كاملا وهو لذلك يعرف حقوقه وواجباته ثم هو موصول بالله تعالى فحياته لذلك خالية من العقد والأمراض النفسـية ٠

والمسلم الذى يعبد الله حق العبادة هو العالم الفـاهم الواعى الذىيقدر عظمة الله فىخلقه (انما يخشىاللهمن عباده العلماء) فالذى يؤمن عن اقتناع لا يمكن أن يغسل مخه عن عقيدته مهما استعملوا معـه من وسائل التعذيب النفسى والجسمى بل ان هذه الضغوط لا تزيده الا ثباتا على عقيدته وايمانا بها وبأنها العقيدة الحقيقية الصادقة والا لما لقيت كل هذه المقاومة فالاسلام دين الله الذى انزله لاسعاد البشرية كلها أنزله الله الذى خلق البشر وهو أدرى بحالتهم وبما يحتاجون اليه بل ان الأمر فى الاسلام لا يقتصر على هذا ٠٠ اذ أنه يبسط حمايتـــه على الأديان جميعا (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الحج/٤٠ ويرفض ظلم غير المسلمين تحت أى ظرف من الظروف ، وقد أمر النبى صلوات الله عليه عامله على اليمن أن يترك اليهودى على يهوديته والنصرانى على نصرانيته ٠ بل انه أباح زواج المسلم من اليهودية أو النصرانية مـع بقائها على دينها وقالها للمسلمين جميعا (من ظلم معاهدا فانا حجيجه يوم القيامة) وحتى غير الذميين أباح التعامل معهم فى سماحة تامـة ما عدا الزواج منهم وأكل ذبائحهم يقول الرسول صلوات الله عليـه (سنوا بهم سنة أهل الكتاب غير ناكحى نسائهم ولا آكلى ذبائحهم) ٠

وعلى هذا الأساس قامت التربية الاسلامية بأداء رسالتهـا فى تربية الناشئة من المسلمين فأصبحوا يحترمون الفكر ويؤمنون بحريته ويجاهدون ويجادلون بالتى هى أحسن ويدافعون عن العقائد الأخرى كما يدافعون عن عقيدتهم وشهد لهم بذلك أصـدقاؤهم وأعـــداؤهم على السواء ٠

تمهيـــد :

الصحة النفسية تعبير حديث يقصد به ان يكون الانسان قادرا على التوافق مع نفسه ومع المجتمع الذى يعيش فيه بنفس خالية من الاضطرابات مليئة بالتفاؤل والأمل – فالشخص الصحيح نفسيا هو الذي يواجه مشكلات الحياة بأسلوب موضوعى فيحلها وكأنها ليست مشكلته – وبذلك لا يهرب منها ولا يقابلها بانفعالات تؤذى ولا تفيد ٠

والاسلام جاء ليخرج الناس من الظلمات الى النور – والقـــرآن الكريم أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين (وننزل من القــرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء/٨٢ ذلك لأن الايمان بالله نور يشرق فى القلب فتشرق به النفس فيرى الانسان الطريق أمامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق ٠

وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى النفس فانها تدفعها الى سلوك ايجابى سليم يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) ابراهيم /٢٧ ٠

والاسلام يجعل المسلم مرتبطا بالله تعالى فى كل خطـــوة من خطواته – فهو يؤمن بالله وحده لا شريك له – ومنه يستمد العـــون والقوة – وهو يصلى لله خمس صلوات فى كل يوم ويتلو فى كل ركعة من الركعات (اياك نعبد واياك نستعين) ومن يجعل الله تعالى هـــو العون له فانه بالأمن والطمأنينة والراحة لأنه يحس بأقوى ســـند فى هذه الحياة ٠

الصحة النفسية فى الطفولة :

يقول علماء النفس : ان شخصية الانسان تبدأ فى التكـــوين

فى الأيام الأولى من الحياة ـ ويتم تكوينها سريعا ـ وتتبلور ملامحها من الصور المتلاحقة التى يستقبلها جهاز الأطفال العصبى والتى تتجمع من سلوك الآباء والأبناء ـ ولهذا كانت الدعوة الى الصلاة والتمسك بها والصبر عليها من أهم الأشياء التى دعا اليها الاسلام (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) فالصلاة تجعل النفس تطمئن فتحس بأنها فى حماية الله فتهدأ من قلق الوحدة وتشعر بالحماية الكاملة من كل شر الا ما شاء الله تعالى ـ وفى الابتلاء تصبر هذه النفس على البلاء لتنال رضوان الله ـ وتهدأ لأنها تحس بأنها ليست وحدها فى الوجود اذ أن كل ما حولها من صنع الله تعالى وهو صديق لها لأن الله سخره لها (ألم تر ان الله سخر لكم ما فى الأرض) الحج/٦٥ فالنفس المسلمة ليست كالنفس الغربية التى تحس بأن الطبيعة عدو لها فهى لذلك فى صراع دائم معها .

وقد حرص النبى الكريم على أن يغرس فى الناشئة من أبناء المسلمين أركان الصحة النفسية حتى تكون حياتهم خالية من الاضطرابات والقلق ـ وحتى تكون نفوسهم سليمة ـ ومن ذلك أنه أوصى عبدالله ابن عباس وقد أردفه خلفه وهو صبى بدوام الصلة بالله حتى يدوم له الأمن والطمأنينة فقال له (يا غلام احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ـ واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله ـ واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك) .

ومن الملاحظ أن بلوغ سن الرشد الدينى يأتى فى مرحلة مبكرة عن سن الرشد الاجتماعى ـ وفى ذلك فائدة كبيرة للمسلم ـ ذلك لأنه سيخرجه الى الحياة وهو حامل لرصيد كبير من الأسس النفسية السليمة ومن الصلة القوية بالله ومن يقظة الضمير ومن توافق الانسان مع نفسه الأمر الذى يجعله يتغلب على صعوبات الحياة وتتزن انفعالاته فى فترة المراهقة بعد أن يكون قد تمكن من السيطرة على كافة نزعاته وذلك بفضل الايمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة ـ وهو

الدواء لكل مسلم اذ يحل له جميع مشكلاته ويجعله يعيش فى عمل مستمر وهدوء دائم ·

مطالب الانسان فى الحياة :

لكل انسان مطالب فى هذه الحياة بعضها يتحقق وبعضها لا يتحقق - والانسان اذا أصابه خير فرح به واستبشر - واذا أصابه ضر ضاق وحزن - وقد يؤثر هذا فى نفسه كما يؤثر فى سلوكه - وقد يصيبه بالقلق والأمراض النفسية المختلفة والأمراض الجسمية المتنوعة ·

والاسلام يعالج هذه الناحية فيبين للمسلم أن الشىء الذى يحبه قد لا يكون فيه الخير وأن الشىء الذى يكرهه قد لا يكون فيه الضرر - وعلم ذلك عند الله (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) البقرة ٢١٦ - وبهذا يستريح قلب الانسان فلا يصبح موضع صراع لانه يحس بأن ما أصابه من خير أو شر هو خير بالنسبة له وان كان لا يعلم فيه وجه الخير ·

وقد يفكر الانسان فى عمل شىء ويقف مترددا هل يقدم أم يحجم ؟ ان على الانسان فى هذه الحالة أن يبحث هذا الامر من جميع جوانبه وأن يستشير فيه أهل الذكر والاصدقاء والاخوة فان لم يهتد الى رأى قاطع فعليه أن يستخير الله تعالى ويطلب منه العون بأسمى الاساليب فيصلى ركعتين من غير الفريضة ثم يدعو الله تعالى بدعاء مخصوص ثم يستخيره فأى شىء وجهه الله اليه ففيه الخير ودعاء الاستخارة موجود فى كتب السنة وفى كتب الفقه وهو (اللهم انى استخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم - وأنت علام الغيوب - اللهم ان كنت تعلم أن هذا الامر ·· ويسمى حاجته) خير لى فى دينى

ومعاشى وعاقبة أمرى فاقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيـــه ـ وان كنت تعلم أن هـــذا الامر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنـه واقدر لى الخير حيث كان ثم رضنى به) ٠

وبهذا يستريح قلبه ويطمئن فؤاده فان الله الكريم هـــو الـذى أراد له هـــذا ففيه الخير كل الخير حتى وان كان لا يظهر له ذلك ٠

داخل المجتمع الاسلامى :

المسلم داخل المجتمع فى حاجة الى الامن والطمأنينة ـ ولذلك فقد جعل الله تعالى الصلة بين المسلمين هى صلة المودة فهم كالجســـد الواحد اذا اشتكى منـه عضـــو تداعى لـه سائر الاعضاء بالحمى والسهر ـ وهم كالبنيان المرصوص يشـــــد بعضه بعضا ـ والمسلم أخو المسـلم لا يظلمه ولا يسلمه وهـــــو الناصح الامين له وهو الصـــديق الذى يشاركه فى أفراحه وأحزانه ٠

والحب فى الله له تأثير عظيم فى نفس الانســـان ـ والاسـلام يوجـــه المسلمين هـذه الوجهة القوية ليستمر فيها ويسيروا عليهـــا ـ فالمتحابون فى الله لهم مكانة عالية عند الله يغبطهم عليهـا الانبياء والشهداء يقول الرسول الكريم (ان من عبـــاد الله أناسا ما هـــم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشـــــهداء لمكانتهم من الله قالوا يا رسول الله من هم ؟ قال قوم من أمتى تحابوا على غير أرحـــام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله انهم لفى نور ولا يخافون اذا خـــاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس) ٠

والحياة بين المسلمين حيـــاة تعاون على البر والتقوى لا على الاثـم والعدوان ـ والتسامح هو الطريق الذى يزيد المودة بينهم ويبعد البغضاء (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينـه عداوة كأنه ولى حميم) فصلت ٣٤ ـ وكظم الغيظ والعفو عن الناس دليل على قوة النفس وتقوى الله ولقـــد كان الرسول الكريم قدوة فى ذلك كله ٠

والانسان وحــــده قد يكون ضعيفا لا يقوى على تيار الحيــــاة وصعوباتها ــ وقــد تنتابه الانفعالات المختلفة التى تؤثر على صحته الجسمية والنفسية ــ ولذلك ينصحه القرآن الكريم بأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهــه ٠٠ والمســـلم بهــذا مستغن عن القيم الزائفة فى مجتمعــه لانه يؤمن بالقيم التى أقرها الاســـلام ٠

وتطلع الانسان الى ما فى يد غيره ــ وتطلعه الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المـــادية والجسمية واستعداداته الفطرية يجعل الانســان دائم الضيق والالم وقـــد يدفعه هــذا الى الانحراف حتى يصـــل الى ما وصـــل اليه غيره ــ والقرآن الكريم يعالج هـــذه الناحيـــة فيطلب من المسلم القناعة (ولا تتمنوا ما فضــل الله بــه بعضكم على بعض) النساء ٣٢ ــ فان أراد شيئا فليسأل الله من فضله فان أعطاه شكر وان لم يعطيه صبر وله الثواب فى الحالتين ــ ومع ذلك فقد يكون ما فى يــد غيره مقصود بــه الفتنة وقد عافاه الله منها (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيــاة الدنيا لنفتنهم فيـــه ورزق ربك خير وأبقى) طــه ١٣١ ــ فتستريح نفســه ــ ويشكر اللــه الذى عافاه من هـــذا الابتلاء ويبعد نفســه بذلك عن كثير من المشكلات النفسية وهو بهذا يستعلى على المغريات ولو كان فى حاجة اليها ويتوج هذا كله بأن يطلب المسلم من الله تعالى أن يصفى قلبه والا يجعل فيه غلا لأحد (ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) الحشر ١٠ ٠

والاسلام يعطى للفرد أهميته ويجعل له كيانا مستقلا عن الناس جميعا حتى ولو ظن غير ذلك يقول الرسول الكريم (كلكم على ثغرة من ثغر الاسلام فلا تؤتين من قبله) وهـــو بهــذا يجعله يثق بنفســه ويبعده عن الامراض النفسية : اذ هى نوع من فقدان الثقة بالنفس وفقدان الامل ٠

وعلاج الامراض النفسية يكون بالايمان الذى ينتج عن التربية الدينية الصحيحة ٠

المسلمون في فترات الشدة :

تمر بالمجتمع الاسلامى فترات شـــدة حين تكون الحرب مستمرة بين الكفار والمسلمين وحين ينهزم المسلمون فى موقع من المواقع فيستولى الحزن على نفوسهم لانتصـــار أعدائهم عليهم ــ وحتى لا تتأثر صحتهم النفسية وروحهم المعنوية بذلك يبين لهم القرآن الكريم أن المســـلم قوى فى كل حالاته ما دام متصلا بالله مؤديا لواجبـه وعلى المسـلمين ألا يهنوا ولا يضعفوا وعليهم ألا يحزنوا ولا ييأسوا فهـم الاعلون فى كل وقت ــ حتى وان انهزموا فان كل ما لا قوه من صعوبة هـــو فى ميزان حسناتهم ومن استشهد فله الجنة ــ والى جانب ذلك فان الاعـداء قـد أصابهم من الشـــدة مثـل ما أصـــاب المسلمين ــ ومـــا هـذه الهزيمة الا اختبار لمـــدى صبرهم على البأساء والضراء حتى يتبـــين الصادقون من غيرهم (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين.ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ــ وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شـــهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص اللـــه الذين آمنوا ويمحق الكافرين) آل عمران ١٣٩ ــ ١٤١ ٠

ثم يطلب الله جـــل شانه من المسلمين ان يكونوا متفائلين دائمـا وان يبعدوا اليأس عنهم فان المؤمن متفائل دائما (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح اللـــه الا القوم الكافرون) يوسف ٨٧ ــ ويطمئنهم بأنه معهم دائما اذا سالوه فانه قريب منهم يجيبهم اذا دعـوه (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعـــوة الداعى اذا دعان) البقرة ١٨٦ ــ وهـــذا نهاية الامن والطمـــأنينة التى يحتاج اليهـــا الانسان ٠

وفى ظلال التربية الاسلامية لا تجد شيئا من الامراض النفسية التى تجعل حيـــاة الناس جحيما لا يطاق وفى ظلال التمسك بالقيم الاسلامية يعيش الناس جميعا فى رضـــا وفى هدوء وفى سعادة ــ كل فرد يحس بكيانه ــ يعرف حقوقه وواجباته ــ يحس بأن من فى

الكون صديق له ـ فالناس أخوة له يحبونه ويتعاونون معه ويعملون معــه فى سبيل هــدف مشترك لخير الناس جميعا ـ والطبيعة كلهـــا مسخرة لمصلحته يستخدمها بالطريقة التى تفيده ـ وبذلك يرضى عن نفسه وعن مجتمعه ـ كما يرضى عنه مجتمعه ـ وهـــذا نهاية ما يؤمله كل مجتمع من المجتمعات التى تريد أن تحيا حياة سعيدة محققة رسالتها فى هذه الحياة ٠

شخصية المسلم وكيف يكونها الاسلام

معنى الشخصية :

يعرف علماء النفس الشخصية : بانها مجموعة الصفات والخصائص المختلفة التى يتميز بها فرد عن غيره ، فهى نظام متكامل من مجموعة الخصائص العقلية والاجتماعية والذهنية والجسمية الفطرية والمكتسبة تتفاعل مع الظروف والاوضاع الاجتماعية التى يعيش فيها الفرد .

تكوين الشخصية :

تتكون الشخصية نتيجة تفاعل دائم بين استعدادات الفرد الموروثة وبيئته ، فالانسان يولد مزودا بطائفة من استعدادات فطرية منها الذكاء والقدرات الخاصة والمزاج والدوافع ، ويعيش فى بيئته بين ناس وأشياء ــ والبيت له أثره عن طريق ما يدور فيه من العواطف والصلات ــ وأغلب علماء النفس يرون أن مرحلة الطفولة ــ وبخاصة الطفولة المبكرة التى يقضيها الطفل فى البيت ــ ذات أثر عميق فى الحياة النفسية للفرد ــ وفى تحديد الخطوط الاساسية للشخصية فيما بعد ــ والمدرسة لها أثرها عن طريق الرفاق والمدرسين ومركز الطفل فى المدرسة وما الى ذلك .

والاسلام ــ لهذا كله ــ يتدخل فى تكوين الطفل منذ البداية ــ فيطلب أن يكون أساس اختيار الزوج والزوجة : التقى ــ ولذلك ينهى عن الزواج ممن لا دين لها ففى الحديث الشريف (تنكح المراة لاربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك) أى أصابك الفقر والهوان ان لم تتزوج ذات الدين ــ والحديث رواه البخارى ومسلم ــ وهو بذلك يكسبه صفات وراثية سليمة ثم يهيىء له جوا هادئا قائما على أساس من المودة والسكن والطمأنينة بحيث يعطى للطفل كل حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية فى ظل الاسلام ومثله .

ويرسم الاسلام طريق التربية فى البيت وفى المسجد وفى المدرسة وفى المجتمع فى ظل القيم الاسلامية اذ أن مما يعين على تكوين الشخصية القوية أن تسير فى طريق الخير الذى يعطى للشخصية حيويتها وقدرتها على أن تكون ايجابية تحفظ قوام حياتهـا العقلية والجسمية والروحية من أن تتبدد فى الشباب – ولذلك فان الرسول يسدى نصيحة للمسلم بقوله (قـل آمنت بالله ثم استقم) رواه مسلم والقرآن الكريم بين له أن الله لا يضيع أجر المحسنين – وطريق الشر وان كان يلـذ للانسان فى أوله ويجد فيه السرور فان ذلك قصير الامد – ثم يفضى الى أن تتهدم الشخصية تماما – ومن هنـا فقد حرم الله طريق الشر كله ، وأبان للمسلمين أن الله لا ينظر الى صورهم وأجسامهم ولـكن ينظر الى قلوبهم وأعمالهم .

والمسـلم مع هـذا مطالب بألا يغالى فى الشـعائر – بل عليه أن يعطى جسمه حقـه وروحه حقها ... ومصـدر الاضطرابات التى نراها فى مجتمعنا الحديث العناية بناحية واهمال الاخرى وفى الحديث الشريف (أن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى) رواه البزاز عن جابر ومن حـكم الامام على كرم الله وجهـه (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها ان كلت عميت) .

ومما يقوى شخصية المسلم أن يسير فى حياته فى الاسـلوب الاعتدال ففى المال لا يسرف ولا يقتر متبعا قوله تعالى (ولا تجعـل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) الاسراء ٢٩ – وفى الطعام كذلك (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) الاعراف ٣١ – وقـد أثبت الطب الحديث أن كثيرا من الاضطرابات العقلية والجسمية انما تجىء من الاسراف فى الطعام والشراب .. بل ان كل ما حرمـه الاسلام انما حرمه من أجـل الحفاظ على الكيان الانسانى – ومن ذلك الخمر والمخدرات لانها تفقد الانسان سيطرته على أعصابه – ومن ذلك أيضا الربا والغش والقمار والكذب والنميمة والتجسس لما لذلك من أثر سيىء على الصحة النفسية للفرد والمجتمع – ثم هـو يقويها بالرياضة الجسمية وبالتعاون على الخير وبالتواصى بالحـق والصبر وبتهيئة

الجو الاسلامى الذى يعمل على اسـعاد الفرد واسـعاد المجتمع — ويجعل المسلم يشعر بالرضـا والاطمئنان — ويعمل الخير للمجتمع — وبذلك يكون الفرد قويا — والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ٠

والفرد فى جماعة المؤمنين — لهشخصيته وله كيانه الخاص وله حقوقه قبل الافراد والجماعات وقبل المجتمع كله — ذلك لان الاسـلام لا يذيب الفرد فى المجتمع — ولا يجعل الفرد يطغى على المجتمع ولذلك قال اللـه فى كتابه الكريم (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) فى صيغة الجمع ٠٠٠ ومن هنـا يمكننا أن نقول : ان الاسلام ضـد افناء الفرد فى المجتمع وبالتالى ضـد اهدار حريته والغاء كيانه الخاص ٠

الشخصية المتكاملة :

الشخصية المتكاملة هى الشخصية الناضجة التى تستطيع أن تنتج انتاجا معقولا فى حدود استعداداتها وقدراتها — وتستطيع أن تعقـد مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية مع تحمل صعوبات الحيـاة والشعور بالرضا وضبط النفس وعـدم التناقض فى التصرفات — والاسلام يحرص على أن يكون المسلم ذا شخصية متكاملة تستطيع أن تعمل وأن تنتج وأن تكون راضية عن نفسـها وعن تصرفاتها المطابقـة لنظام الاسلام ٠

وليس المهم أن يوجد بالانسان نقص — ولـكن المهم ألا يعوقه هـذا النقص عن السير فى الطريق الذى يحقق له هدفـه ٠٠٠ فاذا ما حدث للمؤمن ازمة أو شدة على غير ما كان يتوقع فعلية ان يطمئن الى أن الخير قـد يكون فى ذلك (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل اللـه فيه خيرا كثيرا) النساء ١٩ — والشـدة التى تاتى للمسلم فيها فائدة لانها تشـد من عزمه وتعوده تحمل الصعوبات الموجودة فى هـذه الحياة ومع ذلك فللصابر أجره عند الله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر ١٠ ٠

ولكن الانسان عليه فى البداية أن يفكر فى الأمر ويستشير أهل الذكر ويستخير الله تعالى فاذا ما كانت النتيجة على غير ما يهوى فلا ينبغى أن يفلت الزمام منه ولا أن يقضى وقته فى التحسر على ما فات يقول النبى الكريم (واستعن بالله ولا تعجز وان أصابك شىء فلا تقل لو انى فعلت كذا كان كذا ولكن قدر الله وما شاء فعل فان لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم ٠٠ فالمسلم لذلك لا يتحسر على ما فات اذ ان ذلك كله مجهد للنفس بلا فائدة - واذا ما كانت الشدة بالنسبة لجماعة المؤمنين فانها شدة لا تلبث أن تزول - والصراع بين الحق والباطل صراع فى وضعه الطبيعى والله تعالى يقول فى مثل هذا الموقف (ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) آل عمران/١٣٩ - والشدة التى يقع فيها المؤمنون من طبيعتها أن تميز بين الخبيث من الطيب وتظهر المخلص من غيره وتصهر المؤمن فى بوتقة الشدة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب) البقرة ٢١٤ - ومع ذلك فان على المؤمن أن يؤدى واجبه ٠٠ وأجره على الله أما النصر فيأتى بالطريقة التى يريدها الله سبحانه وتعالى (وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) محمد/٣٦ ويتوج هذا كله بالأمل فى كل الأحوال - فالمسلم الكامل لا ييأس أبدا (ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يوسف ٨٧ فاليأس والايمان لا يجتمعان فى قلب مؤمن كما يقول النبى عليه السلام ٠

والمسلم بعد هذا مسئول عن تصرفاته لا عن تصرفات غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الاسراء ١٥ - (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) البقرة /٢٨٦ - وهو كالحارس المسئول عن منطقة خاصة عليه أن يحرسها - وكل عضو فى المجتمع راع ومسئول عن رعيته (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) البخارى ٠

مقومات الشخصية الاسلامية :

يقول علماء النفس : ان مقومات الشخصية هى : الصحة الجيدة

والذكاء والشجاعة والمهارة والحماسة والحكم السليم والخلق والثقافة والتواضع والثقة بالنفس والعدالة ٠

والاسلام يرى هذه المقومات ويضعها فى اطارها الصحيح الاسلامى الذى يميز شخصية المسلم عن غيره من الشخصيات فهو يعنى ببناء النفس من الداخل – وهو يصوغ المسلم صياغة انسانية جديدة أساسها الصلة بالله وابراز خصائص الانسانية العليا – ويطهره من أدران الغرائز الدنيا ويتجافى به عن كل ما لا يتفق مع كمال انسانيته وطبيعة فطرته واستكمال معانى القوة والجمال والسمو بعقله ووجدانه وجسمه ليكون فى احسن تقويم ٠

والقرآن الكريم يبين للمسلم مكانته من مخلوقات الله – فالله سبحانه وتعالى كرمه وفضله على كثير من مخلوقاته (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) الاسراء/٧٠ وذلك لأنه سواه ونفخ فيه من روحه وطلب من الملائكة الاطهار أن يسجدوا له (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) الحجر /٢٩ ثم جعله خليفة له فى الأرض – وجعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر العدل فى هذه الأرض كما تنشر المساواة بين الناس جميعا ٠

الاسلام يزيل العقبات :

الاسلام يزيل كل العقبات التى تقف أمام شخصية المسلم لينطلق فى هذه الحياة مؤديا لواجبه طبقا للاساس الذى رسمه الاسلام له فهو خير من يحرره من الخوف – الخوف بجميع انواعه – الخوف من الفقر ومن الهم ومن الحزن ومن الكسل ومن العجز ويطلب منه أن يدعو دائما (اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال (اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عذاب القبر) ذلك لأن المسلم متصل بالله تعالى اتصالا كاملا ومسلم وجهه

له ـ وهو يطلب منه الهداية والعون والقوة فهو لا يعبد غيره ولا يستعين بغيره ـ وهو يطلب منه أن يهديه الصراط المستقيم مرات عـــديدة فى كل يوم ـ واذا كان الله تعالى هو سنده وعونه فمن يخاف ؟ وما الذى يهمه فى هذه الحياة ؟ والأمة لو اجتمعت على ان ينفعوا اى انسان لم ينفعوه الا بشىء قد كتبه الله له ـ ولو اجتمعت على أن يضروه لم يضروه الا بشىء قد كتبه الله عليه كما جاء فى وصية الرسول عليه السلام لابن عباس رضى الله عنهما (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الأمة لــو اجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك لم يضروك الا بشىء قد كتبه اللــه عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ·

وراحة الانسان وسعادته تأتى من الصلة القوية بالله أما المــال فهو خضرة حلوة اذا أخذه المسلم من طريق حلال ـ وأنفقه طبقا لتعاليم الاسلام والا فهو شر ـ ومع ذلك فليس للانســـــان من ماله الا ما أكل فافنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأبقى ـ واذا خاف الانسان الفقر فعليه أن يطمئن فالرزق بيد الله (وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها) هود/٦ فهو سبحانه قد ضمن الرزق لعباده جميعا (وفى السماء رزقكم وما توعدون) الذاريات/٢٢ ·

وحاجات الانسان الضرورية تكون فى الأمن وفى الصـــحة وفى الضرورى من القوت وفى الحديث (من أصبح آمنا فى سربه معافى فى بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) رواه الترمذى ـ وهذا ما قرره علماء الاقتصاد فى العصر الحديث ·

واذا خاف الانسان من طغيان ظالم فعليه أن يطمئن الى الله والى قوته ـ فالله قادر على ان يهلك الظالمين وينزل بهم عقابه (هل يهلك الا القوم الظالمون) الانعام ٤٧/ (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمــل الظالمون) ابراهيم/٤٢ ـ والله ولى المؤمنين ينصرهم ويؤيدهم (ان ينصركم الله فلا غالب لكم) آل عمران/١٦٠ واذا نصر المؤمنون اللــه فقد تكفل الله بنصرهم (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)

محمد/٧ ــ اما ما يصيب الفئة المؤمنة من الاضطهاد والتعذيب فذلك أمر طبيعي ليميز الله الخبيث من الطيب وليبين الصادق من الكاذب (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) آل عمران/١٤١ ــ وعناية الله بالفئة المؤمنة دائمة وثوابه محيط بهم ورحمة الله واسعة وقد بلغ من عناية الاسلام بتكوين شخصية المسلم وبث الاطمئنان في قلبه أن يبين له أن ما في الكون خلقه من أجله (هو الذى خلق لكم ما في الأرض جميعا) البقرة/٢٩ ــ كما بين له أن الله رحيم به اذا دعاه فهو المجيب له (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة/١٨٦ وان طلب منه العون أعانه ــ بل ان النبي الكريم بين قوة الصلة بالله بهذا التشبيه الرائع الذى يقول فيه كما جاء في البخاري عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قدم على رسول الله بسبي فاذا امرأة من السبي تسعى اذ وجدت صبيا في السبي أخذته فالزقته ببطنها فارضعته فقال رسول الله عليه السلام : أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا يا رسول الله وهي تقدر على ألا تطرحه ــ قال : فالله تعالى ارحم بعباده من هذه بولدها ٠

خاتمـــة :

وبهذه التربية استطاع الاسلام ان يكون شخصية المسلم المتكاملة التى تعيش في سعادة والتى تؤدى رسالة الله تعالى في هـــذا المجتمع فتنشر الأمن والطمأنينة في هذه الحياة وتحمل المودة والعطف والمساواة التامة بين الناس فيسعد المجتمع ايضا ٠٠٠ واذا سعد الفرد وســعد المجتمع فقد اكتمل ما يريده الانسان وهذا ما تسعى الفلسفات المعاصرة في الوصول اليه لولا انها أخطأت الطريق ــ وفي ذلك يقول ديوارنت في كتابه (قصة الحضارة) « الخاصة المروعة في حضارتنـــا هي أن تقدمها المادي أكبر من تقدمها الروحي بكثير ــ اننا نغالي في تقـدير انجازاتنا المادية ولا نقدر أهمية العنصر الروحي في الحيـــاة حـــق قدره » ٠

والخطة التى وضعها الاستشراق لتحطيم شخصية المسلم تتلخص حسب ما جاء في كتاب « الاستشراق والمبشرون في العالم العـــربى

والاسلامى ، فى قوله (دعوة المسلم الى الكفر تلقى نفورا فى المجتمع الاسلامى ويكاد يكون من المحال احراز تقدم فيه باعتناق هذه الدعوة ـ ولذلك ينبغى ان تكون الخطة أولا تجريد شخصية المسلم من الالتزام بالتكاليف وتحطيم قيم الدين الأساسية فى نفسه بدعوى العلمية والتقدم دون مساس بقضية الالهية مؤقتا لأنها ذات حساسية خاصة وبمرور الزمن ومع الف المسلم لهـذا التجريد يسهل فى نهاية الأمر تحطيم فكرة الالهية أساسا فى عقله ووجدانه ـ واذا بقيت افتراضا فلا ضرر منها ولا خطر لأنها حينئذ لن تكون سوى بقايا دين كان موجودا ذات يوم بعيد ٠٠ وقد نجحوا الى حد كبير فى تنفيذ مخططهم ولكن العالم الاسلامى استيقظ وبدأ يزيح عن طريقه كل العقبات ليسير فى الطريق السليم طريق الاسلام الذى يحقق للمسلمين ذاتيتهم وسعادتهم وللبشرية أمالها واطمئنانها ٠

تمهيـــد :

تطلق الأمراض النفسية على مجموعة الانحرافات التى لا تنجـم عن اختلال بدنى او عضوى او تلف فى تركيب المخ حتى ولو كانت امراضها بدلية عضوية ـ وتأخذ هذه الانحرافات مظاهر شتى من أهمها التوتر النفسى والكآبة والقلـــق والوساوس والأفعـال القسرية اللارادية ، والتحول الهستيرى والشعور بوهن العزيمة والعجز عن تحقيق الأهداف والأفكار التى تحاصر الفرد فى يقظته فتجعله مشغول البال وفى النوم فلا تدع للسبات الى جفنه سبيلا ٠

وهذا هو التعريف الذى جاء فى التقرير السنوى لجمعية الطب العقلى الصادر فى عام ١٩٥٢ م فالجسم السليم اذن هو الجسم الذى يهيمن عـلى نشاطه وسلوكه عقل متزن ونفس سليمة ـ والأمـــراض النفسية بذلك نوع من الهرب من الواقع يلجأ اليه الانسان فـــرارا من قسوة الحياة الواقعية وضراوة متطلباتها وخوفا من الشعور بالعجز والضياع ـ فمريض الهستريا اذا اضطر لرؤية ما لا يحب أن يرى او ما لا يطيق رؤيته أصابه العمى دون أن يدرى فيمنعه ذلك من رؤية ما لا يقدر عليه ـ ولكنه بهذا لا يحل الموقف الصعب ولا يزيل الخطر عنه ـ واذا حدث هذا لشعب من الشعوب فربما تجاهل الأمر كله وكأن شيئا لم يكن ـ وربما لجأ الى الاحتماء فى سند حقيقى او خيالى اطمئنانا اليه واتكالا عليه والعلاج الحقيقى يكون فى مجابهة الأمر الواقع وممارسة الألم النابع من الحقيقة ، وتحمل المسئولية بكل ثقلها حتى يفيق الشعب من المرض بدل أن يفكر فى واد ويشعر فى واد آخر ويتصرف فى واد ثالث ولعل هذا هو معنى قوله تعالى (ان الله لا يغير ما بقـوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الرعد/ ١١ والأمراض النفسية تمنع الانسان من التمتع بالرضا والسعادة فى الحياة وتؤثر فى الجهاز العصبى اذ يحس المصاب بالانفعال الشديد تجاه أى مؤثر خارجى فيضيق صدره لأتفـه الأسباب ـ ويعترى صدره أرق وأحلام مزعجة واحساس بالاجهاد بغير

بسبب وعدم شعور بالراحة كما تؤثر فى الجهاز الدورى ـ وقد وجد أن ارتفاع الضغط يحدث كثيرا فى حالات التوتر العصبى فتتقلص الشرايين ويحدث اضطراب فى دقات القلب وجلطة فى شريان التاج ـ كما تؤثر فى الجهاز الهضمى ويظهر أثر ذلك فى فقدان الشهية للأكل والقيء العصبى والتهاب المعدة وقرحتها ونوبات القولون ـ كما تؤثر فى الجهاز التنفسى ويظهر ذلك فى الربو الشعبى وفى الجلد فى ظهور انواع من الطفح والحكة والاستعداد للحساسية وسقوط الشعر وما الى ذلك .

وفى التجارب التى أجريت على القطط والكلاب لوحظ أن كولسترول الدم زاد بنسبة ٢٥٪ خلال نصف ساعة على القطط والكلاب عند اثارة الجهاز العصبى عندها ـ والكولسترول أحد دهنيات الدم ومن أهم العوامل التى تسببت فى تصلب الشرايين وبالتالى تعرض الاعضاء الحيوية فى الجسم لمضاعفات هذا المرض مثل جلطات القلب والمخ ـ وقد لوحظ زيادة سرعة تجلط الدم فى المحاسبين فى أحد البنوك الأمريكية أثناء تعرضهم للارهاق النفسى والجسمى خلال فترات ضغط العمل فى اعداد ميزانية آخر العام المالى ـ وهذا يعنى زيادة لزوجة الدم وبطء سريانه مما يعرضه لحدوث الجلطات داخل الأوعية الدموية ـ وفى بحث اجرى على ضباط وجنود الجيش الأمريكى أثناء حرب فيتنام وجد أن نسبة الكولسترول ودهنيات الدم قد ارتفعت كثيرا عندهم أثناء الغارات التى كان الثوار يقومون بها ـ وادى ذلك الى الاصابة بجلطات القلب والذبحة الصدرية بين هؤلاء الجنود والضباط وأعمارهم تقل بحوالى ١٥ ـ ٢٥ سنة عما يحدث من ضباط وجنود الجيش الذين لم يتعرضوا لهذه الحرب .

مظاهر الصحة النفسية :

يقول علماء النفس : ان مظاهر الصحة النفسية هى قدرة الفرد على الثبات والجلد حيال الازمات والشدائد التى تحل به على أن ينتج انتاجا معقولا فى حدود ذكائه وامكاناته الجسمية والعقلية وفى أن يعقد

مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية ، وعلى أن يشعر بالسعادة والرضا والطمأنينة وراحة البال وانسياب حياته النفسية خالية من التوتر والقلق وضيق الصدر •

أسباب الأمراض النفسية :

الأمراض النفسية تكون نتيجة صراع لا شعورى فى عهد الطفولة تؤكده وتلهبه تجارب أخرى وتكشف عنه فى النهاية ازمات أو صدمات ، وتحمل المريض على اصطناع كثير من العادات السيئة غير المجدية والوارثة ، لها اثر كبير فى الأمراض النفسية فهناك استعدادات فطرية موروثة للأمراض النفسية كما أن البيئة والتربية والسلوك الانسانى لهما أثر نتيجة لتفاعل الوراثة من لحظة الاخصاب حتى ساعة الموت وتشمل البيئة : البيئة المادية والبيئة العقلية والبيئة الاجتماعية والخلقية ومن هنا يتضح أن الخطر يكمن فى الطفولة الأولى فهى ذات أثر عميق باق فى الحياة النفسية كلها للفرد وفى تحديد الخطوط الأساسية للشخصية فيما بعد ـ ويكاد العلماء يجمعون على أن معظم الأمراض النفسية توضع نواتها فى الطفولة ـ فللطفل حاجات نفسية كالحاجة الى اللعب والعطف والأمن والحرية والمخاطرة ـ كما ان البيت أقدم نظام عرفته الانسانية لاعداد الطفولة وتهيئتهم لحياة المجتمع ـ وعلماء الطب النفسى وخبراء الطفولة وعلماء الاجرام يقررون أن أغلب زوارهم خرجوا من البيوت الآثمة أو المحطمة التى خلت من الود والتفاهم القائم على الثقة والاحترام ومن تلك البيوت التى فشل أربابها فى الاحتفاظ بتوازن جميل بين القيد والحرية ـ ومن تلك التى جهل الآباء فيها ما لدى الأطفال من شعور وحاجة •• والقرن العشرون يتميز بشدة الضغوط التى تقع على اعصاب الناس وينتج عن ذلك الأمراض النفسية يقول الدكتور ريز رئيس جمعية الصحة العقلية فى المؤتمر الثانى عشر للصحة العقلية الذى عقد فى برشلونة فى سبتمبر عام ١٩٥٩ (ان أهم ما يمتاز به القرن العشرون أنه تسوده عوامل الصراع والتطاحن والحرب النفسية لدرجة جعلت كثيرا من سكان العالم فى بقاع الأرض المختلفة يعيشون على حافة الهاوية ـ كل هذا دعا الباحثين فى علم النفس الى أن يطلقوا على هذا العصر عصر القلق) وكارن هورنى عالمة النفس الشهيرة أشارت الى

العوامل الثقافية التى تسبب القلق عند الأفراد وهى : التنافس والفردية وعدم المساواة فى جميع الميادين كالممتلكات وفرص التعليم والاستغلال واضطراب العلاقات الانسانية الذى ينشأ عن العوامل السابقة يولد الانعزال الوجدانى والفقر العاطفى والشعور بفراغ الحياة وفقدان التوازن النفسى فيشعر الفرد أنه عاجز ضعيف مهدد لا سيما وأن المثل العليا لم تعد من القوة بحيث تجعل الفرد يشعر بأنه جزء من قوة عظمى تحميه وتوجهه وتحفظه من النوائب ٠

وفى دراسة عن مدينة نيويورك اتضح أن حوالى ٣٠٪ من السكان يعانون من أعراض أكلينيكية نفسية كافية لأن تؤدى الى اضطراب حياتهم اليومية — وتنفق امريكا سنويا ٧٧٧ مليون دولار فى علاج الأمراض النفسية ٠

العلاج النفسى :

يطلق العلاج النفسى على الأسلوب الذى يتصدى لعلاج الأمراض السلوكية — التى يعانى منها بعض الافراد — التى تمنعهم من التكيف تكيفا سليما مع المحيطين بهم سواء اكان هذا العجز عن التكيف مع أنفسهم أو مع غيرهم ٠٠

ويهدف العلاج النفسى الى ازالة الشعور بالتعاسة والشقاء — كما يهدف الى تغيير أساليب سلوك الانسان ومعاملته مع الآخرين — والعلاج لذلك — يتناول شخصية المريض وأساليب سلوكه ومشاعره بالتعديل والتغيير — ويتناول نظرته الى نفسه والى العالم الذى يحيط به والى ما بينه وبين هذا العالم من روابط وأسباب — وترى عالمة النفس الشهيرة كارن هورنى (أن الهدف من العلاج النفسى يتمثل فى تكوين علاقات اجتماعية سليمة) وتضيف فى كتابها (صراعنا الداخلى) : ان الهدف من العلاج هو القيام بعمل تعديلات وتغييرات فى نفس المريض ومساعدته على استرداد ذاته ليصبح عارفا بمشاعره ورغباته وأهوائه — وبذلك تحل صراعاته ويشفى من عصابه ٠

العلاج النفسى قديما :

العلاج النفسى قديما كان يمارسه الكهنة والسحرة من طقوس دينية أو غير دينية فى الجماعات البدائية ـ وفى الحضارات القديمة كان الكهنة من السحرة مقصدا للمرضى الذين يشكون من علل نفسية أو أمراض عقلية يلجأون اليهم لعلهم يجدون لديهم علاجا لآلامهم ـ وكان هؤلاء يلجأون الى مختلف الحيل والأساليب فى علاجهم ـ الرقص والصلاة والتعاويذ والحفلات السحرية معتمدين على ما فى هذه الممارسات من ايحاءات قوية كانت تنفع فى بعض الأحيان بالنسبة لبعض المرضى فيشفيهم من مرضهم أو يقلل ولو بصورة مؤقتة من آلامهم ـ وتشعرهم بأن هناك قوى تقف فى صفوفهم وتقصدهم ـ وفى نصوص المصريين القدماء ما يشير الى شفاء اميرة من الاميرات من مرضها النفسى ـ وذلك عن طريق تخليصها من الأرواح الشريرة التى كانت تسيطر عليها وتسبب هذا المرض ـ وذلك عن طريق توسل الكهنة بالاله (تون) لكى يشفيها ٠٠ وفى اليونان كانت معابد الاله (اسكولابيوس) اله الطب عند اليونان مراكز لعلاج المرضى ـ بالأمراض العقلية والنفسية فقد كانت تمارس فيها شعائر مختلفة تهدف الى شفاء المرضى ـ وكانت هذه الشعائر تشمل كثيرا من أنواع النشاط التمثيلى الاجتماعى والدينى ـ وبعضها كان يأخذ صورة العلاج عن طريق العمل ـ وهى محاولة ناجحة لادماج المرضى فى جماعات من الناس ٠٠ وفى العصور الوسطى كان المرضى بالامراض النفسية أو العقلية يلجأون الى رجال الدين يطلبون منهم معاونتهم على الشفاء من أمراضهم ـ وكان هؤلاء يلجأون مخلصين أو غير مخلصين الى أساليب مختلفة منها التعاويذ والأدعية والحفلات الدينية ٠

العلاج النفسى حديثا :

والعلاج النفسى حديثا أصبح علما قائما على أسس مدروسة وله مدارس مختلفة كل مدرسة تأخذ اتجاها خاصا بناء على فهم خاص للنفس ودراسات توصلت لها ـ واصبح فى كل مدينة عيادات نفسية يديرها أطباء نفسانيون متخصصون ـ كما أصبح فى كثير من الدول

مستشفيات عامة وخاصة لعلاج الأمراض النفسية بمختلف أنواعها ـ وقد يكون اتجاه بعضها العلاج الفردى كما قد يكون فى اتجاه بعضها العلاج الجماعى ـ وقد يكون اتجاه بعضها العلاج عن طريق اللعب ـ كما قد يكون اتجاه بعضها العلاج عن طريق العمل ـ وسبب هذا كله ان العصر الحديث كما يقول تشارلز المفكر الأمريكى المعاصر والأستاذ الجامعى (يتميز العصر الحاضر بالتبديد الهائل للقوى البشرية) وهم لذلك ينصحون بالاسترخاء والبعد عن المشكلات اليومية أسبوعيا بحيث يغير الانسان مكان اقامته بالخروج الى اماكن خلوية ـ وكذلك ممارسته رياضة محببة تمتص الضغط النفسى ثم الالتزام بالوزن المثالى للجسم مع الامتناع عن التدخين والاعتدال فى شرب القهوة ـ وكل ذلك يساعد الجهاز العصبى على التخلص مما يعانيه ويسبب له الضغوط المختلفة

وعلماء الطب البشرى يعنون دائما بالناحية الانشائية بمعنى أنهم يجعلون الجسم فى أعلى درجات الكفاءة حتى يكون قادرا على مقاومة الأمراض المختلفة بصفة عامة دائمة وذلك عن طريق العناية بالنظافة الشخصية من ناحية والعناية بالطعام المتكامل المشتمل على جميع العناصر الغذائية من ناحيةأخرى ـ وقد تأتى أمراض مفاجئة على هيئة أوبئة فيأخذ كل فرد نوعا من التطعيم ليرفع كفاءة الجسم فى هذه الفترة من الزمن ضد هذا المرض المفاجىء ‎٠٠‏ وقد يضعف الجسم لسبب ما فتقل كفاءته فى مقاومة الامراض وحينئذ يصاب بمرض من الأمراض ـ وهنا يأتى دور الطبيب المعالج الذى يتولى التحليلات المختلفة والفحوص المتنوعة ـ ثم يسأل المريض أسئلة متنوعة تعطيه فكرة كاملة عن المرض ـ ثم يقوم بالكشف عليه ويصف له الدواء المناسب ـ ويتابع تقدمه للشفاء فترة بعد فترة حتى يتم له الشفاء ـ وهكذا النفس تحتاج الى رفع كفاءتها حتى تكون قادرة على تحمل صعوبات الحياة المختلفة التى تصادفها ـ وقد تأتى أزمات عامة تحتاج الى استعداد عام لرفع كفاءة الأمة أو الجماعة فى مقابلة هذه الأزمة فاذا ما قلت كفاءة النفس لسبب من

الأسباب وأصيب الانسان بمرض نفى احتاج الى العلاج الذى يقوم على دراسة المرض وأسبابه ورسم الطريق للتغلب عليه ٠

الصحة النفسية فى الاسلام :

الاسلام يرى أن الانسان هو خليفة الله فى الأرض وعليه أن يحقق رسالته فى هذه الحياة عن طريق اقامة العدالة بين الناس جميعا واسعاد البشرية افرادا وجماعات ــ واقامة دين الله فى المجتمع وهذا يحتاج الى شخصيات سوية مؤمنة بربها وبنفسها قوية فى كل جانب من جوانبها ٠

من هنا كانت عناية الاسلام بالصحة النفسية واضحة جلية حتى تخرج المسلم الذى يستطيع ان يحقق رسالة الله فى هذه الحياة ٠ والاسلام عنى بالناحية الانشائية كما عنى بالناحية العلاجية على أروع ما يكون ٠

الناحية الانشائية فى الاسلام :

الاسلام عنى بالناحية الانشائية للطفل حتى يخرج الى الحياة قوى الجسم سليم النفس ــ والله سبحانه وتعالى خلق الانسان فى أحسن تقويم وهو أدرى بما يصح جسمه وما يصح نفسه ــ وعنايته بالطفل تبدأ من قبل ولادته وذلك بتهيئة الجو الملائم الذى يربى فيه بحيث يخرج الى الحياة مسلما قائما بواجبه نحو ربه ونحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ــ وبذلك يستشعر الرضا والسعادة فاشترط فى اختيار الوالدين الدين ــ وجعل البيت قائما على أساس المودة والرحمة ــ وحدد واجبات الوالدين فى معاملة الابناء من ناحية الرضاعة والعناية بالنواحى الجسمية والنفسية والعقلية ــ فالبيت الأمثل صلة روحية ورحمة ومودة بين ساكنيه ــ فيه تنبعث عواطف المحبة والتضحية والتعاون ــ وخير العواطف أمسها بحياة المجتمع ــ وعواطف الصداقة والاحترام ــ احترام الطفل لأبويه الذى هو أساس احترامه لنفسه ٠٠ وكل سلطة زمنية أو روحية فيما بعد ــ فيه يتعلم الطفل معنى الضبط

وقيمته يتقبله طوعا من والديه فقد عرف أن فيه خيره وسعادته ٠٠ فى هذا البيت يخرج الطفل الى الحياة مزودا بطائفة من العواطف الحميدة تكون فى يده سلاحا للكفاح كما تكون أمانا من العلة النفسية فى مستقبل حياته ٠

ومن ذلك أن الاسلام يوصى بالا تترك الفرصة للصغار للاطلاع على العورات قال تعالى (يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء) النور ٥٨ ـ فهذا أدب يغفله الكثيرون فى حياتهم المنزلية مستهينين بآثاره النفسية والعصبية والخلقية ظانين أن الخدم لا تمتد اعينهم الى عورات السادة وأن الصغار قبل البلوغ لا يتنبهون الى هذه المناظر ـ بينما يقرر النفسيون اليوم : أن المشاهد التى تقع عليها أنظار الأطفال فى صغرهم هى التى تؤثر فى حياتهم كلها ـ وقد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها ٠٠ والله سبحانه وتعالى يؤدب المؤمنين بهذه الآداب ـ وهو يريد أن يبنى أمة سليمة الاعصاب سليمة الصدر بهذه المشاعر طاهرة القلوب نظيفة التصورات ـ والطفل الذى ينشأ فى هذا البيت المسلم ينشأ على صلة قوية بالله فيحس بأنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها فيكون فى مأمن من الأمراض النفسية لأن الايمان بالله خالق الانسان ومدبر الكون يجعل الانسان يحس بأن له سندا قويا فى هذه الحياة ٠٠ ولذلك فالاعتقاد فى وجود الله أهم وسائل الوقاية من الأمراض النفسية والعلاج من مرض الوحدة ـ يقول الدكتور فرانك لابخ العالم النفسانى الألمانى (مهما بلغ شعورك بالوحدة ـ وحدة نفسك فاعلم أنك لست بمفردك ابدا فاذا كنت على جانب من الطريق فسر وأنت على يقين من أن الله يسير على الجانب الآخر ـ ولعل هذا هو معنى قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) الحديد/٤ ٠

والمجتمع الاسلامى الذى يعيش فيه الطفل ـ مجتمع يقوم على المودة والثقة والتعاون والتعاطف فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ـ والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ـ والمؤمن يقيم

العدالة فى الأرض وهو فى رعاية الله تعالى — وفى الآخرة مأواه الجنة — وهو يحس بهذه المقاييس الجديدةالخاصة بالمجتمع الاسلامى الذى أراده الله تعالى — والمؤمن متصل بالقرآن الذى أنزله الله ليكون شفاء ورحمة للمؤمنين (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء/٨٢ ذلك لأن الايمان نور يشرق فى القلب فتشرق به النفس — فيرى الانسان الطريق امامه واضحا فلا يصيبه اضطراب ولا قلق — وعقيدة الاسلام حين تتغلغل فى النفس تدفعها الى السلوك الايجابى السليم الذى يجعل المؤمن مطمئنا ثابتا (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) ابراهيم/٢٧ ·

والاسلام يهيىء نفس المسلم لتحمل صعوبات الحياة (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات) البقرة/١٥٥ — وبمقدار صبر الانسان على ما يلقى بمقدار ثواب الله له (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الزمر/١٠ ·

وليس من المقبول مثلا أن يقول الانسان انى مسلم ثم لا يتحمل شيئا فى سبيل عقيدته (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) العنكبوت ٢ و ٣ — وفى المعارك الاسلامية التى تقام لتحقيق العدالة فى الارض — يطلب من المسلمين أن يصبروا وأن يصابروا وأن يرابطوا فى سبيل الله — فاذا ما أصابهم ضر فى المعركة فهذا أمر طبيعى — والضرر متبادل (ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) النساء ١٠٤ — وفى مسألة الموت والحياة يبين للمسلمين أن كل نفس ذائقة الموت وخاطب نبيه الكريم فقال (انك ميت وانهم ميتون) الزمر ٣٠ — وعلى الانسان أن يمتثل لامر الله وأن يصبر على ما أصابه ·· وبعد ذلك مم يخاف الانسان انه يخاف من الضيق فى الرزق ·· والله سبحانه وتعالى يطمئنه بأن الرزق مكفول له (وفى السماء رزقكم وما توعدون) الذاريات ٢٢ — فالمسلم يتطلع الى السماء والى الله الخالق — أما الارض وما فيها من أسباب ظاهرية للرزق لا يدعها تحول بينه وبين التطلع الى المصدر الاول الذى أنشأ هذه الاسباب — وليس معنى

هـذا اهمال الارض فالانسان مكلف بعمارتها ـ ولكن المقصود الا يعلق نفسه بها ـ وألا يغفل عن الله فى عمارتها فهو يعمر فى الارض آخذا بأسباب السماء متطلعا اليها وهو مستيقن أن الارض لا ترزقه ففى السماء رزقه وما وعد الله تعالى لابد وأن يكون ـ وبذلك يعيش قلبه موصولا فالسماء وقدماه ثابتتان فى الارض ـ والانسان اذا وصل الى هـذه الدرجة فهو فى الحالة التى انشأه الله عليها قبل أن يتناولها الانحراف (فطرة الله التى فطر الناس عليها) الروم / ٣٠ وعلى الانسان ألا يتطلع الى ما فى يد غيره أو الى أن يكتسب أشياء فوق قدراته المـادية والجسمية واستعداداته الفطرية ـ وبخاصة وأن ما فى يد غيره قد يكون مقصودا به الفتنة وقد عافاه الله منها (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) طه ١٣١ ٠

والانسان قد يخاف من المرض ـ والاسلام يطلب من المسلم أن يلتمس العلاج ـ ويرشده الى أن ما يصيب المؤمن له ثواب عليه حتى الشوكة يشاكها ـ والمسلم بكل خير على كل حال أن اصابته ضراء فصبر كان خيرا له وان أصابته سراء فشكر كان خيرا له ٠٠٠ وقد يخاف من ضغط الحياة عليه لسبب من الاسباب ٠ والرسول الكريم يبين* للمسلم أن عليه أن يكون موصولا بالله تعالى ولا يهمه الناس ـ لانهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا ـ ولو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه الا بشيء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لم يضروه الا بشيء قد كتبه الله عليه ـ وفى عصرنا الحاضر توجد مشكلات كثيرة بسبب الجنس ـ والاسلام قد وضع الاسس لتنظيم صلة الرجل بالمرأة ـ فهو يرفع هذه الصلة بالزواج فلا يستقذرها ولا يكبتها ولا يهملها ـ ويجعل أساس الزواج التقوى ويحطم أمامه العراقيل التى توجدها المجتمعات المختلفة كالمهر المرتفع والسكن الراقى والتجهيز الغالى فكل هذه أشياء مادية ليست بذات قيمة كبيرة ـ وقيمة المرأة ليست فى هـذه الماديات ـ ولكن فى تحقيق معنى السكن والطمأنينة والعيشة الهادئة وفى الحديث الشريف (خير النساء من تسرك اذا أبصرت وتطيعك اذا أمرت وتحفظ غيبتك فى نفسك ومالك) رواه الطبرانى ـ وهو حفاظا على المرأة ـ لا يبيح

الاختلاط المثير ــ ولا يبيح الخلوة ــ ولا يبيح الملابس المثيرة لمـا لها من خطورة فيمنع ابداء الزينة الا للزواج والمحارم (ولا يبدين زينتهن الاما ظهر منها) النور ٣١ ــ ثم يقول (ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن ٠٠ الآية) النور ٣١ ــ وينهى المؤمنـات عن الحركات التى تعلن الزينة المستترة وتهيج الشهوات الكامنة وتوقظ المشاعر الهادئة (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم مـا يخفين من زينتهن) النور ٣١ ــ ومن ذلك الاثارة عن طريق أجهزة الدعاية والاعلام ــ ومن واجب المسلمين أن يطلبوا منع هـذا ٠٠ ومن واجب ولى الامر أن يمنع فهو مسئول أمـام الله وأمام الناس ٠ والمسـلم مطلوب منـه أن يتعفف حتى عن النظر للمرأة ــ وليس له الا النظرة الاولى العفوية ــ أما الثانية فهى عليه ٠

والاسلام بذلك يريد حماية المسلم من الاخطـار النفسية التى يتعرض لها نتيجة لمـا يحدث فى المجتمعات التى تظهر زينـة المرأة فتثير الشهوات وتحدث الصراعات داخـل النفس وتكون سببا من أسباب الكوارث عليها ٠

والاسلام يربى أبناءه على البعـد عن الحقد والكراهية والحسد وقـد أثبت العلم الحديث أن لهـذا كلـه تأثيرا كبيرا على جسـم الانسان وعلى نفسه فهو يرفع ضغط الدم ويحدث جفافا واضطرابات خطيرة فى الغـدد الصماء وعسرا دائما فى الهضم والامتصاص والتمثيل الغذائى وارقا وشرودا ٠٠ والنفور والاشمئزاز يؤديان الى أمراض نفسية كالحساسية ــ والحساسية ذاتها نوع من أنواع النفور ــ نفور الجسم من مواد غريبة عليه ٠

والاسلام يربى أبناءه على الامل والبعد عن اليأس ذلك لأن اليأس والايمان لا يجتمعان فى قلب مؤمن والقرآن الكريم يقول (ولا تيأسوا من روح اللـه انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) يوسف ٨٧ ذلك لان اليأس يؤدى الى انقباض الكورتزون فى الـدم ٠٠ والغضب يؤدى الى ارتفاع الادرالين والتروكسين فى الـدم بنسبة كبيرة ــ واذا استسلم الانسان لدوافع الغضب واليأس أصـبح فريسة سهلة لقرحـة المعـدة والسـكر وتقـلص القولـون وأمراض

الغـــدد الدرقية والذبحة ـ وهى أمراض لا علاج لهـا الا المحبـة والتفاؤل والتسامح لانها فى حقيقتها أمراض نفسية ـ ومن هنـــا ندرك أهمية وصـــية النبى للصحابى الـذى جـاء يطلب نصيحة بقوله : وكررها ثلاثا ـ كما ندرك أهمية قوله صـــلى الله عليه وســـــلم (ليس الشـــديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفســه عنـد الغضب) متفق عليه ـ ومقاومة الاجســـام للامراض تكون على أعلى مستوى من الكفاة ءاذا كان هنـــاك انسجام بين كل الخلايا والغـــدد والاعصاب وهى حالة ترتد فى النهاية الى صـــورة من صور الائتلاف الكامل بين النفس والجســـد ٠٠ ولهـذا يرى الاطباء ان الانفلونزا تعاود الانسان بكثرة لاسباب نفســـية ـ حقيقة انه لابد من وجـــود أسباب ـ ولكن لابد من وجود قابلية للعدوى أيضـــا ـ والقابلية حالة نفسية كما انها حالة جسمية ٠

وقد بدأ الاطباء يتجهون الى أن مرض الســـل قـد يكون سببه نفسيا ـ ومن الاشياء التى تلفت النظر أن بعض الامراض كالاكزيمـا أمكن احداثها بواســـطة الايحاء أثناء التنويم المغناطيسى ـ كما أن الحالة النفسية يمكن أن تكون سببا فى الحمى والصداع والضغط والسكر والروماتزم والسرطان ٠

ومن هنا فاننا نجد أن المؤمنين الصادقين الذين سلمت نفوســـهم وصفت قلوبهم باخلاص الايمان لم يتعرضوا مطلقا للامراض النفســية التى تجر وراءها الامراض البدنية ـ ذلك لان هـــذه الامراض بنوعيها لا تظهر الا مع ضعف الايمـــان أو مع فقدانه حين تتسرب الوساوس الى النفس فتنشـــأ العقد وتكثر الحاجة الى الادوية المنشـــطة والمهدئة والمخدرة التى لا يعتدل بهـا مـا اعوج من النفوس ـ وسيظل الصراع قائما فى زوايا النفس التى ضعف ايمانها ـ ومن هنـــا يقول الدكتور بريل (ان المرء المتدين لا يعانى قط مرضا نفسيا) ٠

وينصح علماء النفس بأن يكون للانسان مثـل أعلى فى الحياة أو مبادىء أو فلسفة دينية أو خلقية تكون عونا له على البت السريع فيمـا يعرض له من مواقف حافلة بالصراخ ـ وتكون سلاحا يستمد منه فى شتى ظروف الحيـاة حوافز الى العمل قوية عالية تتلاشى دونها الثروات

الكاذبة — وحبذا لو أوتى من الصبر والحكمة ما يستطيع بوساطتها أن يتعرف على نفسه فيفهم دوافعه الخاصة ثم يعمل على حسم النزاع بينها عن طريق الفكر والنقد الصريح .

العلاج النفسى :

يقصد بالعلاج النفسى الاسلوب السيكلوجى الذى يتخذ فى علاج اضطرابات الشخصية أو الامراض الجسميه الناتجة عن النواحى النفسية . والعلاج يبدأ من معرفة أسباب الاضطرابات النفسية التى أدت الى هذا الخلل فى وظائف النفس والجسم — وفى العصر الحاضر نجد أساليب كثيرة استخدمت فى علاج الامراض النفسية ولعل أهم هذه الطرق :

١ — العلاج بالايحاء :

وذلك بأن يثبت انسان فى نفس المريض فكرة يتقبلها دون مناقشة أو نقد أو تمحيص لما بينهما من صلة روحية أو لما يعتقده فيه من علم وقوة — وقد يكون الايحاء خارجيا حين يكون مصدره شخصا آخر — وقد يكون ذاتيا حين يكون مصدره الشخص المريض — وذلك بأن يوحى الى نفسه بما يريد ومن أشهر المعالجين بالايحاء النفسى الذاتى العالم النفسى الفرنسى (كوفيه) .

٢ — العلاج بالاقناع :

يلجأ المعالج الى عقل المريض لا الى ايمانه فيستخدم المناقشة والمنطق لا ليفسر له طبيعة مرضه ولكن ليلقنه بأن أعراض مرضه ستزول — وهذه طريقة الفونس دى بوا .

٣ — العلاج بالتنفيس والتعبير :

وذلك باطلاق سراح الدوافع المفتعلة وارضاء الحاجات المزموتة والتعبير عن الانفعالات المكظومة — وذلك بتهيئة الفرص الملائمة لذلك أو بمعاونة المريض على التماس وسائل سليمة لهذا الارضاء التنفيسى

الذى يتمثل غالبا فى الحاجة الى التقدير والحاجـــة الى الامن بمعنـــاه الواسع : الصحة والعمل والاولاد — والتنفيس من أظهر الحاجات التى يترتب على زمتها اعتلال الصحة النفسية للفرد — والنقابات المختلفة قامت بهـــذه الناحية فاصبح الفرد يعبر عن نفســـه بالقول أو بالفعـــل متحررا من الخوف والسخرية ·· واصبح يحس بأن له صـــوتا ولـــه قيمة ويؤخذ رايه ويستشار — بل وتتاح له الفرصة للزعامة والسيطرة ·

٤ — العلاج بالفهم والاستبصار :

ويكون بشرح المشكلات ومناقشـــتها وذلك اذا استجاب الفـــرد للتفسير لحاجات المريض لمستواه العقلى — وعلى شرط أن يســـــــهم المريض بقسط وافر فى حـــــل مشكلته بنفسه وفى وضع الخطـــة التى سيسير عليها فى المستقبل فـــلا يكون موقفـــه موقف المستمع السلبى لا غير ·· ويزداد فهم الانسان لمشكلاته حين يقصها على صديق أو حين يحاول كتابتها بالالفاظ عندئذ تتضح المشكلة وتتبين ملامحها الغائمـــة ·

٥ — العلاج باللعب :

العلاج باللعب فيـــه منفذ كبير غير ضـــار لكثير من الغرائز والرغبات المكبوتة التى لا يمكن تنفيذها فى الواقع ·· وفى ألعاب الاطفال كثير مما يرضى غريزة التســـلط لديهم — وهـــو نشاط حـــر تلقائى غير مفروض وفيه تظهر كثير من سمات الشخصية التى لا تظهر فى العمل الجـــدى ·

٦ — العلاج بالعمل :

وهـــو يزيد من ثقـــة الفرد بنفسه وبخاصة عند من تعوزه هذه الثقة بنفســـه فالعمل يجتذب المريض من عـــالم الخيال الذى يعيش فيـــه الى عالم الواقع — كما أنه يذهب عنـــه شيئا من الملل ويقوى ارادته على التركيز — ويشعره بشىء من الثقة حين يوفق الى انجـــاز عمل ما بل قـــد يبدأ المريض بدافع ايحائى الى الشـــفاء — وســـلوك

المريض أثناء العمل يعين على تشخيص مرضه وبالتالى على اقتراح الوسائل الملائمة لعلاجه ٠

٧ ـ العلاج بالارشاد :

العلاج بالارشاد وسيلة من وسائل علاج الامراض النفسية وحالات سوء التوافق الخفيفة وهو ارشاد مفروض وارشاد ذاتى ففى الاول يقف المعالج من المريض موقف المعلم الآمر المسيطر من تلميذه يكلفه القيام بأعمال خاصة أو ينظم له أوقات فراغه وعمله بما يراه صالحا لتخفيف ما لديه من عدوان أو خجل لزيادة شعوره بالامن ـ فقد يضع له خطة أو يقدم اليه من المعلومات والنصائح ما يصحح ما لديه من معتقدات خاطئة ٠٠٠ أما العلاج الثانى فيكون موقف المعالج من المريض موقف المدرس الديمقراطى الحديث من تلميذه ـ وهو سلبى أكثر منه ايجابى ـ والمعالج يخدم أهداف المريض وما يريده لنفسه من مستوى للطموح ـ فالمعالج يشجع المريض على أن يبحث بنفسه وينقب فى ماضيه من طفولته بنفسه ـ وظاهر من هذا أن أنصار الارشاد الذاتى يؤمنون بأن التعليم الحق لابد وأن يقوم على النشاط الذاتى للمعلم وهذا المذهب يروج له كارل روجرز ٠

٨ ـ العلاج بتحليل الشخصية :

يتبع فى الحالات التى يكون فيها سوء التوافق ناشئا عن اضطراب فى الشخصية أكثر من ظروف الحياة الاجتماعية والحاحها ـ وهو يقتضى فى العادة وقتا طويلا ومهارة خاصة لمن يقوم بالتحليل ـ وعلى رأس المعالجين بتحليل الشخصية « فرويد » ٠

٩ ـ المذهب الدينى :

على أن مما يلفت النظر أن العصر الحديث نشأ فيه مذهب للعلاج النفسى اتجه الى الدين لما له من الاثر الفعال فى شفاء

الامراض النفسية – وأصبح المذهب الدينى مذهبا قائما بذاته يهتم بدراسة الضمير والذات الاخلاقية والحياة الشعورية – وترتب على ذلك اهتمام أصحاب هذا المذهب بالدراسات الخاصة بسيكلوجية الذات ٠٠ واعتبر الاضطرابات النفسية استجابات غير سوية لضمير المريض بسبب ما تعرض له من اهمال او نتيجة لقيام الفرد بسلوك يتضمن أنواعا من التحدى السافر لقوة الضمير – ومن هؤلاء استركل الذى يرى أن هناك ارتباطا ايجابيا بين المرض النفسى وعذاب الضمير – فالاثم قد يكون له تأثير ضار مدمر للشخصية عند ما يشعر به الانسان ولا يستطيع أن يعبر عنه أو يصححه – وتلعب التربية الجيدة فى الاسرة والمدرسة دورها فى العناية بنمو الذات وتنميتها ومساعدتها على النضج لكى تصبح صمام أمن للفرد – وملاءمة الذات عملية يستطيع أن يقوم بها المعلم وعالم الدين ٠٠ والآباء والامهات والموجه النفسى ٠

ويرى أصحاب هذا المذهب أن الدين هو الطريق الى العقل والقلب وهو يحدث نوعا من غسيل المخ للفرد والدين هو الطريق الى ابقاء ودوام القيم الانسانية التى تعتبر اطارا سليما لسلوك الفرد وتصرفاته وأسلوب حياته – وهو من العوامل المساعدة للانسان على التغلب على التوترات والصناعات والصراعات التى يتعرض لها ٠

العلاج النفسى فى الاسلام :

يقوم العلاج النفسى فى الاسلام على أساس روحى يدعو الانسان الى معرفة مكانته فى الكون فهو خليفة الله فى الارض – خلقه وسخر له جميع ما فى الكون حتى يقوم بعمارة الارض وتحقيق العدل فيها – فالاسلام يدعو الانسان الى حسن ادراك صلة الله تعالى بالوجود ومكانته منه قبل كل شىء – ثم يغذى قلبه وعقله بمبادىء الاسلام السامية كالمحبة والاخوة والبر والتقوى – وعلى أساس هذه المبادىء ينظم الانسان حياته كلها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ويحقق رسالة الله فى الارض ٠

ويبدأ العلاج بالنسبة للمريض عن طريق وصلة بالله تعالى فيبدأ من الشعور بالراحة والطمأنينة لانه يحس بأن له سندا قويا فى الحياة فيبعثه هذا على التغلب على مشكلاته والنظر الى الحياة بعين راضية ٠

والايمان : هو نظافة القلب والنفس من الوساوس والشكوك ـ وهو الدعم ـ الذى ينشأ على هذه النظافة ـ للخلق القويم والجسم السليم ـ والايمان لذلك يزيل جميع العلل المادية والحضارية فى عالمنا المعاصر اذ أن الامراض النفسية تزداد مع نشاط الحياة القائمة على المادة وحدها بعيدة عن الايمان وقوته ٠

ان الانسان يصبح على أفضل ما يكون عندما يكون على وفاق مع خالقه ـ يقول الدكتور كارل بونج وهو من أعظم أطباء النفس فى كتابه (الانسان العصرى يبحث عن نفسه) « ان كل المرضى الذين استشارونى خلال الثلاثين سنة الماضية من كل انحاء العالم كان مرضهم هو نقص ايمانهم وتزعزع عقائدهم ولم ينالوا الشفاء الا بعد أن استعادوا ايمانهم » ويقول ديل كارنيجى (ان أطباء النفس يدركون أن الايمان القوى والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبى وأن يشفيا هذه الامراض والاطباء النفسانيون ذكروا العلاج بعد أن لمسوا بأنفسهم فى مصحاتهم مدى انتشار الامراض النفسية وعمقها فى المجتمعات المتمدينة ومدى تأثيرها على الناس وسلوكهم ذلك لانهم ساروا فى اتجاه المادة بدون أن يكون لديهم مصدر من الايمان يحميهم ـ والدكتور ماير احد أطباء مستشفى ماير بأمريكا يقول (ان القلق يجعل العصارات الهاضمة تتحول الى عصارات سامة تؤدى فى كثير من الاحيان الى قرحة المعدة) ويصف الدكتور وليم جيمس استاذ الفلسفة فى جامعة هارفارد العلاج فى قوله ان أعظم علاج ولا شك هو الايمان) ٠

ولقد نشرت مجلة ليديز هوم جورنال احصائية عن القلق جاء فيها (ان سبعين فى المائة من القلق الذى يعانيه الناس مرجعه

الى المـــال وليس من وقاية للناس من هـــذه الحوادث الا الايمـان بالله الرزاق الـذى يقسم الارزاق بين العبــاد دون أن يكون للمرء دخل فيها) ويأخذ الدكتور بول ارنست أدولف الطبيب الجـــراح الموضوع من زاوية أخرى فيقول (ان معظم القرح المعوية لا ترجع الى ما يأكله الناس وانما الى ما تأكله قلوبهم ولابد لعلاج المريض من علاج قلبه وأحقاده أولا ٠

وفى الاحصائية التى نشرتها الولايات المتحـــدة الامريكية عقب الحرب العالمية الثانية عن المجندين والمبعدين عن التجنيد لاسباب نفسية جــاء فيها : ان المطلوبين للتجنيد كانوا خمســـة ملايين أبعد منهم لامراض نفسيه ١ر٨٤٠٠٠٠ بنســـبة ٣٥٪ ثم سرح بعد الدخـــول ١٨٤ و ٧١٨ لاسباب نفسية أيضا فبلغت النسبة بذلك أكثر من ٥٠٪ وهى نتيجة مروعة بالنسبة لاكبر دولة فى التقدم المادى والعلمى فى العصر الحاضر ٠

ولكن مم يقلق الانسان فى هذه الحياة ؟ انه قد يقلق من خوف الفقر وهنا يصل الانسان بالله الذى تكفل برزق كل حى (وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون) الذرايات ٢٢ ، ٢٣ ـ وعلى الانســـان أن يلجــأ الى اللـه بلا وساطة بينهما ٠٠ يلجأ الى الله ويستعين به ويطلب منه أن يحميه من الفقر ولكن الدعاء لا يكون لطلب الحماية من الفقر وحـــده ـ ولكن أيضـــا من أشياء أخرى تؤثر فى صحة الانسان النفسية ـ وقـــد ذكر فى الحديث الشريف (اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكســـل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) رواه أبو داوود ـ وأيضـــا فى الحديث الشريف (اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر وأعوذ بك من عـــذاب القبر لا اله الا أنت) ومن هنـــا فان الحديث الشريف يربط بين الكفر والفقر بين الدنيا والآخرة ـ وقـــد رأى النبى صلى الله عليه وســـلم أبا امامة فى المسجد فى غير أوقات الصلاة فقال له : ما لى أراك يا أبا أمامة فى المسجد فى غير أوقات الصلاة فقال يا رسول الله ، هموم ركبتنى وديون لزمتنى فقال عليه الصلاة والسلام (ألا أعلمك

كلمات تقولهـا فى الصباح والمسـاء فرج الله عنك همك وقضى دينك) فقال : بلى يا رسول الله فقال عليه السـلام (قل : اللهم انى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسـل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبةالدين وقهر الرجال) قال أبو امامة : فما زلت أقولها حتى قضى الله عنى دينى وفرج همى .

الخوف من الناس :

واذا كان الخوف من رئيس أو غيره فعليه أن يعتصم بالله وأن يعلم أن الامة لو اجتمعت على أن يضروه لم يضروه الا بشىء قـد كتبه الله عليه ولو اجتمعت على أن ينفعوه لم ينفعوه الا بشىء قـد كتبه الله له كما جـاء فى وصـية النبى الكريم لعبد الله بن عبـاس رضى الله عنهما ـ ذلك لان ما فى يد العبد قليل وما فى يد الله كثير ـ بـل ان الدنيا كلها لا تساوى عند الله جناح بعوضة ـ ولو كان الامر كذلك ما سقى الكافر منها جرعة ماء .

الخوف من الله :

ان كان الخوف من معصية اقترفها الانسان فالله سبحانه قـد فتح باب التوبة على مصراعيه فى قوله تعالى (قـل يا عبـادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هـو الغفور الرحيم) الزمر ٥٣ ـ فهى رحمـة واسعة تسع كل معصية وتسع الشاردين جميعا وتدعوهمالى الامل والرجاء ـ واللـه سبحانه وتعالى لذلك يمده بالعون ويوسع له فى الرحمة ولا يطلب من عباده المسرفين على أنفسهم الا الانابة والعودة الى ايثار الطاعة بلا طقوس ولا حواجز ولا وسطاء ولا شفعاء ـ صلة مباشرة بين العبد وربه ـ وقد سمع عمر بن الخطـاب أن رجلا انتابه اليأس من مغفرة الله تعالى فأغرق نفسه فى المعاصى ـ فكتب اليه عمر بن الخطـاب كتابا يقول فيه (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العـليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) غافر ٣/٢ ـ فأخـذ يكرر قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب حتى تاب الى الله فتاب عليه .

الحب :

ويأخذ الحب كثيرا من التفكير والوقت فى العصر الحديث — وما أكثر مشكلاته وما أكثر الامراض النفسية التى تنجم عنــه — ولعل خير من يحدثنا فى هذا الموضوع الطبيب الانجليزى ترومان ٠ ك ٠ بريل مدير المستشفى النفسى بلندن فهو يقول (لعل أغرب تجارة كسب منهـا التجار — الالوف من المــلايين تجارة الحب وصـــناعة السينما ونحوها — لقد ساعدوا فى افســاد عواطف هــذا الجيل من الشباب الذى ولـد بعد الحرب وقالوا له : ان الحب جميل وساحر — وأصبحت كلمة الحب صورة خيالية لا يستطيع الانسان ان يصل اليها فيعجز الانسان عن ممارسة الحب وعن الرضــا العاطفى وبــذلك يختلف عن أفكاره لان الواقع يصدمها) ٠

وقد طلب الدكتور بريل منع وسائل الدعـاية من نشر هــذه المفاهيم لخطورتها وحتى نحفظ نفوس البشر ثـم طلب أن يعرف المجتمع الانسانى صاحب الثقافة الغربية حقائق الحياة جيدا وأن يقنع الانسان بأن يتعامل مع الحب كعاطفة انسانية لا كشىء مدمر فتاك يطلب الولاء والتقديس ٠

ويرسم الدكتور بريل طريقة للعلاج فيطلب من الانســان أن يمارس العمل اليدوى ولو كهواية لانه يعطى الانسان رجلا أو امرأة درجة من الثقة بالنفس — وهى مطلوبة حتى يتعرف جيدا على قدراته — فعزله عن العمل اليدوى عزلا عن الثقة بالنفس — وعندما يثق الانسان بنفسه فانه يتعلم كيف يثق بالآخرين ٠٠٠ وقــد لحظت أن الدكتور بريل لم يتعرض الى الاتجاه الى الله مع انه حجر الزاوية فى علاج الامراض النفسية كلها ٠

والاسلام يبدأ فى كل علاج بايجاد الصلة القوية باللـه فهو نعم المعين لعبده فى كل وقت وقـد فتح الباب أمــام الجميع (واذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان) البقرة ١٨٦ — كما أن المسلم يدعو الله ويلجأ اليه فى الصلاة ويطلب منه العــون ٠٠ ثم يناقش المشكلة مناقشة هادئة حتى يصل الاقتناع الى قلبه فيساعده

هـــذا على الشفاء من مرضـــه ٠٠ جـاء شاب الى النبى صلوات الله عليه وطلب منه أن يصرح له بالزنا لانه تمكن منه فلا يستطيع التخلى عنه وبدأ النبى صلوات الله يناقشـــه فى هـذه المسألة قائلا لـــه (أترضاه لامك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم (وكذلك الناس لا يرضونه لامهاتهم) ثم قال له : (هل ترضاه لاختك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم (وكذلك الناس لا يرضونه لاخواتهم) ثم قال له (هل ترضاه لابنتك ؟ قال الشاب : لا قال النبى الكريم (وكذلك الناس لا يرضونه لبناتهم) فاقتنع الشـــاب بهـذا المنطق وعزم فى نفســه على أمر وطلب من النبى عليه السلام أن يدعو له فدعـــا له ومسح على قلبه وشفى الشاب من مرضه) رواه أحمد ٠

وتذكر الانسان للـه تعالى فى أشـــد الاوقات يحميه من الوقوع فى الخطـأ ــ وهـــذا ما حدث مع النبى يوسف عليه السلام فمع أنه كان غلاما فى بيت وزير يعيش فى مظاهر النعمة ــ ومع أن التى راودته عن نفسها هى سيدته الا أنه رفض الفاحشة فى اصرار رائع قائـلا : (انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون) يوسف ٢٣ ٠

والتاريخ الاسلامى يحدثنا أن الشاب المســـلم عبد الله الـذى لقب بالقس لكثرة عبادته وورعه احب سلامة حبا جعل الناس يطلقون عليها سلامة القس ٠٠ وقد استعملت سلامة كل وسائل الاغراء معه فلم تفلح فى جذبه الى ما تريد ــ وأخيرا صرحت بما تريد وقالت انى احبك فقال : وانا والله الذى لا اله الا هو قالت واشتهى ان اضع فمى على فمك فقال : وأنا والله الذى لا اله الا هو قالت : فما يمنعك فوالله ان المكان لخال ؟ فقال : يمنعنى قوله تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) الزخرف ٦٧ ــ ثم خرج ولم يعد بعد ذلك اليها ابدا ٠

الهـــم :

وقد تضيق نفس الانســـان لسبب من الاسباب ــ قـد يكون الهم بسبب شك قاتل أصـــاب الانسان من مشكلة فى حياته ــ وعلى الانسان أن يبحث فيها بحثـا موضوعيا فهذا البحث بوصــــل الى نتيجة طبيعية فان لم يستطع ان يصل بنفسه ساعده مخلص على

ذلك . ما رواه البخارى من أن ضمضم بن قتادة اتى النبى عليه السلام فقال : يا رسول الله ولد لى غلام أسود وكان ضمضم أبيض اللون ـ وكأنه يستنكر أن يولد للابيض ولد أسود ـ وهذا تعريض ينفى نسبه منه والحاق التهمة بأمه فقال له عليه السلام : هل لك من ابل ؟ قال نعم قال صلى الله عليه وسلم ما ألوانها ؟ قال : حمر قال فهل فيها من جمل أورق ؟ اى لونه بياض الى سواد ـ قال : نعم قال عليه السلام : فانى ذلك ؟ اى من اين اتاه هذا اللون الذى ليس فى ابويه فقال الرجل : لعله نزعه عرق) وهكذا تركه النبى صلوات الله عليه يجيب نفسه بنفسه ويقنع عقله بمنطقه وكأنه بذلك يقرر حقيقة الوراثة النوعية لافراد الجنس ـ ويتحدث بلغة علماء القرن العشرين : الامر الذى أكده الرسول عليه السلام حين رد عليه فى النهاية وقال (لعل ابنك هذا نزعة عرق) وانصرف الرجل بعد ذلك بعد أن هدأت نفسه واستراحت أعصابه ولان قياده وتلقى الاسباب مشفوعة بنظائرها مدعمة بقياسها واخذ الحكمة الصافية من نبع الحكمة عليه السلام ويقول الدكتور الكسيس كاريل (ان النشاط الروحى يسبب تغييرات تشريحية او وظيفية فى الانسجة والاعضاء على السواء .. وانه من المستطاع أنيحس الانسان بالله بنفس السهولة التى يحس بها حرارة الشمس أو وجود صديق ـ ومن هنا قال الدكتور فرانك لوباخ العالم النفسى الالمانى (مهما بلغ شعورك بوحدة نفسك فاعلم أنك لست بمفردك أبدا فاذا كنت على جانب من الطريق فسر وأنت على يقين من الله يسير على الجانب الآخر) وقد استخلص علماء النفس من تجاربهم فى حقل العلاج النفسى أن الذى يعتنق دينا يتمتع بشخصية اقوى وافضل ممن لا دين له قال الدكتور هنرى لنك (انه عين مستشارا فى مصلحة تشغيل المتعطلين بنيويورك ـ ونيط به وضع الخطط ومراقبة الدراسات الاحصائية ـ وقد أجرى تجاربه النفسية على عشرة آلاف نفس فكانت النتيجة أن كل من يعتنق دينا او يتردد على دور العبادة يتمتع بشخصية اقوى وافضل ممن لا دين له أو لايزاول أية عبادة) .

ومن هنا فقد استخلص هذه النتيجة التى تبين لنا مدى أهمية الدين بالنسبة للانسان فقال (الدين ليس مجلأ الضعفاء

ولكنه سلاح الاقوياء ـ فهو وسيلة الحياة الباسلة التى تنهض بالانسان ليصير سيد بيئته المسيطر لا فريستها وعبدها الخاضع ـ وفى هذا الاتجاه يسير عالم النفس الشهير البروفسير يانج الذى لخص تجاربه عن الامراض النفسية فى قوله (طلب منى أناس كثيرون من جميع الدول .. المتحضرة مشورة لامراضهم النفسية فى السنوات الثلاثين الاخيرة ـ ولم تكن المشكلة من هؤلاء المرضى الذين جاوزوا النصف الاول من حياتهم وهو ما بعد الـ ٣٥ الا الحرمان من العقيدة الدينية ـ ويمكن أن يقال ان مرضهم لم يكن الا لانهم فقدوا الشيء الذى تعطيه الاديان الحاضرة للمؤمنين بها فى كل عصر ولم يشف أحد من هؤلاء المرضى الا عندما استرجع فكرته الدينية) .

خاتمة :

وهكذا يتضح لنا سلامة الاسلوب الذى عالج الاسلام به الامراض النفسية متخذا أحدث الاساليب التى توصلت اليها أحدث البحوث الحديثة .

وقد بدأ بالعناية من الناحية الانشائية حتى تنشأ النفس المسلمة نشأة سليمة سوية قوية فتستطيع أن تؤدى رسالتها فى هذه الحياة فاذا ما ضعفت فى وقت من الاوقات لسبب من الاسباب فان العلاج الاسلامى كفيل بأن يعيد للنفس المسلمة اتزانها وصحتها .

والله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الانسان وهو أعلم بما يصلح له ـ واتصال الانسان بالله تعالى وبتعاليمه وبقرآنه هو الشفاء من كل داء (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) الاسراء ٨٢ .

ونحن فى هذا الجو المتصارع ـ وفى جو الضغط اللانهائية على النفس وعلى الاعصاب ـ وفى الجو الذى يريد الناس فيه أن يحسوا بالراحة والطمأنينة والسعادة ، وأن يشعروا بقيمتهم فى الحياة وبأثرهم فى جوانبها .

نعم ـ نحن فى حاجة الى الرجوع الى الاسلام نقتبس منه ما يحمينا من الامراض المختلفة ـ كما نقتبس منه العلاج لامراضنا النفسية والاجتماعية .. وبذلك فى سعادة غامرة .. ونعطى لهذا العالم الحائر الاسلوب الامثل الذى يجعله يعيش فى سعادة وطمأنينة وسلام .

تمهيـــد :

لو اننا نظرنا الى الاديان والى الفلسفات الانسانية فى تاريخهـــا الطويل لمـا وجدنا لها فكرة شاملة عن القوى الانسانية والكونية بل لوجدناها تفرق بين القوى الروحية والقوى المادية تنكر احداها وتعترف بالاخرى أو تعترف بهما وبوجود تصادم وخصام بينهما ٠

فالمسيحية والبوذية والهندوكية ترى كل منها أن خلاص الروح مرهون بكبت الجســد أو بافنائه أو على الاقـــل باهماله والكف عن لذائذه ٠

والفلسفات المعاصرة كالشيوعية والوجودية تعنى كل منهما بالناحية المادية وحدها وتنكر الناحية الروحية انكارا تاما ٠

أما الاسلام فله أيدلوجية أساسية خاصة فى مجال النظرة الى الله تعالى والكون والحياة والانسان والمجتمع ــ وله منهج فكرى كامل شامل للحياة كلها وما فيها ــ والانســـان وصلته بالكون الذى يعيش فيـــه وبالله الاعلى الذى خلقه وخلق الكون ٠

فالله سبحانه وتعالى خلق الكون وجعل الانسان خليفة له فى الارض يؤدى رسالته فى هذه الحياة طبقا للنظام الذى أراده اللـــه تعالى ــ ولا يصح للانسان أن يدعى الاصـــالة فيضع لنفســـه المنهج الذى يسير عليه أو يطلق العقل فيما لا مجال له فيـــه ــ وهـذا المنهج حقق للانسان الاستقرار والاطمئنان ولا يوجد مجالا للخلاف بين الناس او عداوة بين الفلسفات التى تظهر فى غيبة النظام الالهى ــ وهـــذا النظام كفيل بأن يسعد هـــذا العالم الحائر لو انه حاول أن يستفيد منه ــ لكن الفلسفات الحديثة لا تحاول الاستفادة من الاسلام بـــل

هى تسعى جاهدة ـ يعاونها الاستعمار فى ذلك لاخراج الاسلام عن مقوماته النفسية والروحية والاجتماعية ـ ومحاولاتها مستمرة لغزو الفكر الاسلامى واخراجه عن قيمه ومناهجه بل لتدمير مقوماته وادخال مفاهيم اخرى للقضاء على استقلاله وذاتيته ٠

الكون واسراره :

هذا الكون حافل بالاسرار ـ عامر بالقوى المختلفة التى تتفاعل مع حياة الانسان ـ والمسلم يعرف هذا ـ وهذه المعرفة تجعله فاهما للكون الذى يعيش فيه عارفا لمكانته فيه بالنسبة لمن حوله ـ والله سبحانه وتعالى الذى خلق الانسان وفضله على كثير من مخلوقاته وجعله خليفة له فى الارض أعانه على أداء رسالته فيها بتسخير أشياء كثيرة له فى الكون وبيان أشياء من الكون هو فى حاجة اليها لانها تعينه على أداء هذه الرسالة ـ وهو وحده وبامكاناته المحدودة لا يستطيع أن يصل اليها لانها خارجة عن دائرة حواسه كمعرفة الملائكة والشياطين ومعرفة المنشأ والمصير وما الى ذلك ٠

وقد عرف هذا الجانب عن طريق الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى لهداية عباده ٠٠ وقد اكتفى المؤمنون بما جاء به الرسل فى هذا المجال ـ واحسوا بعظمة الله سبحانه وتعالى وعرفوا موقف الانسان فى الارض من هذه العوالم والارواح ـ ثم شغلوا طاقاتهم العقلية فيما يعود عليهم بالفائدة فى الكشف فى حدود هذه الارض وما حولها ـ واستعملوا هذه المعلومات فى عمارة الارض والقيام بخلافة الله فيها على هدى من الله سبحانه وتعالى ٠

والمسلم يرتبط دائما بربه فى كل أعماله ـ ويرى أنه مهما أحرز من سبق فان ذلك كله بفضل من الله ـ وبهذا يتجه الى الحضارة وجهة ربانية يعرف أن قيمتها الكبرى تكمن فى دعم الايمان بالله ويسعى جاهدا الى تقوية الصلة به ـ لان الارتباط بالله والاستناد اليه مصدر قوة عظمى تعين على المضى فى رحلة الحياة وتفيض على

القلوب أنسا وراحة ـ وهو فى هذا المجال مطلوب منه ألا يشغل نفسه بغير ذلك يقول الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) الاسراء ٣٦ كما انه فى مجال الشعائر على الانسان أن يفهمها بالكيفية التى طلبها الله تعالى منه بلا جدال ولا مناقشة ـ فلله الذى طلب منه اقامة هذه الشعائر هو الذى حدد نظامها وكيفيتها فلا مجال فيها للعقل ٠

ولكن مجال العقل فى النظر والتجربة يكمن فى الكون الذى يراه الانسان ويحس به ومطلوب منه أن ينظر وأن يفكر وأن يجرب والا فانه ملوم على تقصيره (وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) يوسف ١٠٥ ٠

صلة الانسان بالله تعالى :

الكون الذى نعيش فيه مكون من طاقات مادية وطاقات روحية متصلة ومن وراء ذلك قوة الله سبحانه وتعالى تسيطر على ذلك كله ـ والانسان خلق لا يعلم شيئا ثم جعل الله له الاحساس والشعور بالتدريج ثم أعطاه الله قوة أخرى هى قوة العقل فهو يتصرف بشعوره واحساسه تصرفا يكون له فيه السلطان على الكائنات فيسخرها ويذللها بعد ذلك بواسطة العقل ـ والانسان بعلقه يصبح ذا طاقة ضخمة ـ فهو على ضعف افراده يتصرف بمجموعة فى الكون تصرفا لا حد له فقد اعطاه الله تعالى مواهب ليظهر بها اسرار خليقته ـ أعطاه الارض وسخر له ما عليها ـ كما أعطاه شرائع حدد له فيها حدودا لاعماله وأخلاقه هذه الحدود تحول دون بغى أفراده وطوائفه بعضهم على بعض والانسان المخلوق الضعيف يستطيع أن يتصل بالخالق القوى فى أى وقت يريد يتصل به فى الصلاة وفى الدعاء وفى كل عمل يستهدف به رضا الله سبحانه وتعالى ـ والله سبحانه وتعالى جعل الحياة بما فيها هى وحدها الطريق الى الآخرة ـ والمسلم يحس بحقيقة الصلة بينه وبين ربه ويشعر بقدرته فى كل ما يحيط به بالناس وكل ما يستمتع به مما سخره الله له ـ وهو محض تفضل منه تعالى لان الانسان لا يقدر

على شيء الا بارادة الله — وكل هذه المشاعر كفيلة باستبقاء القلب البشرى فى حالة يقظة حساسة لا تغفل عن مراقبة الله ولا تجمد ولا تتبلد بالركود والغفلة والنسيان ٠٠ فالايمان هو اتصال الانسان بالله وبالكون والنواميس وبالقوى الموجودة فيه وقد عرف وليم اورلز الطبيب الكندى المشهور الايمان بالله بانه (القوى الدافعه الكبرى التى لا يستطيع ان تزنها فى الميزان أو تختبرها فى الجفنة — ولا يمكن أن يتم الاعتقاد فى وجود الله دون هذا الايمان) ٠

صلة الانسان بالكون :

المؤمن يحس بأن الكون صديق له — وهو يتعامل مع الوجـــود كله ما فيه ومن فيه على أساس من التعارف والتعاون والالفـــة والمودة وهو لذلك يحس بالامن والاطمئنان — كما يحس بأن للحياة طعما غير ما لها فى نفس من لا يؤمن بالله تعالى — ذلك لانه يعيش فى جو صديق — فالله سبحانه وتعالى خلق الارض وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها — والذى يقرأ سورة النحل يجد فى آياتها أنواعا من المخلوقات التى سخرها الله للانسان — وبذلك يدرك أن الله سبحانه وتعالى تولى رعايته ويؤمن بأن الناس الذين يعيشون معه فى هذا الكون اخوانه وهم جميعا مخلوقون من ذكر وانثى ومتساوون أمام الله لا فرق بين انســـــان وآخـــــر الا بالتقوى يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات ١٣ — ومن شذ عن هذا الطريق بأسلوب او بآخر اعيد الى الجماعة بالصـــلح أو بالقوة (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله) الحجرات ٩ : فان حاربوا الله ورسوله وسعوا فى الارض فسادا فلا بد من موقف حازم معهم (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهـــم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض) المائدة ٣٣ — وبذلك تكون الجماعة الاسلامية قوية متماسكة فتفرغ لتحقيق رسالتها فى هـذا الوجود ٠ واذا كان هذا التعامل مع جماعة المؤمنين فان الاســـلام

اظهر الحكمة فى التعامل مع غير المسلمين لان الهدف سـام فهو ليس لتحصين الجماعة الاسلامية وحدها بل انه يستهدف أيضـا المحافظة على مقدسات الاديان الاخرى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) الحج ٤٠ – وهذا السلوك ضرورى لصلاح الضمير واستقامته وتنسيق حركته مع حركة الكون العامة ووضوح الارتباطات بين الناس وخالقه وبين الانسان وبين الكون وما فيه وما يتبع هذا من تأثيرات اخلاقية وسلوكية واجتماعية وانسانية عامة فى كل مجالات الحياة ٠

الفرق بين الانسان وغيره :

والشىء الواضح بين الانسان وغيره من الحيوانات ان الانسان يتميز بوجود الهدف والغاية عنده فهو يعرف الغاية من الوجـود الانسانى ومن وجود المخلوقات كلها من حوله وارتقاؤه فى سلم الانسانية ينبع من شعوره هذا ودقة تصـوره اوجود الناموس والارتباط بالاحداث – والمسلم لذلك لا يعيش عمره لحظة لحظة بل يرتبط فى تصوره بالزمان والمكان كله وبالوجود كله وبقوانينه ويرتبط بالتالى بارادة الله المدبرة التى خلقت الناس لهدف واضح – فهو يعمـل لتحقيقه – وبذلك يدرك القلب البشرى على قدر ما يطيق حقيقة الالوهية وعظمتها فيعيش فى حساسية وخوف ورجـاء ثم يحس بالوجود كله متجها الى خالقه فيتجه معه مسبحا بحمده معترفا بقدرته – ويحس بالراحة والاستقرار ويعمل على أداء رسالته فى هذه الحياة ومن هنا فقد طلب من المسـلمين ان يؤمنوا بالله وما أنزل اليهم على رسوله الامين وبما أنزل الى الانبياء جميعا بلا تفريق بين واحد وآخر (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسـباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفـرق بين أحد منهم ونحن له مسـلمون) البقرة ١٣٦ ٠

والانسان له الى جانب الخواص المعروفة قلب يدرك به أمورا لا تستطيع الحواس ان تدركها – يدرك الحقائق الباطنة فى هـذا

الكون (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) الحج ٤٦ والفيلسوف ديكارت يقرر ان للانســـان حواس داخلية او باطنية تدرك الحقائق الخفية فى الكـــون فى مقابلة الحواس الظاهرة ـ والانسان يستطيع أن يستخدم فى حياته الثروات المختلفة كالحديد والنحاس والبترول ذلك لان الانســـان له فطرة التحضر التى تتطلب احتياجات نجدها فى مكونات تلك الارض من معادن وحجارة وغيرها ـ وقوانين الطبيعة فى ذهن الانسان وحـــده لوجود خاصية تلائم نظـــام القوانين ـ وقـــد سويت على الوضع الذى يحقق التطابق بين بعضها وبعضها الآخر (ما ترى فى خلق الرحمن من تفـــاوت) الملك ٣ ـ ومن هـــذه النواميس عقل الانسان ـ وبهذا التطابق تعمل جميع النواميس فى تناسق وتكامل ثم الانســـان يحس بأن عليـــه عمار الارض (هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها) هود ٦١ أى طلب منكم عمارتها بالزرع واقامة المصانع والابنية اللازمة ـ فالله سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم ـ علمـــه ما ينظم صلته بواقعه ومـــا تتحقق بـــه مصلحته يقول انشتاين (ان الشعور الدينى الذى يجده الباحث فى الكون هـــو أقوى حافز على البحث العلمى وصنع الحضارة وان هـــذا الايمان عندى يؤلف معنى الله) ٠

وللحضارة الانسانية جانبان : جانب مادى وجانب روحى وهمـــا متلازمان فى الحضارة الاسلامية أما فى غيرها فهما غير متلازمين ـ والجانب المـــادى تقدم فكر وعلم وتجربة وصناعة ـ والجانب الانسانى تقدم وجدان وخلق وسلوك ـ والجانب المـــادى دائما يلفت النظـــر أكثر لانه واضح ويملك التجريب والتدبير الا أن ضرره اذا ســـار وحده أكثر من نفعـــه ـ ودعوة الاسلام لذلك تقوم على العناية بالجانب المـــادى والجـــانب الروحى والتخلى عن الانانية وقيام الروابط الانسانية على أساس من القيم الاسلامية وحدها ـ والمجتمع الاسلامى ليس مجتمع عـــدد ولكنه مجتمع قيم انسانية عليا ـ ومن هنـــا فان المسلم يتجه دائما الى الله تعالى يطلب منـــه العون ـ والآية الكريمة (ففروا الى الله) الذاريات ٥٠ ـ توحى بالاثقال والقيود التى تشد

النفس البشرية الى نواحى المــادية ومن ذلك مطالب العيش والحرص والانشغال بالاسباب الظاهرية وما الى ذلك ـ الامر الذى جعـــل الآية الكريمة تطلب من المسلمين الفرار الى الله تعالى من هـــذه القيود ـ الفرار الى الله وحــده المنزه عن كل شريك ٠

وظيفة المسلم فى هذه الحياة :

وظيفة المسلم فى هــذه الحياة وظيفة ضخمة وأثره كبير فى هذا الوجود الكبير فهو جزء من هــذا الكون ـ والكون ساحة لنشــاطه وميدان لحضارته يدين بالعبودية لله ويتحرر من عبادة ما سواه من استذلال النظم والقوانين والاشخاص والشهوات والشيطان ٠٠ المسلم سيد الكون كله ـ ليس عبدا الا لله الواحد القهار ـ ثم ان الكون كله مصدر رائع للمعارف والعلوم ومنبع لســكينة الانسان وهـــدوء مشاعره ـ وبذلك يرفع الاسلام من اهتمامات البشر بقــدر ما يرفع تصورهم للوجود الانسانى كلـه وبقدر ما يكشف لهم أيضـــا عن علة وجودهم وحقيقته ومصيره ـ والمسلم يحس بقيمته حين يعــلم أن الله تعالى خلقه فى أحسن تقويم وسواه ونفخ فيه من روحه وجعل الملائكة تسجد له وجعله خليفة له فى الارض ٠

والاسلام بهــذا يرسى القواعد الاساسية التى لا تتغير ولا تؤثر فيها تطورات الحياة كما لا يؤثر فيها اختلاف النظم ولا تعــدد المذاهب ولا تنوع البيئات فمن أقام بها وأداها كاملة فقد أدى وظيفته وحقق غايته فى الوجود ـ ومن قصر فيها أو نكل عنها فقــد أصبح بلا وظيفة فى هـــذه الحياة بعد أن نكل عن وظيفته الحقيقية ـ وأصبحت حياته خاوية من معناها الاصيل الذى تستمد منــه قيمتها الاولى ـ ثم اذا بــه يسير الى الضياع الذى يصيب كل كائن يتخلى عن وظيفته ويتفلت من ناموس الوجود الذى يربطـــه به ويحفظه ويكفل له البقاء ٠

ووظيفة الانسان فى هـــذه الحياة تربط الجن والانس بناموس الحياة والوجـــود وهــو عبادة الله تعالى ومن هنـــا يتبين أن معنى العبادة أعم وأشمل من اقامة الشعائر المعروفة اذ أن معناها يحقق خلافة

الله فى الارض وهى تقتضى ألوانا من النشاط الحيوى فى عمـــــارة الارض والتعرف على قواها وطاقاتها وذخائرها ومكنوناتها ـ ثم تستخدم استخداما يحقق رسالة الانســـــان فى هـذه الحياة (واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة) البقرة ٣٠ ـ فمعنى العبـــادة يتحقق فى استقرار معنى العبودية للـــه فى النفس وفى اســـتقرار الشعور على أن لله خليفة استخلفه ليعبده فهـو يتوجه اليه بكل حركة فى الضمير وفى الجوارح وفى الحياة وبهذا يتحقق معنى العبادة ويصبح كل عمل يعمله الانســـان من اقامة الانسان الى الجهـــــاد فى سبيل الله الى اقامة العدالة بين الناس هدفه عمـارة الارض والقيام بخلافة الله والنهوض بتكاليفها حسب النظام الذى وضـــعه اللـــه تعالى ـ ثم أن تصبح قيمة الاعمال التى يقوم بها الانسان مستمدة من بواعثها لا من نتائجها ـ فالانسان عليه أن يعمل فى الاطـــار الذى رسمه الخالق ـ وجزاؤه عند الله يكون بالنية والعمل (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) لا بالنتائج التى توصـــل اليها ـ ولذلك يقول الله لنبيه (ان أنت الا نذير) فاطر ٢٣ ـ ويقول (انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تســأل عن أصحاب الجحيم) البقرة ١١٩ ـ والمسلم يضع علاقته بربه على هـــذا الاساس ـ ومـع غيره فى موضعها الذى لا يتعداه ـ فهم لا يملكون له نفعا ولا ضرا ولا يملكون له موتا ولا حياة ولا نشورا ـ وهـــم مخلوقون مثلـــه فهم عباد لله مثله ـ وبذلك لا تتوزع طاقاته ومشاعره بين آلهـــــه مختلفة ـ ولا بين متسلطين عليـــه من بنى البشر ـ والمســـلم يتلقى تشريعات اللـــه تلقيا خاصـــا لينفذ مهمته فى هـــذا الكون ويؤثر قانون الله على ما عداه ـ لانه هو الذى ينسق بين حركة البشر وحركة الكون العام وهـــو صادر من الله الـــذى خلق الكون وهو أدرى باحتياجاته والمســـــلم يعرف أن الحياة البشرية قائمة على أســـاس التفاوت وفى قدرات الافراد وفيما يمكن أن يؤديه كل فرد ـ والتفاوت فى مـــدى اتقان هذا العمل ـ وهـــذا التنوع ضرورى لتنوع الادوار المطلوبة للخلافة فى الارض ـ فالتفاوت قاعدة ولكن نســـــبة التفاوت فى الرزق تختلف من مجتمع الى مجتمع .. (والله فضـل بعضكم على بعض فى الرزق) النحل ٧١ ـ أمـــا مبدأ الرزق فقـد تكفل الله به

(وما من دابـــة فى الارض الا على اللـــه رزقها ويعـــلم مستقرها ومستودعها) هود ٦ — ثم ان المسلم يؤمن بأن اللـه سبحانه وتعـــالى أنزل شريعة تفرق بين المسيئين والمصلحين فى جميع الاحوال — وسيجازى الله كل نفس بما كسبت وفى ذلك تحقيق العدالة للناس جميعا ٠ (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ســـاء ما يحكمون) الجاثية ٢١ ٠

والاسلام يريح المسلم من الاسئلة التى لا يستطيع أن يجيب عنها ولا يجد من أية فلســـفة اجابة شافية عليها مثـل من أين جئت ؟ ولمـــاذا جئت ؟ والى أين أذهب ؟ وهـــذه الاجابة تجعله يحس بأن وقته كله مشغول بتحقيق وظيفته فى هذه الحياة ٠

والمسلم بعد هـــذا كله له شخصية مستقلة وهو مسئول عن نفسه وعن عمله (من عمل صالحا فلنفسه ومن أســـاء فعليها) فصلت ٤٦ ٠

الاسلام دين الوحدة :

الاسلام دين الوحدة بين القوى الكونية جميعا وبين توحيد الله والاديان جميعا (ان هـــذه أمتكم أمـة واحدة) الانبياء ٩٢ — وعن تلك الوحدة تصـدر تشريعاته وبذلك تتبين لنـــــا أسس التربية الاسلامية التى تتناول الضمير والوجدان والسلوك والقيم — ومن هنا فان الحياة فى نظر الاســـلام حياة تراحم وتواد وتعارف وتكامل بين المسلمين وبين جميع أفراد الانسانية — وحين تطبق هـــذه الحقيقة تطبيقا كاملا فانها تؤتى ثمارها وذلك حين توجد العقلية الواعية الفاهمة التى تطبقها على هـــذا الاساس الذى أراده الله فتعمل على اقامـــة اسلامية عمادها نشر العدالة والامن والطمأنينة وتستخدم ما فى الارض من خيرات وثروات وعلم وموهبة ليكون لها دورها فى اقامة هـــــذه الحضارة (وأنزلنا الحديد فيـه بأس شديد ومنافع للناس) الحديد ٢٥ فالنفس الراضية المطمئنة الى الايمان الحقيقى لا تستريح الا فى الدأب معرفة أسرار الكون وسننه كيما تزداد بالله اتصالا — وسبيلها الى هذه

المعرفة البحث والنظر فى خلق الله بما فى الكون نظرا علميا دعـــا اليه القرآن ـ والغاية فى الاسلام ترمى الى حسن العرفان باللـــه عرفانا كلما زدنا ايمانا بـــه جل شأنه ـ والتى ترمى الى حسن العرفان من جانب الجماعة كلها لا من جانب الفرد وحـــده ـ والمسلم دائما يلتمس العون من اللـه واتجاه الانسان اليه يعليه درجـــة للاهتداء الى أسرار الكون وسنن الحياة (يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) البقرة ١٥٣ على حين ترمى فى الغرب الى الاستفادة المـــادية من الكون ٠

والوحدة الكونية التى يحس بها المسلم تفيد السلام الدائـــم بين الانسان ونفسه وبين الانسان والكون وهـــذا السلام يطلق للروح نشاطها كما يطلق للجسد نشاطه ـ ثم يوحد هـــذا النشاط ويتجه بـه الى الخير والصلاح ـ يتجه به الى الخير والصلاح ـ يتجه به الى عمارة الكون والى تحقيق خلافة الله فى الارض ـ وهـــذا السلام لا يعقد على حساب الروح ولا على حساب الجسد كما لا يعقد على حســـاب الفرد ولا على حساب الجماعة ـ وفى الوقت نفسه لا يعقد على حساب طائفة من الناس او جيل من الاجيال وهكذا ينطلق نشاط الفرد كما ينطلق نشاط الجماعة لبناء الحياة وانمائها ٠٠ وكل هـــذا يتـــم حين يعيش الانسان بوجدانه وذهنـــه فلا يكون فى هـــذا الكون الا التفكير المتمشى مع ارادة الله ولا فيه الا الطاقات الايجابية للـــه ولا يرى نفسه الا منفذا لمشيئة الله (وما تشاؤن الا أن يشـــاء الله) الانسان ٣٠ ـ ويترتب على هـــذا أن صلة الانسان بالله هى صلة مباشرة بلا وساطة من انس أو جن أو غير ذلك (واذا ســـألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعـــوة الداعى اذا دعان) البقرة ١٨٦ ـ حتى الذين أساءوا الى أنفسهم وأسرفوا فى الاســـاءة لا ينبغى أن يقنطوا من رحمة الله بل ان الباب مفتوح على مصراعيه لمن أراد العـــودة الى الله (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا أنه هو الغفور الرحيم) الزمر ٥٣ ٠

خاتمـــة :

حين ننظر الى الكون الذى نعيش فيـه نجد أن مشاغل الحيـاة ظلت تظهر فى محيط الحس الى أن تغطى على الحاســة الباطنة فاذا بالانسان لا يرى الا الحس ٠٠ والاسلام قــد عالج هـذه الناحية بأن جعل له منهجا تربويا يحرص فيه على ربط الانســان بخالقه وتذكيره دائما به وبالتدبر فى مخلوقات اللــه وفى انعامه عليه (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)مريم ٦٧ ـ كما عالجهـا بأن عمل على أن يقى الحاسة الباطنة من موجات هــذه الاهواء والشهوات ومن هنــا كان معنى التقوى استمرار المنافعة وبالصبر والتقــوى يستطيع الانسان أن يقى نفســه هـذه الموجات المتواليـة القاســية فتصبح حاسته سليمة (انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجـر المحسنين) يوسف ٩٠ ـ وتعلق الانسان بعقيدة راسخة معناه الاستقرار الفكرى ومنع الاضطراب والتقلب والتردد (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم) الملك ٢٢ ٠

واذا كانت الفلسفات الحديثة لم تصـــل الى هـذا المستوى من الفهم والادراك والتعمق فى معرفة الله فان هكسلى وهو واحــد من أكبر علمائها فى هـذا المجال قال (ما علينا الا أن نكون متواضـــعين ونسلم بأن فكرتنا عن الله فكرة لا تزال الى حــد كبير غير كاملة ـ وأن هناك الها أكبر بكثير من فكرتنا ومعارفنا الحاضرة عن الله وان هــذا الاله لم يكتشف بعد) كما أن (هارى أرسون) فى كتـــابه : كيف تكون رجلا يقول (انه ما من انسان يستطيع أن يكون غير مؤمن فقد ركب الانسان من الناحية النفسانية بحيث أصبح مضطرا الى الايمان بالله أو بغيره فمتى فات الايمان الايجابى فان السلبى يحـل محلــه ويتعلق بالآراء التى تجعل منـــا عبيدا للحياة) لا ســادة لها ـ وقوة الفلسفاتالحديثة التى تنكر وجود الله ليس فى ذاتها بل بتكرار الدعوة اليها وقوة القانون فى الســلطة القائمة على تنفيذه ـ والخصـــومة المذهبية طابع الفلسفات الحديثة ـ وسبب اختلاف القوانين كون الانسان محدودا ـ ومحدودية الانسان تجعل عيوب القوانين كثيرة ـ وطبيعــة

الانسان فى الفلسفة والقانون سبيل الى عـــدم العصمة وهى بالتالى سبيل الى التراخى وعدم التنفيذ وعدم الطاعة .

لكن فلسفة التربية الاسلامية تجعل ضمير الانسان يقظــا ـ ولذلك فان ضمير الانســان المسلم بمثابة الســلطة الذاتية على عكس القانون الوضعى ـ والانســان فى تربيته الاسلامية يحس بأنه ليس وحـــده فى هـذا الكون الفسيح فان من حوله وفى كل اتجـاه وحيثما امتد به البصر أو طاف بـه الخيال اخوان له من خلق الله تعـــالى مختلفون فى الصور والأشكال ولكنهم يتجهون الى الله ويسبحون بحمده وان كان لا يفهم تسبيحهم ـ وهـــو فى النهاية خليفة الله فى الارض يحق الحق ويبطل الباطل ـ ويشعر بأن الكون صديق له ومعينه على أداء رسالته فيعيش آمنــا مطمئنا وهو فى الارض ولكن قلبـــه معلق فى السماء .

* * *

فهـــرس

الموضـــــوع	الصفحة

رقم الايداع ٧٨/٥٣٩٢

دار الطباعة الحديثة
اول شارع الجيش ـ القاهرة
تليفون ٩٠٨٣١٨